

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة



كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية
قسم التاريخ و علم الآثار

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

آشور في ظل التغيرات الجيو سياسية للمنطقة فيما بين القرنين (12 – 07) ق. م

تحت إشراف الأستاذة الدكتورة :

أم الخير العقون

إعداد الطالبة :

بحاير فايزة

أعضاء لجنة المناقشة : 2015/06/07

رئيسا	جامعة الجزائر 2	أستاذ	- أ.د/ بلقاسم رحمانى
مقررا	جامعة وهران 1	أستاذة	- أ.د/ العقون أم الخير
مناقشا	جامعة وهران 1	أستاذ محاضر (أ)	- د/ بن عبد المومن محمد
مناقشا	جامعة معسكر	أستاذة محاضرة (أ)	- د/ مقرانطة بختة

السنة الجامعية: 2014-2015

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى عائلتي أبي العزيز و أمي الغالية و إخوتي و أخواتي
و إلى زوجي الذي وقف إلى جانبي وكان سنداً لي
و إلى أولادي مريم و إسحاق

أقدم هذا العمل التواضع

قائمة المختصرات:

- **ARAB:** ancient record of assyria and babilonia.VI, Chicago, the university press, 1926.
- **CAH:** the combridge ancient history.
- **AMNP:** Ancient mésopotamia New persectives.
- **ANEH:** the ancient near East history.
- **ANEA:** Ancient near estern art in context

- ق . م : قبل الميلاد

- د . ت : بدون تاريخ الطبع

- د . ك : بدون مكان الطبع

قاموس المصطلحات الآشورية المترجمة إلى اللغة العربية :

عربية	آشورية
الهيئة الإدارية التي تنظم شؤون المستعمرات التجارية في الأناضول	كاروم karum
العراف و مهمته القيام بشؤون الإخبار بالغيب	البارو Barro
رئيس صنف الأطباء	رأب - آسي Rab- assi
رئيس صنف الموسيقى العسكرية	رأب زماري Rab Zammar
القواعد العسكرية الدائمة (الثكنات)	إكال مافرتي Ekal mafarti
قائد عسكري ذو رتبة عالية	التورتان Tourtan
رئيس السقاة	الرأب ساق Rab saque
منادي القصر	ناقر إيكالي Nagir ekalli
المشرف على الناحية المالية	الأبركو Abarakku
المشرف على تنفيذ القوانين	سوكالو Sukkallu
كبير الضباط	رأب موجي Rab mugi
القائد المسؤول على حفر الطرق	رأب كالابي Rab kallabi
أمر سرية في الوقت الحاضر	رأب كيسر Rab kisir
القارب	كيبورو Kiburru
طوافات مصنوعة من جلد الماعز	كيليك Kelick
السفن الحربية	إلب كاربى Elap qarabi
تأريخ سنوات حكم الملك باسمه وذلك منذ تتويجه ثم تأريخ السنوات التالية من حكمه باسم موظف كبير يعينه في الدولة	إثبات ليمو

مقدمة

مقدمة:

إن البحث في تاريخ الآشوريين و هم من الساميين الذين سكنوا الشمال الشرقي للعراق القديم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ، يوضح أكثر من أية بقعة في الشرق الأدنى القديم أن هذا الإقليم قد لعب دورا كبيرا في التاريخ السياسي و العسكري للمنطقة وذلك بعد تفاعله مع القوى المحلية من جهة والقوى الإقليمية من جهة أخرى، وقد تجلّى ذلك في خضوع الآشوريين المستمر لحكام جنوب إقليم آشور الأقوياء من السومريين و الأكاديين و البابليين ، وكذلك تسلط الأجانب كالحيثيين و الميثانيين الذين استعمروا آشور و فرضوا على شعبها دفع الجزية لمدة قرن ونصف من الزمن.

ويشهد التاريخ بأن الآشوريين كونوا إمبراطورية مترامية الأطراف حكمت جزءا كبيرا من الشرق الأدنى القديم ، و ان كان التاريخ السياسي للعراق القديم يقسم الى مراحل ومنها المرحلة الآشورية ، ولهذه المرحلة أهمية جاصة في تاريخ العراق التي ذكرها المؤرخون القداما ومنهم هيرودوت و سترابون و فلافيوس جوزيف وغيرهم ، و يؤكد هذه الأهمية ما خلفه الآشوريون من آثار قائمة و منقولة ، وقد إعترف المختصون بمكانتهم المميزة فأطلقوا على تاريخ وحضارة العراق القديم إسم علم الآشوريات – Assyriologie

و قد جاءت هذ المحاولة مني للبحث والاستقصاء حول أهمية تاريخ الآشوريين بالنسبة لتاريخ للعراق القديم بصفة عامة وكذلك بالنسبة لمنطقة الجوار (الشرق الأدنى القديم)، فضلا عن هدفي الرئيسي المتمثل في البحث عن الأسباب و خاصة عوامل التميز السياسي و العسكري الذي جعل من آشور القوة الأولى في الشرق الأدنى القديم في الفترة الزمنية ما بين القرنين (12 – 07) ق.م ، و هو الاطار الزمني الذي حددته لمجال بحثي ، ويعكس مرحلة زمنية مهمة من تاريخ آشور وهي مرحلة الازدهار و تزعم دول الشرق الأدنى القديم.

و من هذا المنطلق كانت الإشكالية الرئيسية لموضوع البحث كالآتي : كيف تحول هذا الشعب المسالم التابع دوما لحكام جنوب الأقوياء منذ بداية ظهور الأنظمة السياسية في العراق القديم إلى شعب تمتلكه روح الضغينة و الحقد و التحرر من الإستعمار ،وماهي العوامل التي مكنته من إقامة أكبر إمبراطورية في الشرق الأدنى القديم فيما بين القرنين (12 – 07) ق .م ، و بالتالي فأنا بحاجة إلى إيجاد أجوبة على تساؤلات كثيرة ربما تساعدني في فك بعض الغموض في مسألة زعامة آشور للعالم القديم خلال فترة معينة من الزمن ومن هذه التساؤلات :

- فيما تتمثل الظروف الخارجية التي أحاطت بآشور فيما بين القرنين (12 – 10) ق .م ،التي تسببت في تغيير موازين القوى الدولية ؟ ،و هل يعود ذلك إلى شيخوخة الأجهزة الحاكمة في دول الجوار الجغرافي مثل مصر و حيثاً ؟ ، أم هو بسبب الضعف الذي أصابهما نتيجة صراعهما الدائم من أجل السيطرة على سوريا ؟.

- وهل للفوضى و الاضطراب الذي حدث في شرق البحر الأبيض المتوسط بسبب ظهور ما يعرف في التاريخ بشعوب البحر دورا في التحول الذي عرفته آشور ؟.

- كما لا ننسى أن اقليم آشور الواقع شمال العراق القديم قد وقع تحت سيطرة الميثانيين الهنـدو أوربيين لمدة قرن ونصف من الزمن وهذا حتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، فهل كان تطور و تبلور النظام العسكري في مملكة آشور نتيجة إصطدام بين السلالتين الهنـدو أوربية و السامية ؟.

- أم أن هذه الظروف من إختلال موازين القوى الدولية فيما بين القرنين (12 - 10) ق.م ، قد ساعد على إنشاء الدولة و الشعب الأشوري المحارب القوي الذي إستفاد من التحديات الداخلية و الخارجية لصالحه ؟.

- هل كانت المنظومة العسكرية الأشورية أساسا الدولة الأشورية و فيما اختلافها عن بقية المؤسسات الأخرى ؟.

وأعتقد أن هذا الجانب من الدراسة- أي تأثير آشور بمجريات الأحداث في دول الجوار الجغرافي- لم ينل حقه من البحث، كما أن معظم ما تناوله الباحثون حسب اعتقادي ، كان يقتصر على التاريخ المحلي لكل مرحلة من مراحل تاريخ العراق القديم و كأنه منفصل عن بعضه البعض ، ومحسن عن أحداث العالم المحيط بالعراق القديم .

وبعد القراءة المكثفة في الموضوع جمعت قدرا كبيرا من المراجع المتخصصة باللغة العربية واللغة الأجنبية (فرنسية و إنجليزية) ، وكونت فكرة عن الجوانب التي ينبغي أن تدرس في هذا البحث ، و جاءت صياغة العنوان كآتي :آشور في ظل التغيرات الجيو سياسية للمنطقة فيما بين القرنين 12-07 ق.م

وصياغة العنوان بهذا الشكل يدل على وجود شقين في الدراسة ، شق خاص بالظروف الداخلية لآشور و أخرى خارجية متعلقة بالأقاليم المجاورة لها ، المؤثرة و المتأثرة بآشور ، فكل هذه الجوانب تتطلب الدراسة و البحث.

إن البحث في هذا الموضوع قد تطلب مني جمع قسط كبير من المادة العلمية نظرا لشساعة الإطار الجغرافي الذي يغطيه موضوع البحث ولقد اخترت أهمها ، و تتمثل في المصادر الأدبية الأثرية ، بالاضافة إلى الدراسات الحديثة والتي تضمنتها المراجع العربية والمترجمة الى العربية ، والمراجع الأجنبية وهذه بعضها :

- المصادر: ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها هي:

التوراة: و هو من أقدم المصادر الدينية التي بين أيدينا و يعرف أيضا بالكتاب المقدس أو بعبارة أصح العهد القديم ،واعتمدت على هذا المصدر لما تناولت الأحداث التاريخية المتعلقة باستيلاء آشور على الساحل الفينيقي ومصر ، ولقد تطرقت لهذا الموضوع في الفصل الرابع الذي يتناول آشور تنزعم دول الشرق الأدنى القديم فيما بين القرنين (09- 07) ق.م وتجدر الإشارة الى خطورة هذا المصدر وضرورة إخضاعه للنقد التاريخي.

المصادر الكلاسيكية:

ونقصد بها كتابات المؤرخين و الجغرافيين الإغريق واللاتين وقد أخذت بها في الفصل الأول الذي يتناول الإطار الجغرافي و التاريخي لبلاد آشور وذلك عند التعرض لآشور و مدلولها عبر التاريخ ونذكر على سبيل المثال المؤرخ الإغريقي هيرودوت⁽¹⁾ و الجغرافي سترابون⁽²⁾.

كما اعتمدت على المؤرخ هيرودت⁽³⁾ في كتابه الثاني، عند التعرض الى للاستخدام الآشوري المصري ،وفي الحديث عن موقع فلسطين وأهميتها الجغرافية اعتمدت أيضا على هيرودت⁽⁴⁾ في كتابه الجزء الثالث وكذلك المؤرخ جوزيفوس فلافيوس⁽⁵⁾ ، كما اعتمدت على هذا الأخير أيضا في موضوع استيلاء آشور على الساحل الفينيقي في العهد الإمبراطوري الثاني.

المصادر المادية الأثرية:

تعتبر الآثار المصدر الأول في استخلاص الكثير من الحقائق التاريخية التي يحتاج إليها الباحث في التاريخ القديم، ولقد ساهمت بقسط كبير في إثراء موضوع البحث، وذلك باعتبارها المصادر المباشرة الموضوعية التي تعكس لنا المظاهر الحضارية للمجتمعات القديمة دون تدخل ذاتية المؤلفين (المؤرخين) وبفضلها استطعت أن أزيل اللبس على بعض الأحداث التاريخية التي كانت تبدو غامضة.

⁽¹⁾Herodote: Histoire, livre 1, établi et traduit par PH. Legrand, Paris: société d'édition les belles lettres, 1946.

⁽²⁾ Strabon : Géographie de Strabon, livre16, traduit par Amédée Tardieu, Paris : librairie de hacheite, 1867.

⁽³⁾ Hérodote : Histoires, livre 2, établis et traduit par, P.H. legrand, Paris : société d'édition les belles lettre, 1982.

⁽⁴⁾ Histoires, livre 3, établis et traduit par, P.H. legrand, Paris : société d'édition les belles lettre, 1939.

⁽⁵⁾ Josephe. Fla VIous : Les juifs, histoires ancienne des juifs la guerre des juifs contre les romains amniographies, livre 1, livre, 10 Paris : édition lidis 1982.

ونظرا لهذه الأهمية التي تتميز بها المصادر الأثرية وعدم قدرتي على الدراسة الميدانية ، فقد استعنت بتقارير المنقبين ودراسات قام بها بعض الباحثين الأجانب و كانت عبارة عن ترجمات مباشرة من النصوص الأصلية ومنها:

الكتابات الانجليزية نذكر على سبيل المثال: دانيال لوكنبيل⁽¹⁾ Daniel David lukenbill ، وقد قام بترجمة كاملة لحوليات الملوك الأشوريين وقد ساعدني كثيرا في الحصول على معلومات دقيقة فيما يخص حملات الملوك الأشوريين.

كتابات "وليز بودج"⁽²⁾ Walis Burdge ، وقد قام أيضا بترجمة مباشرة من النصوص الأصلية بمعنى حوليات الملوك الأشوريين، إلى جانب إظهار الصور والنقوش للملوك الأشوريين مع التعليق عليها، وقد استفدت منه في معرفة التاريخ السياسي و العسكري الأشوري .

الدراسات الحديثة

لم يتوقف اعتمادي في موضوع بحثي على المصادر الأدبية والاثرية فقط، بل كان الفضل الكبير للدارسات الحديثة التي غطت مراحل التاريخ العراقي القديم عامة ومنه التاريخ الأشوري ، ولا أستطيع أن أنكر الدور الكبير الذي لعبه الباحثون السابقون في هذا المجال.

⁽¹⁾ Daniel David luckenbill : ancient records of assyria and babylonia,VI, Chicago, the university press, 1926.

⁽²⁾ Walis Budge: a guide to the balylonia and Assyrian antiqites, second edition, London:printed by ordre of the teustees, 1908.

ومن هذه المراجع أذكر ما كتبه هاري ساغز⁽¹⁾ "في عظمة آشور"، والذي أعطى تفصيلا دقيقا عن تاريخ آشور منذ نشأتها حتى سقوطها، وقد أفادني كثيرا في معرفة تسلسل الأحداث السياسية والعسكرية لأشورية.

وفي مجال دراسة الظروف الجيوسياسية للمنطقة اعتمدت على ما كتبه كل من طه باقر⁽²⁾، وعبد العزيز صالح⁽³⁾ وأنطوان مورتكات⁽⁴⁾.

أما بالنسبة للمراجع الأجنبية فهي كثيرة و من أهمها أذكر على سبيل المثال جورج رو⁽⁵⁾، الذي قام بدراسة قيمة للأوضاع السياسية لدول الشرق الأدنى القديم، وكتاب موريس فييرا⁽⁶⁾، وكتاب وليام هالو⁽⁷⁾، وجاك شانج⁽⁸⁾ الذين ساهموا في تسليط الضوء على التاريخ الآشوري كل من زاويته الخاصة ، و قد كانت المادة العلمية لهذه المراجع الأجنبية غزيرة سواء في المعلومات المعرفية أو الاصطلاحات العلمية .

(1) هاري شاغر، ت، خالد أسعد عيسى، أحمد غاسر سيانو: عظمة آشور، دمشق، دار علاء الدين للطباعة والنشر، 2003م.

(2) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة 1986.

(3) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ج1 ، القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، د.ت.

(4) أنطوان مورتكات، ت. توفيق سليمان: تاريخ الشرق الأدنى القديم، دمشق: مطبعة الانشاد، 1967.

(5) Georges Roux : La Mésopotamie, Paris : Seuil, 1995.

(6) Maurice.Vieyra : Les assyriens, France : édition de seuil, 1952.

(7) William Hallo, Willaim Kilty simpson : the ancient near history, second edition, New York: Harcourt brace college, 1998.

(8) Jackeng, Marian, Fedman: ancient near estern art in contxt, Boston: Bill Leiden, 2007.

أما عن أقسام البحث فتتمثل في أربعة فصول وهي مرتبة كالآتي:

لقد كان مجهودي في الفصل الأول مركزا على توضيح الإطار الجغرافي و التاريخي لبلاد آشور، حيث تم توضيح الأهمية الجغرافية لبلاد آشور و نحن نعلم دور العامل الجغرافي في سير الأحداث التاريخية، فضلا على ما تتميز به آشور من ناحية التضاريس الصعبة و المناخ البارد ، كما تناولت أيضا الأدوار التاريخية لبلاد آشور من عصور ما قبل التاريخية الى العصور التاريخية وقد تمثلت في دراسة آشور منذ عهد فجر السلالات ، العهد الأكادي و سلالته أور الثالثة أسرة بابل الأولى، بالإضافة إلى العصر الآشوري القديم والوسيط.

أما الفصل الثاني فيحمل عنوان أزمت الشرق الأدنى القديم فيما بين القرنين 12 الى غاية -09 ق.م حيث تميزت هذه الفترة بتغيرات سياسية و اضطرابات عنيفة هزت المنطقة، و قد نجمت هذه التغيرات عن هجمات شعوب البحر على منطقة الشرق الأدنى مما تسبب في انهيار الإمبراطورية الحيثية و تراجع سلطة الإمبراطورية المصرية عن بلاد سوريا ، هذا كله جعل المنطقة تعيش فراغا سياسيا في ظل غياب الدول الكبرى ، فضلا عن كثرة الصراعات بين مملكتي إسرائيل و يهودا، مما مهد لزيادة قوة الآشوريين و إنشائهم للدولة القوية .

و الفصل الثالث كان بعنوان المنظومة العسكرية و دورها في الريادة الآشورية و قد خصصته للحديث عن مكونات المنظومة العسكرية الآشورية التي شملت أصناف الجيش الآشوري والقواعد العسكرية الدائمة، وأخيرا الرتب العسكرية، وكان أهم ما ميز المنظومة العسكرية هو التنوع في التكتيك العسكري كالمعارك النظامية المفتوحة و الحروب في الجبال و حصار المدن ، فضلا عن التنوع في أساليب الإعلام كمبدأ الحرب النفسية وسياسة الدعاية و التهجير إلى الأقاليم البعيدة، وأخيرا تناولت نظام المواصلات كالعربات و القوارب والسفن الحربية فضلا عن تناولي للنظام البريدي نظام المخابرات العسكرية .

و كان الفصل الرابع بعنوان آشور تتزعم دول الشرق القديم فيما بين القرنين 09-07 ق.م ، و قد اعتمدت في دراسة أحداث هذا الفصل على التسلسل الزمني للحملات الآشورية و ما رافقها من أحداث تاريخية تمثلت في الإستيلاء على بابل و توحيد العراق أولا ثم التوسع على حساب سوريا و الساحل الفينيقي ومصر ،وذلك مع ذكر حملات بعض ملوك العصر الإمبراطوري الآشوري مع إظهار الأسباب الكامنة وراء كل حملة و الظروف التي سبقت هذه الحملة و النتائج التي أسفرت عنها و قد تناولت في هذا الفصل أيضا بداية نهاية الإمبراطورية الآشورية وخصسته للحديث عن الاصطدام الآشوري المصري فضلا عن إظهار الأسباب الداخلية و الخارجية لسقوط آشورا و أنهيت هذه الدراسة بخاتمة أدرجت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

المنهج المتبع:

وللوصول إلى جوانب موضوعية من البحث اعتمدت منهجا تاريخيا وصفيا لعرض تاريخ آشور والظروف الجيو سياسية للمنطقة في إطارها الجغرافي والتاريخي، وهو ما تطلب مني قراءات متعددة لبعض المصادر والمراجع حتى يتسنى لي وضع تصور تاريخي لأشور وقوى الجوار الجغرافي، ثم التزمت المنهج التاريخي التحليلي وذلك لما تتطلبه هذه الدراسة من تحليل واستنتاج وتدخل من حين لآخر.

صعوبات البحث:

لا بد من الإشارة إلى بعض الصعوبات التي واجهتني خلال إعداد هذه الدراسة والتي تمثلت في صعوبة الحصول على بعض المصادر التي تخص الموضوع ولاسيما من خارج القطر الجزائري، وأيضا قلة النصوص المسمارية الآشورية المترجمة إلى العربية لذلك اقتصرت المصادر على اللغات الأجنبية كالانجليزية ، بالإضافة الى صعوبة دراسة وتحليل وتصنيف هذه المادة العلمية ، فقد أخذ مني السعي إلى الحصول على هذه المصادر وترجمتها الوقت الكثير والجهد الكبير .

وأخيرا أعتبر هذه المذكرة بمثابة مقدمة لدراسات أخرى، كما أعتبرها أيضا مفتاح لمجال تعلقت به كثيرا أثناء إنجازي لهذا البحث الذي تدور أحداثه في منطقة الشرق الأدنى القديم ، ورغم كل الصعوبات التي صادفتني إلا أنني لن أعتبرها كذلك، فقد كانت بالنسبة لي تربص وتدريب اكتسبت من خلاله مجموعة من الصفات التي يجب أن يتحلى بها كل باحث مبتدأ .

يطيب لي بعد الانتهاء من كتابة المذكرة أن اعبر عن وافر شكري وتقديري واحترامي للدكتورة المشرفة العقون أم الخير التي صبرت علي خلال مدة إشرافها على إعداد مذكرتي وما قدمته لي من دعم دائم دون كلل أو ملل إلى غاية الانتهاء من آخر ورقة من هذه المذكرة .

كما لا أفوت الفرصة لاشكر الدكتور بلقاسم رحماني الذي كان خير عون لي ، بأن أتاح لي فرصة الاستفادة من مكتبته الخاصة والغنية بأهم المصادر والأبحاث و هذا في أي وقت احتجت إلى ذلك .

وتحتم علي الأمانة أن اشكر كل من عرض علي الاستفادة من خبرته العلمية ،الدكتور بوعيزم عبد القادر وعبد المؤمن و كل شخص قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد.

و أخيرا أقدم فائق الامتنان والتقدير إلى زوجي العزيز لما قدمه لي من مساعدات في الحصول على بعض المراجع والمصادر وذلك على حساب راحته ووقته، فضلا عن الكثير من التضحيات والتنازلات في سبيل انجاز هذه المذكرة.

الفصل الأول

الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد آشور

I- الإطار الجغرافي لبلاد آشور

1- تضاريس آشور

2- الظروف الطبيعية

II- التركيبة البشرية للأشوريين

1- آشور ومدلولها عبر التاريخ

2- أصل الأشوريين

3- البدايات الأولى للأشوريين

III- الأدوار التاريخية لبلاد آشور

1- عصور ما قبل التاريخ

2- العصور التاريخية

أ- بلاد آشور في عهد فجر السلالات

ب- بلاد آشور في العهد الأكادي وعهد سلالة أور الثالثة

ج- العصر الآشوري القديم (المرحلة الأولى- المرحلة الثانية- المرحلة الثالثة)

د- العصر الآشوري الوسيط

I- الإطار الجغرافي لبلاد آشور

1- تضاريس آشور

يشكل الإنسان الدور الرئيسي في تكوين الحضارة، ولكن إلى جانب هذه الحقيقة يجب أن لا نهمل دور عوامل البيئة الطبيعية لأنها تؤثر في الحوادث التاريخية، وتكسب الحضارة طابعاً مميزاً وخصائصاً بكل قطر.

فقد كانت نشاطات الإنسان المختلفة مشروطة إلى حد بعيد بطبيعة التربة، كمية الأمطار، توزيع الينابيع والآبار... الخ، وكان لهذه العوامل تأثيرها العميق على الإنسان، حيث تساهم في تشكيل صفاته الجسمية و الخلقية وتحديد أفكاره ومعتقداته.⁽¹⁾

و بالتالي يمكن القول بأنه يجب أن نبدأ بدراسة الطبيعة الجغرافية لتاريخ أي بلد من البلدان (الشرق الأدنى القديم)، وبلاد الرافدين لا تخرج عن هذه القاعدة.

والموطن الذي حل فيه الآشوريون هو الجزء الشمالي الشرقي من العراق القديم، حيث يخترقه نهر دجلة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، والأراضي الكائنة على جانبيه إبتداءً من خط عرض السابع والثلاثين شمالاً، أما في الجنوب فلا توجد حدود طبيعية واضحة، ولعله يمكن اعتبار النهر العظيم* الحد الجنوبي لذلك الموطن.⁽²⁾

أما بالنسبة للقطاع الشرقي فيما وراء دجلة فتوجد الكثير من التلال المليئة بالغابات والوديان، وتكون جبال زاغروس في الشرق حداً طبيعياً مكوناً من سلسلة من الجبال الوعرة التي لا يوجد بها إلا ممران أو ثلاثة، ولا يمكن عبورها إلا خلال فترة من السنة، ونحو الشمال تتلاحق مرتفعة الواحدة تلو الأخرى، ومسطحات مائية تتركز في النهاية على جيل أرمينيا.

⁽¹⁾(G) Roux : La Mésopotamie, Paris: seul, 1995, P19.

*النهر العظيم: وهو الرافد الوحيد من روافد دجلة الذي تقع مصادر مياهه داخل العراق فهو يتجمع من السيول الكثيرة في موسم الأمطار، وهو قليل الأهمية لأن مصادر مياهه من الأمطار الشتوية بالدرجة الأولى، وتفديه جملة من الأودية والفروع، أنظر: طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة 1986 م ص 56.

⁽²⁾طه باقر: نفس المرجع، ص 475.

كما أنه بإستثناء السفوح الجبلية المحاذية لبلاد آشور شرقا وشمالا ، لا توجد حدود طبيعية من الغرب إلى الخابور والفرات، وكانت الحدود مابين بلاد آشور وبين بلاد بابل إلى الجنوب تتغير تبعا لقوة أو ضعف البلدين.⁽¹⁾

و من هنا يتبين لنا بأن امتلاك بلاد آشور لهذه الحدود الطبيعية، جعلها في الماضي تتمتع بعلاقات مع سائر مناطق بلاد الرافدين المجاورة، وأصبحت بلاد آشور مفتوحة لتلقي التأثيرات ذات مختلف الأنواع من تلك الجهات.

والحديث عن الظروف الجغرافية يحتم علينا تناول نهري الدجلة والفرات اللذان يعتبران شريان الحياة في منطقة وادي الرافدين، فإذا كانت مصر هبة النيل، فإن بلاد الرافدين هبة الدجلة والفرات، وهذان النهران ينبعان من جبال أرمينيا في جنوب القوقاز، ويصبان في الخليج العربي⁽²⁾

ويتميز نهر الفرات بأنه أطول من نهر دجلة وأكثر تعرجا، بالإضافة إلى اتساع واديه وعمقه، أما نهر دجلة فهو يتميز بكثرة روافده التي تنبع من هضبة إيران، فهو بذلك يتلقى إمدادات كثيرة ولعل أهم روافده نهر الزاب الأكبر والزاب الأصغر وقد امتدت بلاد آشور فيما بين هذين الرافدين.

وبالنسبة للزاب الأكبر (الأعلى) فإنه يصب في نهر دجلة على بعد 64 كلم تقريبا جنوبي نينوى بالقرب من مدينة نمرود، أما الزاب الأصغر (الأسفل) فإنه يصب إلى الجنوب من ذلك وهذا بحوالي 128 كم⁽³⁾

وتؤلف سلاسل الجبال العالية التي يبدأ منها النهر الزاب منطقة ربع دائرية تحيط ببلاد آشور من الشرق والشمال

وتنقسم آشور إلى ثلاثة مناطق :

⁽¹⁾ طه باقر: المرجع السابق، ص 475

⁽²⁾ (G) Contenau : Les civilisations anciennes du Proche-Orient, Paris ; presses universitaires de France, 1945, P10

⁽³⁾ بالخير بقة: أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل 3200-539 ق.م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2008-2009 ، ص13.

- المنطقة الأولى وهي عبارة عن سهل واقع بين الزاب الأكبر والجبال الشمالية، وهذا ما جعل مدينة نينوى أعظم مدينة في الأزمنة القديمة.

- المنطقة الثانية: تمثل المنطقة الواقعة بين الزابين، ومركزها أربيل، وكان هذان القطاعان دوماً ابتداءً من الزمن الذي ظهرت به آشور و هما عنصرين رئيسيين في دولة آشور.

- أما المنطقة الثالثة: فهي المنطقة الواقعة جنوب الزاب الأصغر المتحدة حتى جبل حرمين، وتضم هذه المنطقة كركوك حالياً، وهي الآن مركز آبار البترول، وكانت تدعى قديماً أرابخا⁽¹⁾

Arabkha

و كانت أربيل و نينوى و أرابخا مع مدينة آشور الواقعة على ضفة نهر دجلة، وهذه المدن كانت هي المدن الرئيسية المهمة وذلك لأن دولة آشور كانت على الغالب مؤلفة من مناطق ريفية .

ومما سبق ذكره يمكن القول بان آشور لم تكن عبارة عن وحدة جغرافية متكاملة، فقد كانت هناك فروق بارزة ذات علاقة بالأرض و التضاريس موجودة بين كل جزء من هذه الأجزاء والجزء الآخر أي مدينة آشور على الضفة الغربية لنهر دجلة.

⁽¹⁾ هاري ساغز، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور، ط.1، دمشق: دار علاء الدين للطباعة و النشر، 2003م ، ص.9.



الشكل 01: مخطط لمدينة آشور المبنية على مرتفع عند نقطة التقاء فرعي نهر دجلة.

2 - الظروف الطبيعية:

لقد أدى قرب بلاد آشور من الجبال إلى تعرضها إلى سقوط الثلوج في الشتاء وهبوب الأعاصير في فصل الصيف.

و لذلك تميزت بلاد آشور في العصور القديمة بإنتاجها أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة كالكرام التي يصنع منها النبيذ، وأنواع من الخضر والفواكه، إلى جانب ذلك تربية أنواع مختلفة من الطيور كالبط وكذلك الحيوانات كالأبقار والأغنام والماعز والبغال، أما الحصان فلم يعرف بالمنطقة إلا خلال الألف الثاني قبل الميلاد.⁽¹⁾

كما أن منطقة آشور التي أطلت في عصورها الأولى على نهر دجلة بضفتيه وتكونت في مجملها من تلال، كانت تخترقها أيضا هضاب غنية بالحجارة الكلسية و ذلك عكس المنطقة الجنوبية فقد كانت بابل فقيرة من حيث الحجارة والخشب، و المادة المستخدمة في البناء هي الطين رغم أنها غير صالحة للبناء⁽²⁾.

ومن هنا يتضح لنا بأن الشروط الطبيعية والمناخية لبلاد آشور، والتي تتصف بالطابع الجبلي، وتخترقها الهضاب قد جعلها تتميز بنمو الغابات وأشجار الفاكهة، وصالحة للمراعي الطبيعية وتربية المواشي وأيضا غناها بالحجارة الكلسية.

وقد كان في معظم أراضي آشور معدل هطول الأمطار كافيا للزراعة دون اللجوء إلى عمليات الري، وذلك على الأقل في السنوات الخصبة الجيدة، ومع أنه وبالنسبة للمناطق الجنوبية البعيدة في آشور كان الوضع الزراعي سيئا أثناء الفصول التي تقل فيها المحاصيل الزراعية.

⁽¹⁾ (K) Grayson : Assyrian civilisation, the Cambridge ancient history, V.III, part 2, New York ; combridge university press, 2008, p213.

⁽²⁾ (G) contenau : Les civilisations anciennes du proche-orient, op-cit, pp64-65.

أما إذا تابعنا الاتجاه جنوبا فيما وراء جبل حرمين ينخفض معدل هطول الأمطار، وفي نفس منطقة خط العرض هذه هناك تغيرات في التربة، لأن سهول آشور معرضة لوجود الطمي الذي سببه مجرى نهر دجلة، وتتحد هاتان الميزتان أي انخفاض معدل هطول الأمطار و وجود تغيرات على مستوى التربة لإنشاء حدود جغرافية فيما بين آشور والأراضي المجاورة في الجنوب⁽¹⁾

كما تجدر الإشارة إلى أن بلاد آشور لم تعان من مشاكل الملوحة في تربة أراضيها الزراعية، وهذا راجع لأسلوب الري المطري (الديمي) ، وكون أراضيها جبلية عكس بلاد بابل (أي قسم الرسوبي من بلاد النهرين) والتي عانت من هذه المشكلة، واعتمدت في زراعتها على الري⁽²⁾.

وتعتمد القوى الرئيسية الاقتصادية في آشور القديمة على أراضيها الخصبة المزروعة بالذرة، وهناك منطقتان كبيرتان بصورة خاصة ومتميزتان بالقدرة الإنتاجية، وقد كانتا دوما بهذا الشكل، إحداهما سهل أربيل والأخرى منطقة سهل الموصل.

ويوصف سهل أربيل بأنه أفضل منطقة منتجة للقمح في العراق القديم، أما المنطقة الثانية وهي سهل الموصل، و إلى الغرب من نهر دجلة هناك حزام مزروع بالذرة الجيدة، وفي الجزيرة الواقعة إلى الجنوب من جبل سنجار يستطيع المرء أثناء السنوات الخصبة رؤية نبات الشعير النامي في ذلك السهل⁽³⁾.

وبالتالي يتضح لنا أن تلك السهول الزراعية الكبرى كانت كافية لزراعة الغلال الشتوية، بالإضافة إلى السفوح الجبلية والتي كانت أيضا صالحة للزراعة.

(1) هاري ساغر، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: المرجع السابق ، ص.ص 9-10.

(2) طه باقر: المرجع السابق، ص.475.

(3) هاري ساغر، تر: خالد أسعد عيسى، احمد غسان سبانو: المرجع السابق، ص ص 10-11.

II – التركيبة البشرية للآشوريين

1- آشور ومدلولها عبر التاريخ:

تشير كلمة آشور Assur إلى الإقليم المعروف بهذا الاسم، كما تعني كذلك المدينة التي تحمله، والمعبود الذي كان يعبد هناك، وربما كانت هذه التسمية ترجع إلى اسم أول عاصمة لهم وهي آشور، ومن ثم فقد أطلق الاسم على الإله القومي للآشوريين وقد ظلت هذه التسمية حتى بعد زوال كيانهم.

وقد استعمل المؤرخ اليوناني هيرودوت (HERODOTE) في القرن الخامس قبل الميلاد مصطلح آشور استعمالاً خاطئاً، إذ أطلقه على بلاد بابل والبابليين، ومثال ذلك قوله: "...وبلاد آشور تضم عدداً من المدن العظيمة وخاصة بابل والتي باتت مقر للحكم بعد سقوط نينوى..." وقوله أيضاً "... لقد تعاقب العديد من الملوك في بابل، وكان من بين من تولى عرش بابل امرأتان أولهما سميراميس..."⁽¹⁾

وإن البحث عن هذا الاسم (سميراميس) في ألواح السلالات البابلية غير موجود وعلى العكس من ذلك فإن مسألة تذكارية اكتشفت في آشور تشير إلى أن هذه الملكة هي من بلاد آشور واسمها سمورامات.⁽²⁾

وقد عرف كذلك المؤرخ الجغرافي سترابون (Strabon) إقليم آشور وبلاد الرافدين بقوله: "إن البلاد التي تحاذي بلاد فارس هي إقليم آشور، ويفهم من هذا الاسم أي آشور بلاد بابل وجزء كبير من المنطقة المجاورة التي كانت تضم كل إقليم آشور ومركزه نينوى، والضفة الأخرى لنهر الفورات وهي القسم الواسع الذي يقسم بين العرب والسوريين إلى غاية الحدود مع سيبيريا".⁽³⁾

⁽¹⁾ Hérodote : Histoires, livres 1, para, 178, 184, établis et traduits par. PH Legrand, Paris : société d'édition les belles lettres, 1946.

⁽²⁾ مارغريت روثن، تر: زينة عازار، ميشال أبي فاضل: تاريخ بابل، ط2، بيروت: منشورات عويدات، 1984 م، ص 15.

⁽³⁾ Strabon : Géographie de Strabon, livre xvi, para 1, traduit par Amédée Tardieu, Paris : librairie de hacheite, 1867.

ويوجد إسم آخر لموطن الآشوريين وهو سوبارتو "subartu" و لكن الآشوريين تحاشوا إطلاق تسمية سوبارتو على موطنهم وكذلك على أنفسهم وذلك لأن هذه التسمية كانت تعني مصطلح العبد في اللغة الأكادية كما تشير إلى ذلك نصوص تعود إلى العهد البابلي القديم، ومنشأ هذا المدلول هو أن موطن السوبارتيين كان من بين المناطق المهمة لجلب الرقيق على هيئة أسرى، إلا أنه من وجهة نظر البابليين، فإنهم ظلوا يطلقون كلمة سوبارتو على الآشوريين وموطنهم.⁽¹⁾

وتكتب كلمة آشور بصيغة قديمة على هيئة " آ- أوسار " A-usar " التي يبدو وكأنها كتابة رمزية، ولكن الكتابة المألوفة الأخرى كانت بهيئة آشور (A-shur)، ويتبعها العلامة المسمارية الدالة على الأمكنة "كي" "Ki" وأقدم ما جاءنا من هذه الصيغة من النصوص المكتشفة في مدينة نوزي* وغلب في الاستعمال في العصر الآشوري الإمبراطوري أن يضيف حرف الشين فيقال "آشور" "Ash-shur"

وذكرت الألواح المسمارية أرض آشور باسم " مات-آشور"، وقد تكون ذات صلة بالتسمية السومرية "A-usur" وذكرت أهلها باسم آشوريو، وانتشرت عبادة إلها آشور عن طريق الجاليات التجارية حتى أعالي دجلة وآسيا الصغرى، بحيث تداخل اسمه في أسماء بعض الأفراد في منطقة كباد وكيا.⁽²⁾

⁽¹⁾ William Hallo, William kilty Simpson : The ancien near East history, scond édition, New York : Harcourt brace collège Publisher, 1998, p111.

* نوزي: موقع أثري هام في شمالي العراق، وعلى بعد 13 كم من كركوك نقتب فيه بعثة أمريكية بين 1925-1931 م، وتم العثور على وثائق مسمارية هامة ترقى إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. أنظر: علي القيم: إمبراطورية إبلا، ط1، دمشق: مؤسسة الشبيبة للإعلام والنشر، 1989، ص 200.

⁽²⁾ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ج.1، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1973م، ص 494.

ومن هنا يتبين لنا وجود علاقات سلمية ووثيقة بين تلك الجاليات التجارية الآشورية، وسكان منطقة كباد وكيا (آسيا الصغرى)، بحيث سمحت للآشوريين تشييد معابد لآلهتهم القومية وعلى رأسها الإله آشور.

كما وردت كلمة آشور في المصادر الآرامية والعربية تحت اسم "أثور"، أما في المصادر المصرية فقد ذكرت لأول مرة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد باسم "أسور" على أيام الفرعون المصري تحوتمس الثالث*، وذكرت بأن أميرها قد أهدى إلى الفرعون كمية من اللازورد وأحجار كريمة أخرى.⁽¹⁾

أما إسم آشور في التوراة فقد ورد على أنه من أبناء سام بن نوح، حيث ورد في سفر التكوين ما يلي: " بنو سام: عيلام و آشو و أرفسكاد و لود و أرام".⁽²⁾

* تحوتمس الثالث (1436-1490) ق.م، ويعتبر من أعظم ملوك في الأسرة الثامنة عشر، وهو أول من وضع فكرة تكوين مجلس أركان الحرب من كبار ضباط، وذلك للتشاور معه في وضع الخطط الحربية، وقد بلغت حملاته ستة عشر حملة استمرت نحو عشرين سنة متواصلة. انظر: جاب الله على جاب الله: أم الحضارات ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999 م، ص99.

(1) محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990 ص 324

(2) التوراة: سفر التكوين، الإصحاح العاشر، الآية 22، الإسكندرية: كنيسة الأنبا- نيكلاهيمانوت، د. ت.

2- أصل الآشوريين :

الآشوريون من أصل سامي واحتفظوا بلغتهم السامية على رغم التأثيرات الخارجية التي كانت تحيط بهم، فلا تختلف لغتهم عن اللغة البابلية إلا جزئيا في تلفظ الأحرف.

ولغة الآشوريين من العائلة السامية الشرقية التي تسمى اللغة الأكادية، وفرعها الثاني اللغة البابلية، حيث تفرعت الأكادية الأم إلى هذين الفرعين في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد.⁽¹⁾

وإن نظرية كون الجزيرة العربية مهد الساميين لا تزال النظرية المعول عليها، غير أن الكثير ممن سموا بالساميين، ومنهم الآشوريون والأموريون* وغيرهم لم يأتوا رأسا من الجزيرة إلى الشمال العراقي، وإنما المرجح أنهم استوطنوا من بعد هجرتهم البعيدة في موطن آخر في بوادي الشام وبادية العراق وبلاد الرافدين، كما هو الحال مع الأموريين، ثم حل الآشوريون في زمن ما من الألف الرابع أو مطلع الألف الثالث قبل الميلاد في موطنهم الذي حددناه سابقا.

و لذلك يفترض العلماء أن الآشوريين جاؤوا من الجنوب من بابل، وربما في العهد الأكادي، معتمدين في ذلك على التقارب بين اللغتين الآشورية والبابلية رغم وجود بعض الاختلافات بينهما.⁽²⁾

وقد وردت الفرضية السابقة الذكر أيضا في التوراة سفر التكوين الإصحاح العاشر كما يلي:

" وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة في أرض شنعار، من تلك الأرض خرج آشور وبني

(1) فرج بصمجي: أقوام الشرق الأدنى القديم، مجلة سومر، ج 1، المجلد 3، بغداد: مديرية الآثار القديمة العامة، 1947 م، ص 96.

* الأموريون: لقد كانوا يسمون باللغة الأكادية العموريين أي الآتين من الغرب، ومعنى ذلك حرفيا غربا « ammuri »، وقد اتخذوا بابل عاصمة لهم، ولهذا سموا أخيرا بالبابليين و كان أشهر ملوكهم حمورابي (1792-1750) وقد كانت علاقتهم بالغرب أي سوريا وفلسطين قوية. أنظر زايد عبد الحميد: الشرق الخالد مقدمة في تاريخ و حضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 قبل الميلاد، القاهرة: دار النهضة العربية، 1966، ص 75 و أحمد علي عبد اللطيف: محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت: مكتب كريدي أخوات، د.ت، ص 132.

(2) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ العراق القديم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ت، ص 244.

نينوى و رحوبوت عير وكالح".⁽¹⁾

أما ول ديورانت فيرى بأنهم خليط من الساميين الذين وفدوا إليها من بلاد الجنوب المتحضرة أمثال بابل و أكاد، و من قبائل غير سامية جاءت من الغرب ولعلمهم من الحيثيين أي من قبائل تمت بصلة إلى قبائل ميثاني ومن الكورد، سكان الجبال الذين أتو من القوقاز و أخذ هؤلاء كلهم لغتهم المشتركة وفنونهم من سومر، ولكنهم صاغوها فيما بعد صياغة جديدة جعلتها لا تفترق في شيء عن لغة أرض بابل وفنونها.⁽²⁾

و من هنا يتبين لنا بأنه رغم أن هناك خلافا حول أصل الآشوريين، غير أن الراجح أنهم من شعبة سامية، هاجرت من شبه الجزيرة العربية الموطن الأصلي للساميين، ومن ثمة فلم يكن الآشوريون بالأقوام الأجنبية عن معظم سكان العراق القديم الآخرين.

فالآشوريون سكنوا بقاعا سبقهم إليها أقوم آخرون، عرفنا منهم سوبارتو، والمرجح أن الآشوريين قضوا على جماعات من أولئك السوبارتيين وأزاحوا جماعات أخرى منهم إلى سفوح الجبال والمناطق الجبلية المجاورة لها، واندمج من بقي منهم مع الآشوريين، كما كان موطن السوبارتيين يشمل الأجزاء الشرقية والشمالية من نهر دجلة.

ومما لا شك فيه أن الآشوريين قد تأثروا بالسوبارتيين في النواحي اللغوية والدينية، حتى أن بعض الآلهة السوبارتية بقي في العبادة الآشورية.⁽³⁾

وبالتالي يمكن القول بأن الآشوريين لم يحلوا في أرض خالية ليس فيها بذور حضارية ، بدليل أنه سبقتهم إليها أقوام أخرى تأثر بها الآشوريون دينيا ولغويا.

(1) التوراة: سفر التكوين، الإصحاح العاشر، الآية 10-11 الاسكندارية : كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، دبت.

(2) ول ديورانت، تر: محمد بدران: قصة الحضارة، ج.2، المجلد1، القاهرة: مطابع الدجوى، 1971 م، ص ص، 265-266.

(3) طه باقر: المرجع السابق، ص 474.

كما استخدمت اللغة الأكادية في بلاد آشور منذ أقدم العصور التاريخية المعروفة من خلال النصوص الملكية والوثائق الرسمية والاقتصادية وغيرها، وقد تميزت اللهجات التي أنتشرت فيها بخصائص معنية دفعت بعض الباحثين إلى عدها لغة مستقلة عن مجموع اللهجات البابلية⁽¹⁾.

ويمكن تفسير ذلك بأنها تعرضت في بلاد آشور لمؤثرات داخلية وخارجية تختلف عن تلك التي تعرضت لها في بلاد بابل.

وكانت اللهجات في العصر الآشوري القديم والعصر الآشوري الوسيط ولا سيما في العصر الآشوري الحديث أي الإمبراطوري أولى اللهجات الأكادية التي عرفت في العصر الحديث حتى غلب اسم الآشوريين ولهجاتهم على اللغة الأكادية في معظم الكتب والبحوث القديمة نسبياً⁽²⁾.

و في هذا السياق لا بد أن نذكر بأن الآشوريين استخدموا الخط المسماري الذي ابتدعه السومريون وطوره الأكاديون والبابليون، واتصفت معتقداتهم الدينية وأفكارهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من نظمهم المختلفة بالصفات العامة التي اتصفت بها مثيلاتها عند بقية سكان العراق القديم.

(1) عامر سليمان و آخرون: التراث اللغوي، موسوعة حضارة العراق، ج.1، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1985، ص ص 298

(2) عامر سليمان: المرجع السابق، ص 291،

3- البدايات الأولى للأشوريين:

عاش الأشوريون في منطقة حوض دجلة الأوسط خلال الألف الثالثة قبل الميلاد على شكل مشاعيات جبلية تعتمد في حياتها على الصيد وتربية المواشي والزراعة، فكانت معيشتهم في البداية معيشة قبلية عشائرية حيث يرأس كل عشيرة رئيس يرعى شؤونها.

كما سعى الأشوريون إلى حماية قبيلتهم ويتضح ذلك من خلال الدعاء إلى الإله أن يحفظ الأسرة، أو الدعاء لحماية وريث، أو شكر الإله لمنحه وريث سوف يحمل اسم العائلة، وكذا وقوع التبني لدى الزوجين اللذين لا يمكنهما الإنجاب، وذلك ليس فقط للعناية بهما في فترة شيخوختهما وإنما ضمان مستقبل الأسرة.⁽¹⁾

و هذا ما يجعلنا نستنتج بأن الدافع في حياة الإنسان الأشوري هو حمايته لأسرته أولاً، والإكثار من النسل وبالتالي حمايته لقبيلته.

أما النساء فقد كان لهن دور في المجتمع حيث كن يشتركن في الزراعة، ويحضرن اجتماعات مجالس العشائر، غير أن العلاقات العشائرية بدأت تتفكك بعد الاستقرار وزوال نظام الأمومة.

وبزوال نظام الأمومة حل محله سيادة الأب في الأسرة، وأصبح الرجل هو السيد المطلق، فهو الذي يزوج بناته، ويتحكم بزوجه كما يشاء ويطلقها بدون تعويض، كما يحق له أن يتخذ إلى جانب زوجته محظية أو أكثر، ولكنها لا تكون مساوية للزوجة.

ونتيجة للتطور الاجتماعي والاقتصادي تفتت أملاك العشيرة، وقامت الملكيات الخاصة، وظهر نظام الاستعباد الذي حول أسرى الحروب إلى عبيد يرعون الماشية، ويعملون بالزراعة وبناء المساكن وغيرها من الأشغال الصعبة.⁽²⁾

(1) . (K) Grayson : op-cit, p206

(2) نعيم فرح: موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. دمشق: دار الفكر للنشر، 1972، ص37.

ونشأت تدريجيا اتحادات القبائل التي هي أول وأقدم أشكال الدولة، وقد كانت أقوى القبائل تؤلف نواة الاتحاد، ومنها برز الملك الذي كان في الغالب القائد الحربي، وكذلك كهنة المعابد ، ثم تشكلت دول المدن، وإن بقيت بعض قبائل الرحل التي لم تدخل في نطاق تلك الدول.⁽¹⁾

وقد تجلّى ذلك في بناء الآشوريين عددا من المدن كان أكبرها مدينة آشور، وقد كانت أول عاصمة لهم، وتقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر دجلة، ففي شمالها سهل منخفض غريني كونته مياه دجلة، وتتحدّر المدينة إلى الجنوب، أما من الغرب فهضاب صخرية، وأما إلى الشرق توجد سهول، وتقع اليوم على نحو 80 كم جنوبي مدينة الموصل الحالية.

ولما نقب الأثريون في خرائبها عثروا على معابد وقصور وقبور الملوك، وكذا سائر معالمها، كما عثر فيها على آثار ترجع إلى العهود السومرية والأكادية والآشورية.⁽²⁾

(1) نعيم فرح: المرجع السابق. ص 37

(2) برهان الدين دلو: تاريخ مصر و العراق. التاريخ الاقتصادي الاجتماعي الثقافي و السياسي، ط.1، بيروت : دار الفارابي للنشر، 1989 ، ص 231.

III- الأدوار التاريخية لبلاد آشور:

1- عصور ما قبل التاريخ:

لقد كانت عصور ما قبل التاريخ تنطبق بالدرجة الأولى على شمال العراق دون السهل الرسوبي من وادي الرافدين، ذلك لأنه كانت تنتشر به المستنقعات والأحراش، فضلا عن تعرضه لفيضانات عنيفة، وأيضا تميزه بالرطوبة وذلك لكثرة المسطحات المائية إذ يقترب فيه مجرى نهري دجلة والفرات بدرجة كبيرة، فيقضي على الزرع ويدمر الإنسان والحيوان، كما تتأكد هذه الحقيقة عن طريق التنقيب الأثري الذي كشف في أكثر من موقع في جنوب العراق القديم عن طبقة من الطين والرمل تفصل بين ما قبلها وما بعدها من الطبقات الأثرية.

وتمثلت عصور ما قبل التاريخ في العصر الحجري القديم أولا والذي قدره المختصون من حوالي 500.000 سنة إلى 10.000 قبل الميلاد حيث عاش الإنسان على جمع الطعام، والانتقال من مكان إلى آخر سعيا وراء قوته، أما مصدر غذائه فكان صيد الحيوانات و إلتقاط الثمار وجذور النباتات البرية، وقد اكتشفت آثار لهذا العصر في مواقع من بينها كهف "شانيدار" "Shanidar" بشمال العراق القديم، وموقع "برده بالكه" "Barda Balka" في المنطقة السهلية إلى الشمال الشرقي من بلدة جمجمال بنحو 2 كم، وغيرها من المواقع.⁽¹⁾

ويعقب العصر الحجري القديم العصر الحجري الوسيط والذي بدأ مع حدود الألف العاشرة قبل الميلاد، ويتميز بظهور الآلات الحجرية ذات الشكل الهندسي المنتظم.

وقد اكتشفت آثار هذا العصر في مواقع من بينها كهف شانيدار، وموقع "كريم شاهر" في كركوك، و"ملفات" على نهر الخابور في شرقي الموصل.

(1) عبد اللطيف أحمد علي: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، القاهرة: مكتبة الإسكندرية، 1977م، ص 12-13.

ويلي العصر السابق ذكره العصر الحجري الحديث والذي بدأ في حدود الألف التاسع أو الثامن قبل الميلاد، حيث انتقل فيه الإنسان إلى طور جديد من الحياة، فقد تغيرت أساليب عيشه وذلك بتعلمه إنتاج قوته بيده، كما دجن الحيوان وربى الماشية، وقد ظهرت كذلك أولى القرى الزراعية في الوديان.⁽¹⁾

وبالتالي يمكن القول بأن العصر الحجري الوسيط كان بمثابة فترة انتقالية بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، حيث انتقل فيه الإنسان من الصيد والتقاط الثمار إلى احتراف الزراعة واستقر إلى جوارها في القرى، وهذا دليل على التطور الفكري والمادي للإنسان.

فالمناطق المتاخمة لشمال وشرق آشور أهمية رئيسية بالنسبة للتاريخ البشري ككل، فضلا عن صلتها بتاريخ آشور و تتمثل أهميتها على المدى الواسع ببداية القرى والزراعة في العالم القديم.⁽²⁾

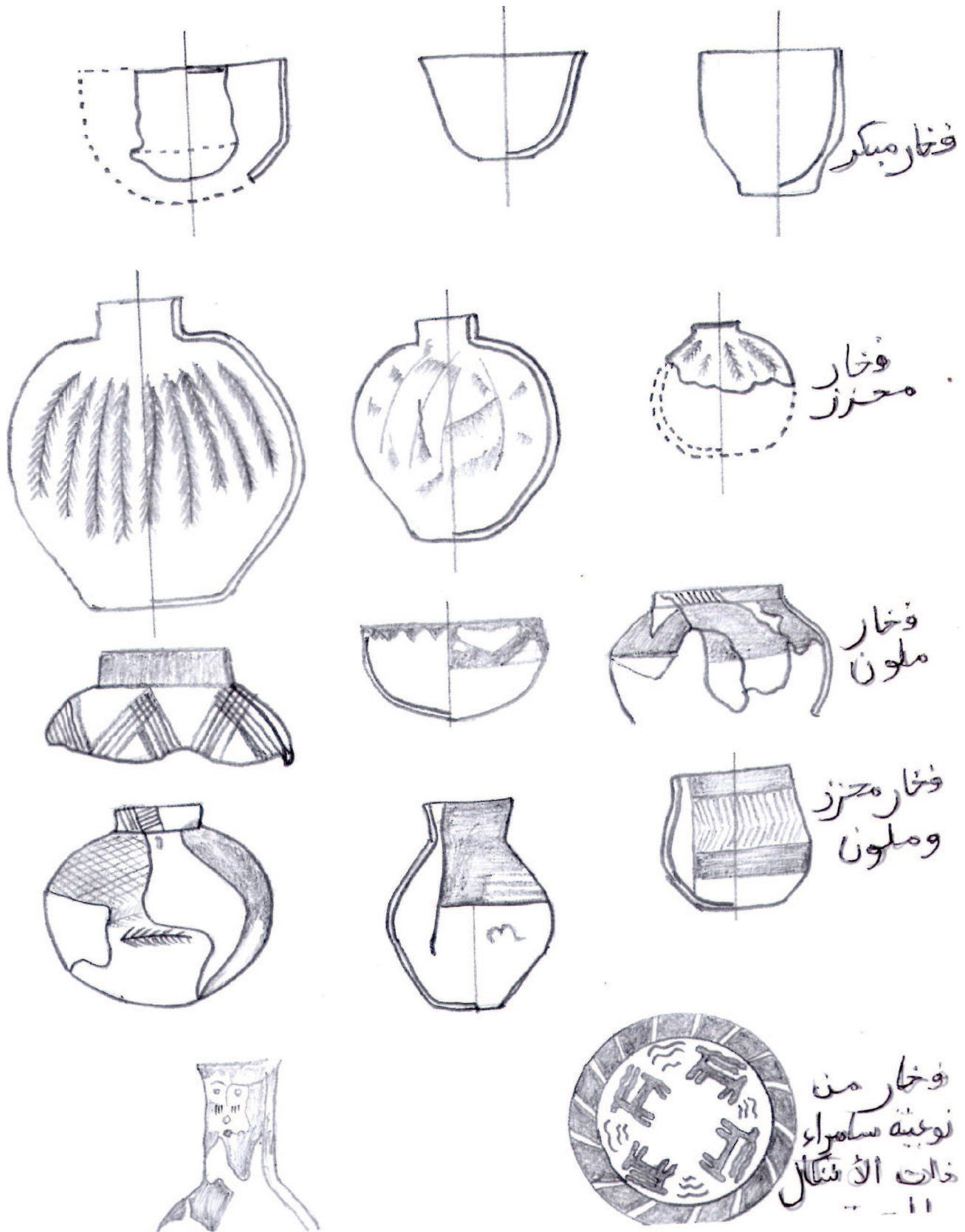
وقد عثر المنقبون على موقعين يمثلان العصر الحجري الحديث، وهما موقع جرمو، وموقع حسونة، بالنسبة لقرية جرمو فهي تعتبر أقدم القرى الزراعية المكتشفة، وتقع إلى الشرق من بلدة جمجمال بنحو 11 كم، وعلى بعد 35 كم شرقي كركوك، وقد كشفت الحفريات عن إظهار ستة عشرة طبقة أثرية أو دور سكنية مشيدة بالطين غير المنتظم، كما وجدت صناعات فخارية، وبعض الحبوب البرية الصالحة للتدجين.

أما بالنسبة لقرية حسونة فإنها تقع على بعد 35 كم جنوبي بلدة الموصل، وتضم بقايا قرية قديمة، وتشير إلى انتشار القرى في السهول الشمالية وقد دجن سكانها الأغنام والماعز، وصنعوا أنواعا من الأواني الفخارية، كما صنعوا أدواتهم من الحجارة والطين كمناجل الصوان والمحاريث ورحى الطحن والفؤوس الحجرية.⁽³⁾

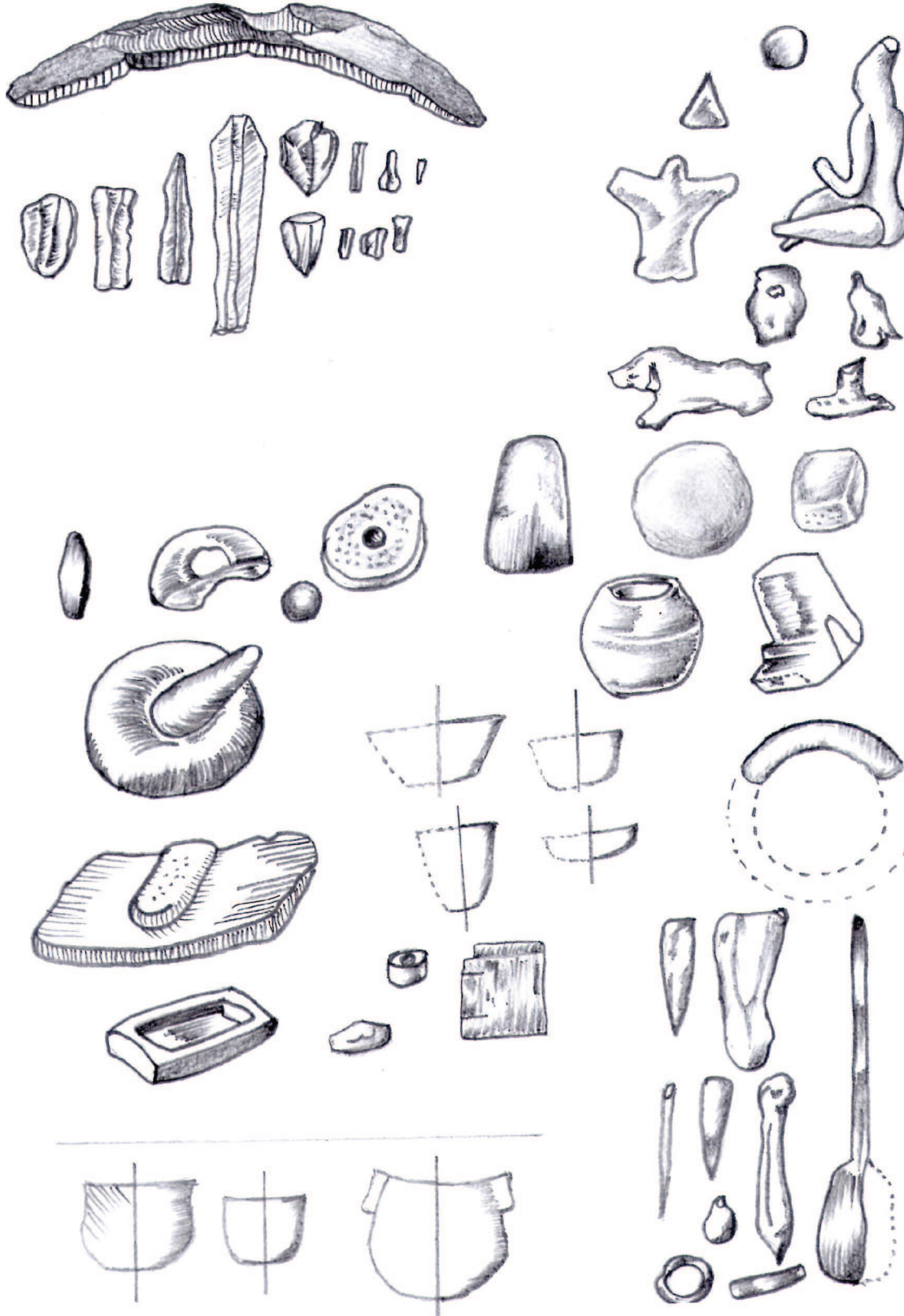
(1) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ العراق القديم، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، دبت، ص ص، 223-225.

(2) هاري ساغر، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: المرجع السابق، ص 12.

(3) تقي الدباغ وآخرون: الثورة الزراعية والقرى الأولى، موسوعة حضارة العراق، ج. 1، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1985م، ص ص، 121-125.



الشكل رقم 02: نماذج من فخار تل حسونة تبين مراحل تطوره.



الشكل رقم 03: نماذج من انتاج حضارة جرمو وتتضمن الأواني الفخارية .

و يعقب العصر الحجري الحديث العصر المعدني، ويقدر المختصون عمره فيما بين 5000 قبل الميلاد إلى 3500 قبل الميلاد، والسمة البارزة لهذا العصر هو استخدام معدن النحاس، إلى جانب استخدام أدوات حجرية جد متطورة كالأواني والتمائيل الصغيرة.⁽¹⁾

كما بدأت تظهر بوادر حضارة أصيلة تعود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، ألا وهي حضارة حلف نسبة إلى تل حلف في أعلى نهر الخابور على بعد 140 كم شمالي غربي نينوى، ونطاقها من جبال زاغروس شرقا إلى البحر الأبيض المتوسط غربا، وقد تعرف الأثريون على حضارة ذات مستوى تقني رفيع جدا، فعجينة الخزف ناعمة، وتميز الصناعات بالبراعة، وقد لاحظ المختصون ذلك في صناعة أدوات وتعاويذ وحجارة، والبعض من هذه الحجارة زين بالرسوم الهندسية المنقوشة، وصنعت منها الأختام وذلك للحفاظ على ملكية الأشياء، وكانت تختتم للدلالة على مصدرها.⁽²⁾

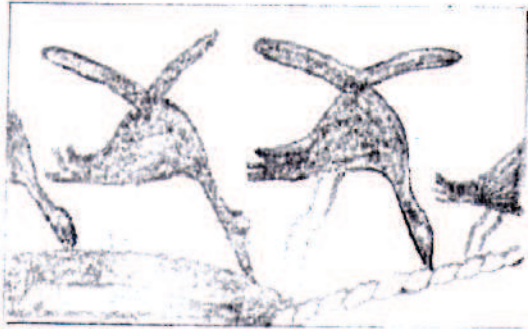
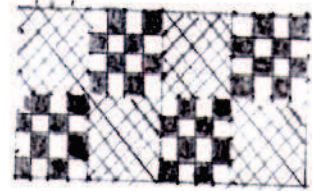
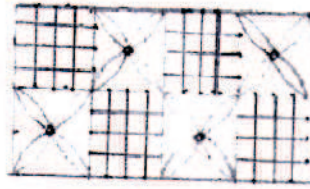
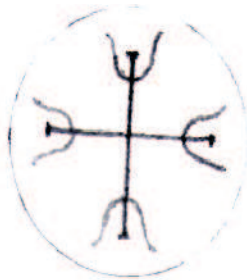
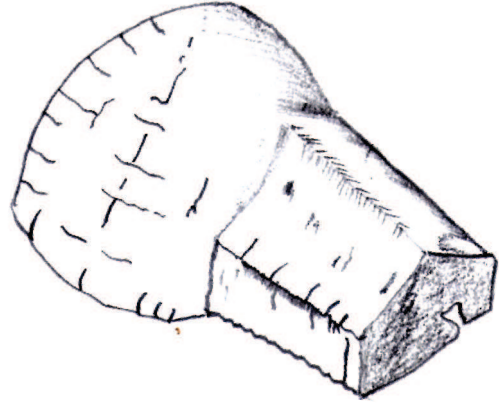
ومن كل هذا يتضح لنا بأن إنتاج العصر الحجري النحاسي يعبر عن انطلاقة جديدة لآفاق الإنسان بدأ فيها التعبير عن ذاته بملكاته الفنية، فبعد أن قدم الضروريات في العصر الحجري الحديث سواء في بناء القرى الزراعية وصناعة الأدوات، شهد العصر النحاسي تطور كبير، حيث أصبحت عجينة الخزف ناعمة وتميز الصناعات بالبراعة، وصنعوا الأختام للحفاظ على الملكيات.

واعتبارا من الألف الثالث قبل الميلاد انتقل التمرکز البشري إلى القسم الجنوبي من بلاد النهرين، وذلك نتيجة ظهور جفاف في الشمال أي البوادر الأولى للجفاف، وقد تشكلت السهول الرسوبية التي قامت فيها حضارات العبيد * وحضارة جمدة نصر ** وغيرها في العصر الحجري المعدني ومن ثم بدأت الدول تتكون، فظهرت دول سومر وأكاد وفيما بعد بابل.

(1) عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص 29.

(2) محمد حرب قرزات، عيد مرعي: دول وحضارات المشرق القديم، (سومر وأكاد، بابل، آشور، أمورو و آرام)، ط 2، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994م، ص 23.
* حضارة العبيد: تعبر هذه الحضارة عن استقلال جنوب سهل العراقي، ومن المواقع التي ظهر فيها إنتاجها الحضاري تل العبيد و أريدو و أور و الوركاء، أما أهم مواقعها في الشمال العراقي فهي موقع تبة جاورا و نينوى وغيرها، ويظهر إنتاجها الحضاري في صناعة الأواني الفخارية الملونة والأدوات النحاسية والعظمية وغيرها. أنظر: طه باقر: المرجع السابق، ص ص، 223-224.

** حضارة جمدة نصر: وهو الطور الثاني من أطوار العصر الشبيه بالكتابي، فهو يلي دور الوركاء، وهو موضع أثري صغير على بعد 15 ميلا شمال شرقي كيش، وقد انفرد بميزات خاصة، ففي الكتابة حصل اختزال في عدد العلامات المسمارية، وظهر بداية التطور الصوتي، أنظر: طه باقر: المرجع نفسه، ص 224، محمد نبيلة: معالم العصر التاريخي في العراق القديم، الاسكندرية: دار المعارف، 1983، ص ص، 34-35.



الشكل 04: نماذج من انتاج حضارة حلف.

2- العصور التاريخية

أ- بلاد آشور في عهد فجر السلالات:

بدأت خصائص العصور التاريخية في العراق في فترة تراوحت بين أوائل القرن الثلاثين قبل الميلاد، وبين القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، وكان أبرز ما ميز عهد فجر السلالات ازدهار حضارة وادي الرافدين، وبروز مقوماتها، وقد كان الغالب على الأقوام التي حكمت فيه أنها سلالة سومرية، كما سادت أيضا في هذا العصر اللغة والثقافة السومرية⁽¹⁾.

وقد تجلت آثار التواجد السومري المبكر في بلاد آشور من الناحية السياسية والحضارية و إن كانت قليلة وكذا بالنسبة لنهر دجلة بوجه عام، وأيضا وادي الفرات الأعلى، فقد أظهرت التنقيبات الأثرية التي أجريت في مدينة آشور أن هذه المدينة قد أسست في عصر فجر السلالات.

فقد كشفت التنقيبات الأثرية في بلاد آشور عن آثار من عهد فجر السلالات، بالإضافة إلى آثار العصور التاريخية المختلفة عن بقايا معبد مهم شيد لعبادة الآلهة عشتار* في عصر فجر السلالات، وقد سجل لهذا المعبد دوران رئيسيان أحدهما دور التأسيس حيث شيد على الأرض الحجرية الطبيعية، ثم شيد فوقه المعبد الثاني وفقا للمخطط نفسه، وقد وجدت في المعبد قطع من المنحوتات على الطراز السومري كما وجد معبدان في تل باراك في أعالي الخابور وتبت جاورا إلى الشمال الشرقي من نينوى و سلسلة من المعابد التي تشبه مثيلاتها في الجنوب شبيها تماما.

والجدير بالذكر أن اسم نينوى نفسها اسم سومري، وهو الاسم نفسه الذي كانت تسمى به إحدى مدن دولة لجش في بلاد سومر، أي مدينة "نيناء" والتي تعرف بقاياها اليوم باسم "سرغل" في منطقة لجش⁽²⁾.

(1) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 384.

* الآلهة عشتار: وهي آلهة الأمومة والخصب، فقد رمزت إلى الخصب على الصورة المألوفة في كل آسيا الغربية، وأضيف إلى صفاتها هذه في آشور وبابل صفة آلهة المعارك، غير أنهم لم يخلطوا قط بين هذين النوعين من الصفات، بل اعتبروها مظهرين مقدسين ينظر: جورج كونتينو، ت. محمد عبد الهادي شعيرة: الحضارة الفينيقية، القاهرة: مركز كتب الشرق الأوسط، 2001 م، ص 124، سعيد حبيب: أديان العالم، القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة – الأسقفية، د. ب. ت.، ص 47.

(2) طه باقر: المرجع السابق، ص 284.

وقد تمثلت الآثار السومرية في مدينة نينوى في الفخاريات، حيث عثر المنقبون على طبقات أختام أسطوانية من عصر فجر السلالات، كما وجد في بلاد آشور نوع من الفخار مصنوع من دولا ب الخزف، وهو مصبوغ ومزين بالحزوز، وأشهر أوانيه الذي يسميه الأثريون "إناء الفاكهة" أو " حامل الفاكهة".⁽¹⁾

مما سبق ذكره يمكن القول بأن آثار التواجد السومري المبكر في بلاد آشور، والتي كشفت عنها التنقيبات الأثرية تشير إلى ازدهار الحضارة السومرية في بلاد آشور، وقد تجلّى ذلك في ازدهار العمران، واتساع مراكزها كالمعابد، وبناء المدن كمدينة آشور، وأيضاً ازدهار الزراعة، و صناعة الأواني الفخارية والخزفية.

ب- بلاد آشور في العهد الأكادي وعهد سلالة أور الثالثة:

لقد كانت سياسة الدولة الأكادية في بدايتها الأولى تسعى لتوحيد جميع الدويلات، والمراكز الحضارية في شمال وجنوب العراق القديم، وكان لا بد من وقوع بلاد آشور ضمن نفوذها، وما يشير إلى ذلك عثور المنقبين في مدينة آشور على نقش في تمثال، وهو عبارة عن نص قصير يحمل اسم الملك الأكادي مانيششتوسو. *⁽²⁾

وكانت مدينة نينوى إحدى المدن الرئيسية في آشور، ولذلك سعى الأكاديون إلى بسط نفوذهم عليها وإقامة المنشآت فيها، حيث عثر المنقبون على قناع برونزي لملك أكادي متأخر، كتب عليه ما يفيد أن المعبد الذي هو بصدد بناءه إنما سبقه في ذلك الملك مانيششتوسو.⁽³⁾

وهذا ما يبين لنا بأنه خلال حكم الملك مانيششتوسو، وربما أثناء فترات طويلة من حكم الإمبراطورية الأكادية، كانت آشور و نينوى جزء من كيان سياسي متكامل.

(1) طه باقر: المرجع السابق، ص 285.

* مانيششتوسو: حكمهما بين 2272-2287 ق م وهو من ملوك الدولة الأكادية، وقد عبر الخليج الفارسي ليهاجم 32 ملكاً على الشاطئ العيلامي، بقصد ضمان استقلال مناجم الفضة والمحاجر، وحصل على مساحات واسعة من الأراضي. أنظر: ديلاپورت.تر: محرم كمال: المرجع السابق، ص 36.

(f) Joannes: dictionnaire de la civilisation méopotamienne. Paris: ed :Robert laffont .S.A .2001.P24

(2) (W) Hallo, William kelty Simpson : op-cit, p112.

(3) هاري ساغز: ت. خالد عيسى، أحمد غسان سبانو: المرجع السابق، ص 30.

وما يشير أيضا إلى وقوع بلاد آشور ضمن النطاق السياسي للدولة الأكادية ، عثور المنقبين في نينوى في الطبقة السادسة من معبد عشتار- سابق ذكره - على أسطوانات حجرية منقوشة بكتابة ترجع إلى عهد الملك الأكادي نارام- سين*، وأيضا تمثال من البرونز لشاب جالس وعليه كتابة تشير إلى الملك نارام-سين⁽¹⁾.

كما أظهرت التنقيبات الأثرية في بعض آثار مدينة نوزى كتابة كاسر "Gassur" ، وهو الاسم الذي استخدمه الأكاديون للإشارة إلى مدينة آشور، وبالتالي يمكن القول بأن مدينة آشور كانت مركز إداريا مهما من مراكز الدولة الأكادية في بلاد آشور.

لم تقتصر التأثيرات الأكادية في بلاد آشور على الأساليب المعمارية والفنية والدينية، وإنما شملت أيضا التأثيرات الثقافية، وذلك من خلال ما تركته اللهجة الأكادية في اللغة الآشورية القديمة المشتقة منها، بحيث يصح القول أن اللغة الآشورية من العصر الآشوري القديم (الألف الثاني قبل الميلاد)، كانت أقرب إلى الأكادية القديمة من اللغة البابلية (كانت اللغة البابلية معاصرة للمرحلة الآشورية في العصر القديم)⁽²⁾.

وقد إحتفظ الآشوريون بذكرى طيبة عن الأكاديين، حتى أن بعض الملوك اتخذوا أسماء أكادية حيث أن حفيد الملك الآشوري إيرشيم الذي حكم من حدود 1941-1902 ق.م ، كان يسمى سرجون، وهو اسم مؤسس الإمبراطورية الأكادية العظيمة نفسه⁽³⁾.

* نارام- سين: (2235-2272) ق.م وهو من أشهر خلفاء سرجون الأكادي، وهو ابن الملك مانبشتوسو، وقد مد نفوذه من الخليج الفارسي حتى آسيا الصغرى، وقد وجدت العديد من التماثيل تدل على مجده كما اتخذ الأكادية لغة رسمية، وإن ظلت السومرية مستعملة في بعض الأغراض. أنظر: ديلاپورت، تر: محرم كمال: المرجع نفسه، ص36، وكذا Joannes(f) : op-cit, PP24. 25.

(1) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ص، 323-324.

(2) طه باقر: المرجع السابق، ص478.

(3) أنطوان موركتات، تر: توفيق سليمان: تاريخ الشرق الأدنى القديم، دمشق: مطبعة الإنشاد، 1967م، ص128.



الصورة رقم 01 : تمثال للملك الأكادي نارام- سين.

وانتهى العهد الأكادي بهجمات جموع الجوتيين*، من المناطق الجبلية الشرقية، والمرجح أن هؤلاء الجوتيين دمروا بلاد بابل، ولم تقل فداحة التخريب عما وقع في بلاد أكاد كتخريب قصر الملك الأكادي نارام-سين، وأيضا تشير الأدلة الأثرية إلى تخريب معبد الإلهة عشتار في أشور.

وقد استمرت سيطرة الجوتيين على بلاد النهرين على ما يزيد القرن من الزمن، ونتيجة لبعدهم في الشمال، وتركهم تصريف الأمور لأبناء البلاد الأصليين، فقد شجع ذلك بعض المدن السومرية مثل أوروك و أور وغيرها على النهوض من جديد لإعادة مجد الحضارة السومرية، وتمكنوا من تحقيق مسعاهم، وطرد الجوتيين وبدأ عصر جديد يعرف بعصر سلالة أور الثالثة⁽¹⁾.

وقد دام حكم سلالة أور الثالثة زهاء القرن من حوالي 2112-2004 ق. م، وحكم خلالها خمسة ملوك، حيث أعيدت للبلاد وحدتها السياسية بعد فترة حكم الجوتيين المظلمة، ولم يكتف ملوك هذه السلالة بإعادة الوحدة السياسية، بل إنهم وسعوا ممتلكاتهم بالفتوحات الخارجية.

وشملت هذه الفتوحات أجزاء مهمة من أنحاء الشرق الأدنى القديم من بينها بلاد آشور، وبلاد عيلام وسورية ووادي الخابور، والأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى ومناطق الخليج العربي.

وقد وجدت بعض الأدلة التي تشير إلى وقوع بلاد آشور ضمن الأقاليم التابعة لملوك أسرة أور الثالثة، ومنها أسماء بعض الولاة التابعين لأسرة أور الثالثة، مثل النائب المسمى "زريقيم" Zariqim"، حيث وجدت كتابة في معبد الآلهة عشتار في مدينة آشور تذكر اسم هذا النائب⁽²⁾.

وقد سقطت أور الثالثة على إثر هجمات الأموريين، حيث تجدد اندفاعهم بكثرة في منطقة ماري بحوض الفرات الأوسط، وفي نفس الوقت هاجم العيلاميون العراق القديم، ووصلوا إلى العاصمة أور، واقتحموها ثم أحرقوها، وانسحبوا منها بعد أن تركوا حامية صغيرة فيها.

* الجوتيين: وهم من أهل الجبال الشرقية، وقد عرفوا بالخشونة، ووصفهم أحد الأدباء السومريين بأنهم وحوش الجبال الذين فتكوا بالرجال والنساء، وسلبوا الأطفال من أمهاتهم، ونهبوا كنوز سومر، وقد تعلموا من الجيوش الأكادية أساليب الحرب المنظمة وعتادها، وظلوا يتحينون الفرصة للانقلاب عليها. أنظر: سليمان توفيق : دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور الى عام 1190 ق. م ، ط.1، دمشق : دار دمشق، 1885، ص ص 140-141 و

(f) Joannes: dictionnaire de la civilisation méopotamienne .op-cit,P356.

⁽¹⁾ (G) Roux : La Mésopotamie, op-cit, pp187-188.

⁽²⁾ (W) Hallo, William kelty Simpson : the ancien near East history , ANEH ,op-cit, p,112.

وكان ذلك نهاية حكم سلالة أور الثالثة التي استمرت نحو مائة عام، وعلى إثر سقوطها إستغلت الكثير من المدن ذلك وأعلنت استقلالها ومنها بلاد آشور.⁽¹⁾

و مما سبق ذكره يمكننا القول أن الآشوريين مروا بمرحلة مضطربة جدا، قبل أن يؤسسوا دولتهم الموحدة الخاصة بهم، فقد كانوا يشقون طريقهم في الحياة السياسية بصعوبة نظرا لكثرة حروبهم مع جيرانهم، فقد خضعت بلادهم للسيطرة السومرية ثم الأكادية، وأصبح أمراؤهم تابعين لهم ثم خضعت للجوتيين، وأخيرا خضعت لملوك أسرة أور الثالثة.

جـ العصر الآشوري القديم:

اتفق المؤرخون على تقسيم التاريخ السياسي للدولة الآشورية إلى ثلاث مراحل أولها العصر الآشوري القديم، و يؤرخ له فيما بين 2006-1500 ق. م، و العصر الآشوري الوسيط فيما بين 1500-911 ق. م، وثالثا العصر الآشوري الحديث أو الإمبراطوري فيما بين 911-612 ق. م.

وشغل العصر الآشوري القديم الفترة من حوالي 2006-1500 ق. م، وهي تقابل العصر البابلي القديم تقريبا، و تعتبر هذه المرحلة اللبنة الأساسية التي قامت عليها الدولة الآشورية و لهذا نوليها اهتماما خاصا و نتحرى الأسس التي قامت عليها.

و في هذا السياق لا بد أن نذكر بأنه حكم آشور خلال هذه المرحلة سبعة عشر ملكا، وذلك حسبما ورد في القائمة التي عثر عليها في خورسياد، غير أنه يرجح أن بعض هؤلاء الملوك كانوا يعاصرون بعضهم البعض.⁽²⁾

و هذا السبب جعل المؤرخين المختصين يقسمون العصر الآشوري القديم الى ثلاث مراحل ، حيث تميزت كل مرحلة بأحداث تاريخية و تقلبات سياسية معينة ،وهي تتمثل فيما يلي:

⁽¹⁾ (G) Roux : La Mésopotamie, op-cit, pp203-206.

⁽²⁾ طه باقر :مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،المرجع السابق ،ص480،ص486.

المرحلة الأولى:

إستغرقت هذه المرحلة الفترة الزمنية فيما بين 1814-2006 ق.م، حيث تميزت بالغموض في المعلومات في كثير من فتراتها، هذا فضلا عن النصوص المكتشفة في المستوطنة التجارية الآشورية في كمبادوكيا في آسيا الصغرى.

وقد ذكرت هذه النصوص اسم الملك بوزور-أشور الأول، الذي استطاع أن يؤسس في نهاية القرن العشرين قبل الميلاد أول أسرة استطاعت أن تحكم آشور مستقلة وقد كان حاكما على مدينة آشور، ثم وسع حدود دولته وضم إليها بعض المدن المجاورة.⁽¹⁾

كما تمكن حفيده المعروف باسم إيلوشوما والذي حكم في حدود 1942-1962 ق.م، ثم ابن هذا الأخير المدعو إيرشيم الأول الذي حكم في حدود 1902-1941 ق.م، أن يوسعوا منطقة نفوذهم نحو الجنوب، ونحو الشرق والغرب، إلا أن هذا لم يحدث دون وقوع اصطدام مع الحكام في بابل، مثلما حدث لما توغل الملك إيلوشوما في الجنوب أثناء حكم الملك إيسين إشمي-داجان dagan Ishme-⁽²⁾

ويرى بعض المختصين ومنهم مورثكات بأن ملوك العصر الآشوري القديم كانوا يعتقدون بأنهم ورثة وحملة الحضارة السومرية والأكادية العريقة، وتأكيدا لذلك فقد كانوا في عصرهم الملوك الوحيدين الذين لم يجر في عروقهم دم غريب، فقد كانت جميع أسماء ملوك هذه السلالة أكادية محضة.

وقد توسعت المملكة الآشورية في عهد الملك الآشوري سرجون الأول حفيد الملك إيرشيم توسعا ملحوظا ناحية الجنوب، إلا أنه لم يكن في مقدور الشعب الآشوري الذي كان في ذلك الوقت قليل العدد نسبيا، أن يحقق إمبراطورية عظمى.⁽³⁾

أما من ناحية الشمال فقد اتسعت في هذه المرحلة الصلات بين بلاد آشور وبين بلاد الأناضول، فقامت فيها جملة من المستوطنات أو المستعمرات التجارية، أنشأها التجار الآشوريون

(1) أحمد أمين سليم: المرجع السابق، المرجع السابق، ص ص 245-246.

(2) (H) lewy : Anatolia in the old assyrian period, the combridge, ancien history, v1, part2, new york : combridge university press, 2008, p, 708

(3) أنطوان مورثكات: المرجع السابق، ص 128.

في الأجزاء الشرقية من تلك البلاد، والتي عرفت باسم "كبادوكيا"، وقد وجدت ثلاث مواقع تشهد بنجاح بارز لسياسة آشور التجارية، وأشهرها منطقة 'كانيش' Kanesh .

وقد عثر المنقبون على العديد من الألواح الطينية المكتوبة في خرائب "كيل-تبه" آسيا الصغرى بالقرب من قيصرية اليوم، وهي تعود إلى أرشيف الوثائق التجارية، وتدل الأسماء المدونة عليها بأنها من مخلفات خمسة أجيال تقريبا، و كتبت هذه الوثائق باللغة الآشورية، وكانت تسمى كبار الموظفين، وهذا ما يفسر وجود علاقات تجارية وثيقة بين بلاد آشور وآسيا الصغرى.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الوثائق أشارت إلى أن أقدم المعلومات التي تتعلق بالاتصالات التجارية بين كبادوكيا وآشور، ترجع إلى عهد الحاكم الآشوري أبرشيم الأول الذي حكم فيما بين 1902-1941 ق. م ، مع مطلع العصر الآشوري القديم.⁽¹⁾

وكانت كانيش (كيل- تبه) مركز السلطة الآشورية في الأناضول على هيئة دولة مدينة، تتبعها جملة مراكز هي الأخرى تتبع نظام دويلات المدن، ويحكمها أمراء من أهل البلاد، وكانوا على علاقات جيدة مع المستعمرات الآشورية.⁽²⁾

وقد وصلتنا نماذج من المعاهدات التي كانت تبرم بين السلطات الآشورية وتلك الدويلات في الأناضول، وفيها أخبار متنوعة كالمصاهرات، فقد كانت هناك علاقات زواج بين التجار الآشوريين والنساء من بلاد الأناضول، وقد تكون له زوجة في آشور وأخرى في الأناضول، وبموجب هذه المعاهدات منح للتجار الآشوريين حق الإقامة في المناطق التجارية، وكانت هذه المعاهدات قابلة للتجديد.⁽³⁾

⁽¹⁾ (H) lewy :op-cit,p,708.

⁽²⁾ (H) lewy ; Ibid,p,709

⁽³⁾ (R) Westbrook: a history of ancien near estern law,VI, Boston : brill leiden,2003, p451,pp 477-478.

وكانت الهيئة الإدارية التي تنظم شؤون المستعمرات التجارية الآشورية في الأناضول، فكانت تعرف باسم "كاروم" karum و يترأسها حاكم يتبعه موظفون آخرون يختصون ببعض المسائل التجارية والإدارية، وكان للكاروم مهام متنوعة كجمع الضرائب من القوافل القادمة وإلزامها بالدفع بالقوة، إن حاولت التحايل، وتشتغل أيضا كمحاكم للعدالة وتوفير مرافق لتخزين البضائع، وكذا منح القروض أي بمثابة مؤسسة مالية للحفاظ على حسابات التجار الفردية والجماعية.⁽¹⁾

أما المسؤول على نقل البضائع التجارية بين بلاد آشور وتلك المراكز التجارية فهي القوافل التي كانت دائمة التنقل بينهما ، و كانت تستأجر القوارب و العربات و الحمير، أما عن السلع التي يتعاملون بها فان الفضة و الذهب في مقدمة السلع المستوردة من الأناضول إلى بلاد آشور، وبالمقابل كانت آشور تصدر للأناضول المنسوجات الصوفية والقصدير.⁽²⁾

وأما عن نهاية هذه المستعمرات في الأناضول، فإن الحفريات في منطقة "كول-تبه" تشير إلى أربعة مستويات من الاحتلال والاستقرار في هذه المدينة، غير أن المستويات الأعمق (الأقدم) لم تظهر أي نصوص ، و معظم الألواح كانت تأتي من الفترة الثالثة من الاحتلال، وقد سبق وأن ذكرنا بأن أقدم أخبار مدونة، عن الإتصالات التجارية بين آشور وكبادوكيا كانت في عهد الملك الآشوري إيرشيم الأول مع مطلع العصر الآشوري القديم.⁽³⁾

وقد انتهت الفترة الثالثة من الاستقرار بحدوث حرائق عامة، ويعتقد الباحثون بأن المكان قد هوجم ونهب، وبقي المكان خرابا مدة ثلاثين أو خمسين سنة، وقد عاد التجار الآشوريون مرة أخرى إلى تأسيس الأنشطة التجارية في منطقة كانيش، وكانت أقدم وثيقة قد كتبت في عهد الملك

⁽¹⁾ (H) lewy :op-cit,pp, 721- 722.

⁽²⁾ طه باقر :المرجع السابق، ص ص 485-486.

⁽³⁾ هاري ساغز ،تر: خالد أسعد عيسى ،أحمد غسان سبانو:عظمة آشور ،المرجع السابق ،48.

الأشوري شمشي- أدد الأول 1781-1813 ق.م.⁽¹⁾

و من كل هذا يتبين لنا أن أهم ما ميز المرحلة الأولى من العصر الأشوري القديم هو اتساع الصلات التجارية بين بلاد آشور و بلاد الأناضول، فقد عثر المنقبون على العديد من النصوص المكتشفة في المستوطنات التجارية الآشورية في كبادوكيا.

- المرحلة الثانية:

وتبدأ المرحلة الثانية من العصر الأشوري القديم، بعهد الملك الأشوري "شمسي-أدد الأول"، وهو زعيم أموري تمكن من تأسيس أسرة حاكمة أخرى في بلاد آشور، وقد تمكنت من أن تحكم آشور بشكل مستقل عن إحدى الدويلات في بابل، وهي مملكة أشنونا* التي فرضت سلطتها عليها.

لقد استطاع هذا الملك الأشوري أن يحقق لدولته كيانا ينافس به دولة البابليين، وجعل نينوى عاصمة لأول مرة، واتسع غربا ناحية دويلة ماري**، ووجدت له عدة رسائل في أرضها، وروت نصوصه أنه أقام نصبا باسمه العظيم في منطقة لبنان على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، أي توسعه هو أقدم توسع آشوري في سوريا.⁽²⁾

(1) هاري ساغر ،تر: خالد أسعد عيسى ،أحمد غسان سبانو: عظمة آشور ،المرجع السابق ،48.

*مملكة أشنونا: (تل الأسمر الحالي) الواقعة في الجهة الشرقية من مجرى نهر ديبالي، وأصبحت دولة خلال حكم أبي-سين آخر ملوك السلالة الثالثة في أور، وأما في مجال التجارة فقد احتلت أشنونا مركزا مرموقا من مجرى دجلة في نقل البضائع، واستطاع الملك حمورابي التغلب عليها وضمها إلى إمبراطوريته. ينظر: هورست كلينكل ، تر : محمد وحيد خياطة: حمورابي البابلي وعصره، ط1، دمشق، دار المنارة للدراسات والترجمة ،1990م، صص 50-51 و اسماعيل حلمي محروس : الشرق العربي القديم و حضارته بلاد ما بين النهرين و الشام و الجزيرة العربية القديمة ،الأسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، 1997 ، ص 35.

** ماري: وهو الاسم القديم لتل الحريري الواقع على بعد 11 كم شمال مدينة البوكمال السورية، وقد لعبت دورا بارزا تحت ظل حكم أسرة سامية في الألف الثالث قبل الميلاد، واستفادت من موقعها على الفرات، فاستغلت مجراه لنقل البضائع التجارية، كما استمرت ضفافه في أعمال الزراعة. أنظر: هورست كلينكل، تر: محمد وحيد خياطة: المرجع السابق، صص 49-50، و محمد علي عبد اللطيف : سجلات ماري و ما تلقى من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري من حوالي 1850 - 1760 ق م. ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2000 ، ص 09.

(2) (D) David Luckenbill;ancient record of assyria and babilonia.VI,Chicago, the university prass,1926, pp 15-16.

ويجمع المختصون بتاريخ الملوك الآشوريين بأن شمسي أدد الأول قد جعل آشور أبرز وأعظم مملكة في ذلك العصر، وذلك نظرا لكفاءته الإدارية ومهارته السياسية، وتظهر مراسلاته الواسعة اهتمامه بجميع الأشياء حوله صغيرها وكبيرها، وكل ما له علاقة بتسيير شؤون مملكته بكفاءة، ومن ذلك مقولته: "إنني عينت حاكما في كل مكان" وتحت الحكام كان هناك سلسلة من الإداريين، وناقلي الأخبار وموظفي الإحصاء.

ولقد نجح هذا الملك بالتحالف مع أمراء حاكمين آخرين، ولا سيما في سورية، إما عن طريق المعاهدات أو بواسطة المصاهرة.⁽¹⁾

ولا نستبعد أن جزءا من نجاحه يرجع دون شك إلى استخدامه للقوة العسكرية، وقد كان شمسي أدد الأول أحسن مثال للحاكم القوي ذو الشخصية المتينة، فقد تمكن من إقامة مملكة قوية تفككت بعد وقت قصير من وفاته والأرجح بسبب ضعف خلفائه من بعده.

وقد خلف هذا الملك ابنه "شمسي- راكان" الذي لم يستطع الحفاظ على دولة أبيه، خاصة وأن الملك البابلي حمورابي*، كان يعمل في ذلك الوقت على توحيد جميع الدويلات العراقية في دولة مركزية واحدة، ومن ثم فقد اصطدمت سياسته مع آشور، وغيرها من الدويلات وقد نجح في آخر الأمر إلى إخضاع بلاد النهرين من الجنوب إلى الشمال، بالإضافة إلى أراضي عيلام، وعقب ذلك أطلق على نفسه لقب حاكم سومر وأكاد وجهات العالم الأربع.⁽²⁾

- المرحلة الثالثة:

وتتميز هذه المرحلة بخضوع آشور لبابل خلال عهد حمورابي، ثم استقلت عنها بعد وفاته،

(1) (D) David Luckenbill, op-cit, pp, 16-17.

*حمورابي: (1750-1792) ق.م، وقد كان سادس ملوك الدولة البابلية الأولى، وكان عهده بداية فترة من الازدهار، ففي الميدان السياسي امتدت سلطة بابل إلى آشور ومملكة أشنونا ومملكة ماري حيث أن هذه الأخيرة شن عليها حربا في العام الخامس، والثلاثين من حكمه حيث هزم ملكها زيميريليم وسقطت العاصمة ماري كما امتدت سلطة بابل إلى جزء من سوريا، ولكن شهرة هذا الملك ترجع إلى أنه وضع مجموعة من القوانين. ينظر: سبتيانو موسكاتي، تر: يعقوب بكر: الحضارات السامية القديمة، بيروت دار الرقي، 1986، ص، 68، و (J)Bottero : l'popee de gilgamés le grand homme qui ne voulait pas mourir, France : édition Gallimard, 1992.

(2) (G) Roux : La Mésopotamie, op-cit, pp,230-235.

بحيث استغلت آشور ضعف الملوك الذين تداولوا على الحكم بعده لمدة تزيد عن قرن ونصف، و كان عليهم أن يواجهوا الأعداء من الداخل والخارج دون أن يتحقق لهم النصر في النهاية.⁽¹⁾

وحكم آشور طيلة هذه المدة عدة ملوك وردت أسماءهم في إثبات الملوك الآشورية، ولكن لا يعرف تسلسل حكمهم، ونذكر منهم الملك الذي يدعى "بوزور- سين"، و"أشور- دكل".

وقد خلف الملك "أشور- دكل" خمسة ملوك آخرين منهم الملك أداسي الذي يرجح أنه حكم في حدود القرن السابع عشر قبل الميلاد، وأنه كان مؤسس سلالة حاكمة في مطلع هذا العصر، ومنهم أيضا الملك إيرشيم الثالث الذي يرجح أنه حكم في القرن السادس عشر، وقد خلفه أربعة ملوك آخرين.⁽²⁾

إن تسلسل هؤلاء الملوك على الحكم دون ترك آثار أو انتصارات تخلدهم وهذا طبيعي لأن الأوضاع في بلاد آشور في هذه المرحلة كانت مضطربة، بحيث اقتضت حدودها على بلاد آشور الأصلية، وقد ظل الأمر كذلك حتى اعتلاء الملك الآشوري بوزور-أشور الثالث والذي حكم في حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد، فيبدأ بعده العصر الآشوري الوسيط و تتغير الأوضاع السياسية للمملكة.⁽³⁾

د- العصر الآشوري الوسيط:

يحدد العصر الآشوري الوسيط من نهاية العصر الآشوري القديم أي من حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ويمتد إلى غاية أواخر القرن العاشر قبل الميلاد.

ويبدأ هذا العصر باستقلال آشور من نفوذ البابليين بعد سقوط دولة بابل الأولى على أيدي الحيثيين الذين ما إن تراجعوا عنها حتى احتلها الكاشيون*. وقد انتهز الآشوريون الفرصة وأعلنوا

(1) أنطوان مورتكات، تر: توفيق سليمان: المرجع السابق، ص ، 162.

(2) طه باقر: المرجع السابق، ص ص. 486- 487 .

(3) أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص 248.

* الكاشيون: لقد كان الكاشيون من شعوب الشرق الجبلية، ويبدو من دراسة أسماء الأعلام، وأسماء الآلهة أنهم كانوا ذوي ثقافة لغوية آرية (هندو-أوروبية)، وقد عاشوا من قبل في بابل زمنا طويلا بعد أن تغلغوا سلميا في المجتمع البابلي، ثم استولوا على السلطة في بابل، وامتد العصر الكاشي فيها حوالي أربعة قرون، وكان الطابع المميز لهذه الدولة هو الطابع الإقطاعي. ينظر: محمد حرب قرزات، عيد مرعي: المرجع السابق ، ص ص، 172-173 و الذانون عبد الحكيم : الذاكرة الأولى ، ط 2 ، دمشق : دار المعرفة ، 1993 ، ص، 101.

استقلالهم، وأصبح لهم قوة لها كيان في ذلك الوقت، إلا أنهم لم يستطيعوا الحفاظ على تلك القوة وذلك نظرا لتطور الأحداث التاريخية في جوار آشور الإقليمي تطورا سريعا.

فقد عرفت الدول الكبرى التي قامت في الشرق الأدنى القديم، في حدود ذلك الزمن، أحداثا هامة، منها أن مصر و بعد طرد الهكسوس في حدود 1580 قبل الميلاد، أقامت مملكة قوية اتسعت إلى إمبراطورية ضمت إليها بلاد سوريا حتى وادي الفرات الأعلى، ودامت زهاء خمسة قرون من حوالي 1580-1080 ق.م.⁽¹⁾

كما ظهرت في حدود هذا الزمن الإمبراطورية الحيثية في الأناضول والتي وقع بينها وبين فراعنة مصر حروب طويلة، وذلك لتبوأ مركز الزعامة على بلدان الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، ولما لم تحرز إحداهما على الأخرى نصرا حاسما فإنهما لجأتا إلى عقد معاهدة صلح تضمنت إحلال السلام والصداقة بين الدولتين و هي معاهدة قادش.⁽²⁾

و لذلك نعتقد بأن ظهور هاتين الدولتين الكبيرتين أي الإمبراطورية المصرية والإمبراطورية الحيثية، قد وقف في وجه الطموح الآشوري بتوسيع المملكة الآشورية، فانكشمت داخل حدودها و هي تتقرب الأحداث و الفرص المواتية وتدرأ عنها الأخطار الخارجية التي كانت تتعرض لها. وكان من بين هذه الأخطار الخارجية الدولة الكاشية في بلاد بابل، حيث لم تخل العلاقات مابين الطرفين من منازعات وحروب ومهادنة وإبرام المعاهدات أيضا.⁽³⁾

كما تعرض الآشوريون أيضا إلى خطر آخر، فقد تكونت بجوارهم في ذلك الوقت من جهة الغرب قوة فتية جديدة وهي قوة الميثانيين، والتي أنشأها الحوريون* في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وقد عرف عن الميثانيين مهاراتهم العسكرية، فقد ذاع صيتهم في تدريب الخيل وتربيتها فقد اكتشف في مخازن بوزغازكوي عاصمة الحيثيين في تركيا، كتاب باللغة الميثانية مكتوب على

(1) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق، ص ص 487-486.

(2) أنطوان مورتكات. تر: توفيق سليمان: المرجع السابق، ص ص، 231-232.

(3) (G) Roux ;op-cit,pp,289-290

*الحوريون: انتشر في العراق القديم شمالا جماعة من شعوب البحر، نزلت من جبالها الشمالية الشرقية، و سكنت الأراضي الكائنة بين أعالي دجلة و الفرات، و الذين سمو بحوريين، و قد قام هؤلاء بقطع الاتصال التجاري بين بلاد آشور و بابل من جهة و بين الشمال و آسيا الصغرى من جهة أخرى، و لم ينشروا ثقافتهم في الشمال فقط بل إلى الجنوب. عن فرج بصمجي: أقوام الشرق الأدنى القديم، مجلة سومر، المرجع السابق، ص 93، ص 96. و بريستد جيمس هنري، تر: أحمد فخري: انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1963، ص 206.

أربعة رقم عنوانه: تدريب الخيل وتربيتها.⁽¹⁾

ويمكننا أن نستدل من هذا الكتاب المكتوب باللغة الميثانية على أن الحيثيين كانوا يتعلمون تربية الخيول من الميثانيين.

وقد استطاعت دولة ميثاني أن تفرض سيطرتها على بلاد آشور ما يقارب القرن ونصف القرن، وقد كان الملوك الآشوريون أثناء هذه الفترة يدفعون لها ضريبة سنوية.

ويمكن تخصيص الخمس ملوك ابتداء من الملك الآشوري بوزور آشور الثالث إلى قيام الملك الآشوري الشهير آشور أوباليط الأول الذي حكم في حدود 1330-1365 ق.م، بأنهم حكموا في تلك الفترة المظلمة، حيث كانت آشور تحت سلطة الميثانيين والتي يمكن وضع نهايتها في عام 1365 ق م، وهو العام الذي جاء فيه إلى عرش آشوري الملك الآشوري القوي آشور أوباليط الأول.⁽²⁾

وقد استطاع هذا الملك أن يخلص بلاد آشور من سيطرة دولة ميثاني مستغلا فرصة تعرض هذه الدولة لهجمات جيرانها الحيثيين المتكررة، حيث بدأت تضعف وتخسر سلطتها شيئا فشيئا، كما قام أيضا الملك آشور أوباليط الأول بالتحالف مع الحيثيين ضد دولة ميثاني، فسقطت هذه الأخيرة على أيدي الحيثيين عام 1365 قبل الميلاد.⁽³⁾

و من جهة أخرى استغل هذا الملك الآشوري ضعف الدولة المصرية في عهد الفرعون أخناتون*، الذي قام بثورة دينية كانت سببا في إضعاف الدولة المصرية في الداخل والخارج.

(1) فرج بصمجي : أقوام الشرق الأدنى القديم ،مجلة سومر،المرجع نفسه،ص 96.

(2) (D) David Luckenbill;ancient record of assyria and babilonia op-cit ,pp,21-23.

(3) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص ص، 496-497.

*أخناتون :و هو من فراعنة مصر ، كما يعرف كذلك أمنتب الرابع و حكم من حوالي 1350-1367 ق،م، و قد أقام ديانة التوحيد لعبادة اله واحد و هو قرص الشمس (أتون)،و لما كانت طيبا هي مركز العبادة القديمة للاله آمون،فان هذا الفرعون نقل عاصمة ملكه منها الى مدينة اخيتا و معناها قرص الشمس و مكانها الحالي تل العمارنة،و انشغاله بديانته الجديدة أدى الى اهماله شؤون الحكم لمزيد من المعلومات أنظر :سمير سرحان ،صليحة أحمد و آخرون:الموسوعة الأثرية العالمية،ط2،دك،مطابع الهيئة المصرية للكتاب ،1997،ص 49 و كذا :

(G) Rachet: dictionnaire de la civilisation égyptienne , Paris: éditions françaises ,1992,pp24-25.

كما استطاع آشور أوباليط أيضا أن يتدخل في شؤون بلاد بابل المحادية له من ناحية الجنوب، والتي كانت تحت سلطة سلالة بابل الثالثة أي الكاشيين، وذلك عن طريق المصاهرة.⁽¹⁾ وبهذا كله نستطيع القول أن الملك الأشوري آشور أوباليط الأول قد تمكن من وضع أسس الدولة الآشورية القوية، وحدد سياستها العامة إزاء الأخطار الخارجية التي كانت تهددها، وفرضت عليها الانكماش داخل حدودها لفترة طويلة أمام القوى الدولية الأساسية كدولة ميثاني ودولة بابل الكاشية، والإمبراطورية الحيثية والمصرية.

و نظرا لأهمية المرحلة الثانية من التاريخ الأشوري ألا وهي العصر الأشوري الوسيط، حيث استطاعت آشور خلال هذه المرحلة تأسيس الدولة الآشورية القوية مستغلة في ذلك اختلال موازين القوى الدولية آنذاك أي حوالي القرن الثاني عشر و هذا بسبب تحركات شعوب البحر التي أدت إلى ضعف و انهيار إمبراطوريات عظمى بالإضافة إلى أزمات أخرى للدول الكبرى، ولذلك سوف نتناولها لاحقا بالتفصيل.

⁽¹⁾ طه باقر: المرجع السابق، 489.

الفصل الثاني

أزمات الشرق الأدنى القديم و انعكاسها على

آشور فيما بين القرنين 12- 9 ق.م

المبحث الأول: ظروف العراق الداخلية

I- حكم الميثانيين لأشور

- 1- الاحتلال الميثاني
- 2- التحرر من السيطرة الميثانية
- 3- إنشاء الدولة الآشورية
- أ- مجهودات آشور أوباليط الأول
- ب- مجهودات خلفاء آشور أوباليط الأول

II- سيطرة آشور على بابل الكاشية

- 1- سلالة بابل الثالثة (الكاشيون)
 - أ- سياسة الكاشيين الداخلية
 - ب- سياسة الكاشيين الخارجية
 - 2- انهزام الكاشيين أمام الآشوريين
- ### المبحث الثاني: ظروف العراق الخارجية

I - حيثاً

- 1 - نشأة وتطور الدولة الحيثية
- 2 - الصراع الحيثي المصري من أجل السيطرة على سوريا
- 3- حيثاً وأشور
- 4 - حيثاً وشعوب البحر

II - فلسطين

- 1- موقع فلسطين وأهميتها الجغرافية
- 2- القوى الطامعة فيها
- 3- الاصطدام اليهودي - الفلسطيني وانعكاسه على آشور

III- مصر

1- الأحوال الداخلية لمصر في عهد الأسرة العشرين

2- الأحوال الخارجية لمصر في عهد الأسرة العشرين

أ - مصر والليبيين

ب - مصر وشعوب البحر

ج - تراجع النفوذ المصري على الساحل الفينيقي

المبحث الأول: ظروف العراق الداخلية

I- حكم الميثانيين لأشور:

1- الاحتلال الميثاني :

إن السياسة الداخلية للعراق القديم مرتبطة إلى حد كبير بما يحيط بها على الساحة الدولية، وما هي إلا انعكاس لهذه الأحداث.

وحتى نحيط بالأحداث التي سبقت قيام الإمبراطورية الآشورية، والظروف التي أحاطت بشأنها، لا بد لنا أن نرجع قليلا إلى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ، فقد كانت تلك الحقبة أكثر حقب التاريخ القديم فوضوية واضطرابا، وقد امتدت الفوضى من بلاد اليونان القديمة حتى بلاد النهرين، ومن شمالي الأناضول حتى سواحل مصر الشمالية، إذ ظهر تمرد السكان المحليين على الإمبراطوريات العظمى، وغزت موجات شعوب البحر المنطقة، وتسببت في انهيار إمبراطوريات كبرى، وضعف أخرى.⁽¹⁾

وقد تمكنت العناصر الحورية في القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد أن تؤسس دولة عرفت باسم "دولة ميثاني"، وكانت تتألف من مجموعة من الإمارات التي ترتبط برأس الدولة، أي ملك ميثاني ، وهو شبيه بالارتباط الإقطاعي، وكان على رأس الدولة والمجتمع طبقة أرستقراطية، بالإضافة إلى العناصر الحورية القديمة.

واتخذت هذه الدولة مدينة واشو كاني washu kani ، التي أسستها في حوض الخابور عاصمة لها، ولم يحدد موقعها بوضوح بعد، إلا أنه من الممكن ربطها بتل فخيرية عند أعالي منابع الخابور.⁽²⁾

(1) دانييه جمال الدين يعقوب: سياسة الدولة الآشورية الحديثة في بلاد الشام ما بين (911-610) ق.م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الشرق القديم ، جامعة دمشق، 2008-2009، ص34.

(2) الهاشمي تغريد جعفر ،حسن الحسين عكلا :الانسان تجليات الأزمنة ،تاريخ و حضارة بلاد الرافدين ،الجزيرة السورية ، ط.1 ،دمشق : دار الطليعة الجديدة ، 2001 ، ص 207.

وقد بلغت الدولة الميثانية ذروة نفوذها السياسي والعسكري في زمن ملكها سوستاتارا sustatar نحو عام 1500 قبل الميلاد، حيث امتد نفوذها في عهده من جبال زاغروس في الشرق إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط في الغرب، وأصبحت بلاد آشور ضمن ذلك النفوذ، حيث شن هذا الملك حربا على آشور واخترق حدودها الغربية ثم احتل العاصمة آشور، وعاد إلى عاصمة محملا بغنائم، ومن بينها باب مرصع بالذهب والفضة.⁽¹⁾

ونتيجة لبسط دولة ميثاني سيطرتها على بلاد آشور أصبحت آشور ذات وضع ثانوي، ملكها ضعيف لا وزن له على الصعيد الداخلي والخارجي .

في حين لعبت ميثاني خلال هذه الفترة دورا دوليا مهما، ولا سيما في إشعال العداوة بين الحيثيين والمصريين خاصة و أنها تمارس منازعاتها وحروبها على الأراضي السورية التي كانت ميدانا للمنازعات الدولية، وتكشف لنا مصنفات ونصوص تل العمارنة * حدة التعقيدات الدبلوماسية في المنطقة أثناء القرن الرابع عشر قبل الميلاد.⁽²⁾

و من كل هذا يتجلى واضحا أن الأوضاع الدولية قد تغيرت ابتداء من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد أي حوالي 1450 ق.م، وأن القوى الدولية الأساسية التي سيطرت على العالم القديم بعد ذلك التغيير هي دولة ميثاني، مملكة بابل الكاشية، الإمبراطورية الحيثية والإمبراطورية المصرية، أما آشور فلم تكن سوى قوة ثانوية، تمر في مرحلة التراجع والانكماش.

⁽¹⁾ (J) claude Morgueron : la Mésopotamie le temps et l'espace, T1, Paris ; armand colin éditeur, 1991,p77.

*نصوص تل العمارنة: في عام 1887م عثر المنقبون على ألواح طينية في تل العمارنة ويطلق عليها اصطلاحا رسائل تل العمارنة وهي عبارة عن مجموعة رسائل من ديوان الفرعون أمنحوتب الثالث و ابنه أخناتون ،وهي تتضمن رسائل متبادلة بين كل من الفرعونيين و بين الملوك و الولاة في بلاد سوريا ،ومن أهم الموضوعات التي تناولتها هذه الرسائل هي الهدايا و الهبات المتبادلة بين مصر والحكام الأجانب بالإضافة إلى الزواج الدبلوماسي . عن :سمير أديب :موسوعة الحضارة المصرية القديمة ،المرجع السابق ، ص293 ، و

Guy Rachet: dictionnaire de la civilisation égyptienne : op-cit, p27.

⁽²⁾ (J) claude Morgueron : op-cit, p77.

2- التحرر من السيطرة الميثانية:

لقد امتدت ميثاني في توسعها الأكبر إلى كيليكا في آسيا الصغرى غربا، وحتى مجال النفوذ المصري في سورية الجنوبية جنوبا، وإلى منطقة نوزي عند سفوح جبال زاغروس شرقا، وكان نفوذها يقوى ويتعاضم كلما ضعفت سلطة الحيثيين.⁽¹⁾

في حين ازداد وضع بلاد آشور سوءا بتعاضم قوة هذه الدولة، إذ استطاع الملك سوستتارا احتلال العاصمة آشور. - كما ذكرنا سابقا. - وتمكنت ميثاني من فرض سيطرتها ونفوذها على آشور ما يقرب من القرن ونصف القرن.

و ناضلت آشور خلال هذه الفترة للتخلص من سلطة الميثانيين لكن بدون نتيجة إلى أن تغيرت الظروف الخارجية في المنطقة و التي ساعدت الآشوريين على التخلص من الميثانيين، بل والقضاء عليهم، وتمثل هذا في انشقاق داخل البيت الميثاني المالك، إذ حدث نزاع على السلطة بين أحفاد الملك سوستتارا و هما توشراتا Tushratta وشقيقه أرتاتاما Aratatama ، وقد تحصل هذا الأخير على تأييد الحيثيين له، واشتعلت الحرب الأهلية.

وبالتالي ضعفت دولة ميثاني، ومكنت في نهاية المطاف الملك الحيثي "سوبيلوليوما" "suppiluliuma" من السيطرة على جميع أراضي ميثاني في الغرب، ونهب عاصمتهم واشوكاني.⁽²⁾

وفي خضم هذه النزاعات الكبيرة، انطلقت القوة الآشورية بعد مرور حقبة طويلة من الخمول، فعادت إلى الظهور كقوة حقيقية ابتداء من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ومعها الملك الطموح آشور أوباليط الأول "ashur uballit" الذي حكم فيما بين 1330-1365 ق. م.⁽³⁾

(1) تغريد جعفر الهاشمي، حسن حسين عكلا: المرجع السابق، ص ص 239-240.

(2) (J).R.Mcintosh : Ancient mésopotamia New perspectives, oxford : santa barbara, denver colorado, 2005,p93.

(3) (J) claude Morgueron : op-cit, pp,79-80.

لقد عاصر آشور أوباليط الحرب الأهلية في ميثاني وشهد أحداثها، لذلك شكل مع منطقة " ألشي" الواقعة في شمال ميثاني جبهة شمالية- شرقية، وتحالفت هذه الجبهة مع الملك الحيثي سويلوليوما وكونا حلفا ضد ميثاني وملكها توشراتا.

وتوج هذا الحلف بإعلان حرب على ميثاني، قتل أثناءها الملك الميثاني توشراتا، اضطر ابنه شاكيوازا " Shatiwaza " إلى اللجوء إلى بلاط الحيثيين.⁽¹⁾

وبالتالي يتضح أن الملك القوي والطموح آشور أوباليط الأول قد استطاع بدهائه أن يخلص بلاده من النفوذ الميثاني، بل إنه ساهم في القضاء عليها، من خلال تحالفه مع الحيثيين ضد ميثاني وذلك بعد انتهازه فرصة حدوث انشقاق داخل البيت المالكي الميثاني.

⁽¹⁾(J). R.Mcintosh: op-cit, p93

3- إنشاء الدولة الآشورية القوية :

أ- مجهودات آشور أوباليط الأول:

بعد أن تخلصت آشور من سيطرة دولة ميثاني في عهد ملكها القوى آشور أوباليط الأول، كان من الطبيعي أن تبحث لها عن علاقات سياسية وتجارية مع دول الجوار الجغرافي.

ولذلك أخذت آشور تتحرك على الصعيدين الدبلوماسي والتجاري الخارجين، فأقامت علاقات تجارية مع مصر، ولاسيما بعد زوال المملكة الميثانية التي كانت تسيطر على الطريق التجاري بين بلاد النهرين ومصر.

واتضحت العلاقات الدبلوماسية بين آشور ومصر من خلال إقامة علاقات ودية بين الطرفين، وأيضاً تمكن آشور أوباليط الأول من نيل احترام الفرعون أخناتون (أمنحتب الرابع)، وقد بعث له الملك الآشوري برسالة ومعها عربة حربية يجرها حصان أبيض، وخاتم من اللازورد، وغيرها من الهدايا.⁽¹⁾

وقد تضمنت الرسالة التي بعث بها الملك الآشوري إلى فرعون مصر مايلي: " هكذا يقول آشور أوباليط الأول، لتكن بخير أنت وذويك، وبلادك ومراكبك وجنودك، لقد أرسلت إليك مبعوثي لكي يراك، ويرى بلادك، وإنني أقيم الاتصال معك اليوم، رغم أن أجدادي لم يقدم على ذلك من قبل، أرسل إليك عربة جميلة، وحذاء وجوهرة من اللازورد كهدية لك، لا تؤخر رسولي الذي أرسلته ليراك، عليه أن يراك ويعود دعه يطلع على أحوالك وبعدها دعه يعود".⁽²⁾

ويظهر من خلال هذه الرسالة أن آشور أوباليط الأول قد أرسل مبعوثاً إلى الفرعون المصري ومعه هدايا للفرعون، ومن الواضح أن الملك الآشوري لا يفكر أن يصبح تابعاً لمصر، بل كان يريد أن يستفيد من هذه الروابط لصالح آشور.

(1) (M) Road : Atlas de la Mésopotamie et du Proche-Orient ancien , Brépols :édition français,1991,p139.

(2) هاري ساغز، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، المرجع السابق ، ص ص58-59.

ومن جهة أخرى فقد توجه الملك آشور أوباليط الأول ناحية الكاشيين وأقام علاقة مصاهرة مع ملكها حيث زوج ابنته للملك الكاشي ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى إيجاد منفذ للتدخل في الشؤون البلاط البابلي.⁽¹⁾

أما عن السياسة الداخلية للملك آشور أوباليط الأول ، فإنه بعد التخلص من الهيمنة الميثانية الطويلة على آشور سعى إلى توسيع الرقعة الجغرافية لبلاده ، فسيطر على بعض أراضي شرق ميثاني، ومنطقة كبيرة إلى الشمال والشرق، وظل جزء من أراضي الدولة الميثانية المنهزمة مؤقتا منطقة عازلة بين القوى الصاعدة من الحيثيين والأشوريين، بالإضافة إلى تحقيقه انتصارات عسكرية في شمال سوريا.⁽²⁾

كما أرسى آشور أوباليط الأول أسس الدولة الآشورية القوية فأقام نظام مركزيا قويا، بعد أن كانت الدولة مقسمة إلى مقاطعات يديرها حكام محليون، وكانت مسؤولة على تقديم خدمات الإمدادات العسكرية، وأيضا جباية الأراضي... إلخ، وهو ما يعرف بالإدارة المحلية.

والى جانب هذه الإدارة المحلية، كانت الإدارة المركزية تتكون من العديد من الموظفين الكبار الذين أفادوا الملك مباشرة، فقد كانوا مسؤولين على الإشراف على المعاملات الملكية، وأيضا الإشراف على الحكام المحليين، في حين كان الوزير له مهام عسكرية ومدنية وقضائية، وكذا رئيس القصر الذي كان مسؤول عن الموظفين في القصر، وغير ذلك من المناصب.⁽³⁾

وبالتالي يمكننا القول بأن الحنكة والخبرة السياسية والإدارية لأشور أوباليط الأول، قد مكنته من إقامة علاقات دبلوماسية مع فرعون مصر القوي، ونالت احترامه وأيضا مع بابل في العهد الكاشي، بالإضافة إلى إقامة نظام مركزي قوي، وهذا كله أدى إلى وضع أسس الدولة الآشورية القوية على الصعيدين الداخلي والخارجي.

⁽¹⁾ (D) David Luckenbill; ARAB, op-cit, p, 21

⁽²⁾ J-(R). McIntosh : AMNP , op-cit, p93

⁽³⁾ (R). Westbrook : a history of ancient near eastern law, op-cit, pp, 522-523.

ب- مجهودات خلفاء آشور أوباليط الأول:

لقد استطاع الملك آشور أوباليط الأول وضع أسس الدولة الآشورية القوية، لكن كان على الملوك الذين خلفوه التزام السياسة الحكيمة في تقوية الدولة، و العمل على توسيع نفوذ السلطة الآشورية .

ومن أجل ذلك كان على خلفاء آشور أوباليط الأول مواصلة دعم قواهم العسكرية، وتمتين علاقاتهم مع بعض الممالك والإمارات الأخرى في غرب آسيا، إذا ما أرادوا الصمود على مسرح الأحداث، خاصة وأن الدولة الحيثية في الشمال كانت تتحين الفرصة للقضاء عليهم هذا من جهة ، و من جهة أخرى أصبح الكاشيون يشكلون عبئاً أثقل كاهل الآشوريين، لذلك اضطر خلفاء آشور أوباليط الأول لشن حروب وقائية من جهة، وتوسيعه من جهة أخرى.⁽¹⁾

لقد أعقب عهد واضع أسس الدولة الآشورية القوية آشور أوباليط الأول فترة قوية تولى حكمها ثلاثة ملوك واصلوا السير قدماً من أجل بناء الدولة الآشورية.

و كان "أدد- نيراري الأول" الذي حكم فيما بين 1307-1275 ق. م، أول هؤلاء الملوك الأقوياء ، حيث افتتح فترة حكمه بالتوسع من جديد على حساب عاصمة الدولة الميثانية "واشوكاني".

وتجدر الإشارة إلى أن دولة ميثاني لم تنهار نهائياً بل بقيت، وإن كانت ضعيفة، وهذا ما مكن الملك آشور أوباليط الأول من انتزاع بعض أراضيها، وضمها إلى إقليم آشور ، غير أن ابن الملك الميثاني المنهزم، كان قد لجأ إلى الحيثيين، وتمكن في وقت لا حق من الرجوع إلى عاصمة والده، وحكم بعض المدن الميثانية بصفة محدودة جداً.⁽²⁾

وقد كان سبب توسع الملك الآشوري أدد- نيراري الأول على عاصمة الدولة الميثانية واشوكاني هو بداية توتر العلاقات من جديد بين ما تبقى من مملكة ميثاني والمعروفة في المصادر الآشورية باسم خانيجلبات "Khanigalbat" في المصادر الآشورية، وبين آشور، و قد انتصر

(1) تغريد جعفر الهاشمي، حسن حسين عكلا: المرجع السابق، ص 240-241.

(2) محمد حرب قرزات، عيد مرعي: دول و حضارات المشرق القديم، المرجع السابق، ص 171.

الملك الآشوري على ملك خانيجلبات، وأخذ أسيرا إلى جانب أتباعه إلى مدينة آشور، أما في الجنوب فقد استطاع أدد- نيراري الأول الانتصار على بابل (الكاشيين).⁽¹⁾

ومن هنا يتبين لنا أنه كان للملك أدد -نيراري الأول دور كبير في عملية التوسع الآشوري، فهو يذكر في نصوصه البلاد التي حاربها واستطاع الانتصار عليها، كالعاصمة الميثانية القديمة واشوكاني و الكاشيين في الجنوب.

وخلف الملك أدد- نيراري الأول ابنه شلمنصر الأول، والذي حكم فيما بين 1245-1274 ق. م، واشتهر بفتوحاته الخارجية وتقوية كيان الدولة ووصلت حملاته إلى الجهات الشمالية والشمالية الشرقية، كما قام هذا الملك بإقامة عاصمة جديدة، وجعلها عاصمته العسكرية وسميت باسم كالح، وتعرف أطلالها اليوم باسم نمرود، وتقع في جنوب شرقي مدينة الموصل.⁽²⁾

و هذا ما يجعلنا نستنتج بأن شلمنصر الأول هو أول ملك آشوري قام ببناء عاصمة عسكرية وذلك إلى جانب العاصمة القديمة آشور، وهذا ما سيعزز المؤسسة العسكرية الآشورية ، ويمدها بالأسلحة والعتاد، إلى جانب استيعاب عدد أكبر من معدات القتال والعناية بالخيول والعربات.

كما واصل ولي عهده وخليفته المدعو توكلتي نينورتا الذي حكم فيما بين (1244-1208 ق.م هذه المجهودات كانت في مجموعها إكمال المشروع العظيم الذي بدأه جده ثم أبوه من أجل بناء الدولة الآشورية.

وقد غزت جيوش هذا الملك الآشوري المنطقة الواسعة في الجبال الشمالية، حيث جعل من أمراء تلك المنطقة المغلوبين أتباعا خاضعين لنظام التجنيد وجباية الأراضي، وبالتالي عليهم في هذه الحالة أن يؤمنوا العمال لقطع الأخشاب وإرسالها إلى آشور.⁽³⁾

وهكذا بدأ توكلتي نينورتا الأول استثمار غابات طوروس الشرقية خدمة لمشاريعه العمرانية في آشور، وكان على الأمراء تقديم جزية سنوية لآشور.

(1) (M)-Rankin: Assyrian Military power 1300-1200 B.C, the combridge ancient history, VII .Part 2, United kingdom: Combridge university press ,2008,pp,274-277.

(2) (D) David lukanbill: ARAB, op-cit , pp,47-48.

(3) هاري ساغز، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور، المرجع السابق، ص ص71-73.

ومن هنا يتجلى لنا واضحا أن الملك توكلتى نينورتا قد فاق أجداده ليس في شساعة حدود دولته فحسب بل استثماره من الناحية الاقتصادية للمناطق التي كانت تحت سيطرته.

كما وقع في عهد هذا الملك غزو بابل التي كانت تحت الحكم الكاشي والسيطرة المباشرة عليها، وأما في أواخر عهد هذا الملك فإنه حدثت مشاكل داخلية في آشور، وأدت في النهاية إلى إغتياله ، وذلك إثر مؤامرة اشترك فيها ابنه وبعض الأمراء والقادة.⁽¹⁾

وأعقب حكم الملك توكلتى نينورتا فترة من الضعف دامت زهاء القرن، وذلك من حدود 1208 إلى 1115 قبل الميلاد، وقد حكم في هذه الفترة تسعة ملوك ضعفاء إلى أن وصل إلى الحكم الملك تجلات بلاسر الأول، و حكم فيما بين 1077-1115 ق. م.⁽²⁾

و هنا يجدر بنا ذكر أن الملك تجلات بلاسر الأول ، قد أعاد للدولة سيادتها، وقام بغزوات ناجحة في الشمال الشرقي والشمال، حتى وصل إلى البحر الأسود، ثم اتجه بعد ذلك إلى الغرب نحو سواحل آسيا الصغرى و فينيقية ، ثم أخضع بابل.

ومن هنا يتبين لنا أن هذا الملك الأشوري أصبح يحكم معظم أنحاء الشرق الأدنى من البحر الجنوبي إلى البحر الشمالي، وساحل البحر الأبيض المتوسط غربا.

كما أسفرت هذه الحروب والانتصارات على دخول أموال كثيرة إلى خزائن الدولة الآشورية، مما كان له أثره في انتعاش الحركة المعمارية وإعادة بناء أسوار آشور، التي إتخذها الملك عاصمة لدولته مرة ثانية وذلك بعد أن نقل منها الملك شلمنصر الأول مركز الحكم إلى كالح.⁽³⁾

ومما سبق ذكره يمكننا القول بأن الحياة السياسية للآشوريين قد عرفت الكثير من الصعوبات، وذلك نظرا لكثرة حروبهم مع جيرانهم الميثانيين والكاشيين... إلخ، وإن كان لهذا الصراع فوائد فقد ساعدهم في أن يتبلور لديهم مخطط سياسي وحربي واضح، وهو الخروج من العزلة، والتوسع في معظم أنحاء الشرق الأدنى القديم، وإيجاد مكانة لآشور بين القوى العظمى آنذاك.

(1) هاري ساغز، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور، المرجع السابق، ص ص71-74.

(2) طه باقر :مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق ، ص ص491-492.

(3) (G) Roux : La mésopotamie, op-cit, pp.322-324.

قائمة الملوك الآشوريين ابتداءً من العصر الآشوري الوسيط.

طه باقر :المرجع السابق ، ص،626.

تسلسل	اسم الملك	تاريخ الحكم
67	إنليل- ناصر الثاني	1432 - 1427 ق.م
68	أشور- نيراري الثاني	1426 - 1420 ق.م
69	أشور- بيل- نشيشو	1419 - 1411 ق.م
70	أشور- ريم- نشيشو	1410 - 1403 ق.م
71	أشور- نادن- أخي الثاني	1402 - 1393 ق.م
72	إريبيا- أدد الأول	1392 - 1366 ق.م
73	أشور- أوبالط الأول	1365 - 1330 ق.م
74	إنليل- نيراري	1329 - 1320 ق.م
75	ارك- دين- ايلي	1319 - 1308 ق.م
76	أدد- نيراري الأول	1307 - 1275 ق.م
77	شلمنصر الأول	1274 - 1245 ق.م
78	توكلتي- نينورتا الأول	1244 - 1208 ق.م
79	اشور- نادن- ابلي	1207 - 1204 ق.م
80	اشور- نيراري الثالث	1203 - 1198 ق.م
81	إنليل- كودوري-أوصر	1197 - 1193 ق.م
82	نينورتا- ابل- إكور	1192 - 1180 ق.م
83	اشور- دان الأول	1179 - 1134 ق.م
84	نينورتا- توكلتي- آشور	؟
85	متكل- نسكو	؟

86	أشور- ريش- أيشي	1133 - 1116 ق.م
87	تجلات بلاصر الأول	1115 - 1077 ق.م
88	أشارد- ابل- إكور	1076 - 1075 ق.م
89	أشور- بيل- كالا	1074 - 1057 ق.م
90	إريبا- أدد الثاني	1056 - 1055 ق.م
91	شمسي- أدد الرابع	1054 - 1051 ق.م
92	أشور- نصر- بال الأول	1050 - 1032 ق.م
93	شلمنصر الثاني	1031 - 1020 ق.م
94	أشور- نيرا ري الرابع	1019 - 1014 ق.م
95	أشور- رابي الثاني	1013 - 973 ق.م
96	أشور- ريش- أيشي الثاني	972 - 968 ق.م
97	تجلات بلاصر الثاني	967 - 935 ق.م
98	أشور- دان	934 - 912 ق.م

II - سيطرة آشور على بابل الكاشية:

1- حكم سلالة بابل الثالثة (الكاشيون):

مما لا شك في أن الملك حمورابي استطاع أن يسير دولة عظيمة بدهاء لم يخل من قسوة وعنف فقد كان سيد وادي النهرين بلا منازع من أقصى شمال وادي النهرين إلى الخليج العربي، و لكن هذه الدولة المترامية الأطراف لم تعمر طويلا، فقد عانت الدولة من بعد هذا الملك من مشاكل وفتن داخلية بالإضافة إلى الأخطار المحدقة بها من الخارج.

ومن ذلك نجد أن حدود الدولة البابلية قد تقلصت عما كانت عليه سابقا، إذ انفصلت عنها مقاطعاتها الشمالية والجنوبية منذ نهاية عهد الملك سمسو إلينا الذي حكم فيما بين 1712-1749 ق.م وهو ابن الملك حمورابي، وهكذا عجز هذا الملك على المحافظة على وحدة الدولة المركزية، واستمرت الاضطرابات الداخلية وذلك إلى غاية آخر الملوك البابليين سمسو- ديتانا، والذي حكم فيما بين 1624- 1594 ق.م، حيث استطاع الملك الحيثي مورسيلي الأول أن يصل إلى بابل مرورا بحلب، ويطرد آخر ملك بابلي من العرش.⁽¹⁾

و بالتالي يتضح لنا أن ضعف خلفاء الملك حمورابي، بالإضافة إلى انفصال العديد من الولايات عن الدولة البابلية، أفقدها الوحدة و المركزية، و سمح بدخول الحيثيين واستيلائهم على بابل.

و بذلك إنتهى حكم سلالة بابل الأولى على يد الحيثيين، إلا أن الملك الحيثي لم يبق في بلاد بابل، وإنما اضطر إلى الانسحاب إلى عاصمته حاتوشاش، وذلك لأسباب مجهولة، فاغتنم الكاشيون الفرصة، وأقاموا سلالة بابل الكاشية، وعرفت باسم سلالة بابل الثالثة ودام حكمها زهاء أربعة قرون (1162-1595) ق.م.⁽²⁾

(1) هورست كلينكل، تر: محمد وحيد خياطة: حمورابي البابلي وعصره، ط1، دمشق: دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، 1990م، ص ص64-67.

(2) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق، ص435، ص448.

أ- سياسة الكاشيين الداخلية:

لقد رأينا كيف استطاع الكاشيون احتلال بابل و إقامة دولة بابل الكاشية ، و من الطبيعي أن تعمل هذه الدولة على إقامة نظام مركزي قوي و وضع أسس الدولة الكاشية على الصعيد الداخلي

فقد ساد الكاشيون جزءا كبيرا من العراق، ولكن أعدادهم كانت قليلة وحضارتهم القومية خشنة و ضئيلة، فاكثفوا بأن اعتبروا أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بين السكان الأصليين، وانتفعوا بحضارة بلاد النهرين وقلدوا فنها في مبانيهم ومعابدهم وتماثيلهم، واعتبروا اللغة البابلية السامية لغة الكتابة الراقية إلى جانب لغتهم الخاصة، كما سوى الكاشيون بين آلهتهم وبين الآلهة البابلية.⁽¹⁾

وبنى الكاشيون عاصمة خاصة بهم إلى جانب العاصمة القديمة مدينة بابل، وهي المعروفة باسم " دور-كوريغالزو"، وتعرف اليوم باسم عقرقوف وتقع شمال شرق بابل قرب مدينة بغداد، وقد كانت مركز قيادة الإله إنليل.⁽²⁾

وقد أدخل الكاشيون إلى العراق الحصان ذلك أن هذا الحيوان لم يستأنس حتى أواخر الأسرة البابلية الأولى، فما إن جاء الكاشيون حتى أدخلوا سلالات جديدة من سهوب آسيا والتي طغت على الحمير الجبلية.⁽³⁾

ومن هنا يتبين لنا أن الكاشيين قد أولوا عناية فائقة بالخيل وتربيتها، وهي عادة من عادات الشعوب الهندو أوروبية.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن القبائل الكاشية الهند وأوروبية إنما استقرت في وسط وجنوب العراق فقط دون الشمال، وامتلكت مقاطعات زراعية واسعة ، فقد كان الملوك الكاشيون يمنحون الأراضي لبعض الأفراد كي تصبح إقطاعيات لهم ولأبنائهم من بعدهم، وقد امتلكت كل قبيلة إقطاعية كبيرة شيدت بها مدن وقرى.

(1) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص 480

(2) خزعل الماجدي: انجيل بابل ، ط1، عمان: الأهلية للنشر و التوزيع ، 1994م، ص، 268.

(3) (G) Roux ;La mésopotmie,op-cit,pp,289-290

و هذا ما يجعلنا نستنتج بان النظام القبلي المرتبط بحق الأرض إنما أدخل الى العراق القديم في العصر الكاشي.

وقد كان هناك حكم متوازي في بابل بين الكاشيين وخلفاء حمورابي، وكان عدد الملوك الكاشيين تسعة ملوك، إلا أنهم حكموا خارج بلاد بابل، حيث استطاع الملك البابلي سمسو-ايلونا والذي حكم فيما بين 1749-1712 ق.م، وخلفاؤه أن يصدوا الكاشيين فاتجهوا إلى منطقة الفرات الأوسط أي في منطقة عانة (خانة القديمة) ، حيث لبثوا فيها ردحا من الزمن يتحينون الفرصة للانحدار إلى بلاد بابل، وأتتهم الفرصة إثر غزو الحيثيين لبابل عام 1595 قبل الميلاد .

وكان الملك الكاشي أكوم-الثاني 1595-1585 ق.م ، هو الذي انتهز فرصة انسحاب الحيثيين، فزحف على بابل واستولى عليها في حدود 1595 ق.م ، وبذلك بدأ حكم السلالة الكاشية في بلاد بابل ابتداء من الملك الكاشي أكوم الثاني، ويعرف أيضا باسم أكوم-كاركريمة⁽¹⁾.

ومن هنا يتبين لنا أن الملك الكاشي أكوم الثاني كان هو آخر الملوك الكاشيين التسعة في منطقة الفرات الأوسط، وأول الملوك الكاشيين في بابل، بحيث استطاع الاستيلاء على بابل دون الدخول في اصطدام مع الحيثيين، مغتتما فرصة اضطراب الملك الحيثي الانسحاب إلى عاصمته حاتوشاش، وذلك لأسباب مجهولة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الملك الكاشي أكوم الثاني سعى إلى التقرب من البابليين، وكسب رضاهم عن الحكم الجديد، وهي عادة الغازين والمستعمرين دوما، ولذلك قام بحملة خاصة لاسترجاع الإله مردوج وتمثال زوجته من أسرهما في منطقة خانة القديمة *، وذلك لأن الملك الحيثي بعد استيلائه على بابل أخذ منها الغنائم، و من بينها هاذين التمثالين ، ولكن لأسباب غير معلومة، لم ينقلهما إلى عاصمته بل تركهما في خانة أي منطقة الفرات الأوسط⁽²⁾.

(1) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق، ص489 .

* خانة القديمة: و هي منطقة استراتيجية مهمة بالنسبة الى بلاد بابل وكانت شريانا حيويا للاتصال ببلاد سوريا وقد لبث فيها الكاشيون مدة من الزمن يتحينون الفرص للانحدار الى بلاد بابل. ينظر: طه باقر: المرجع نفسه، ص449.

(2) (G) Roux : La Mésopotamie, op-cit, pp.288-289.

ويمكن أن نفسر أيضا سعي هذا الملك الكاشي لاسترجاع تمثال الإله مردوخ وزوجته من أسرهما إلى انصهار الكاشيين وملوكهم بحضارة وادي الرافدين، وأعرافهم الدينية.

و أعقب الملك أكوم-الثاني تسعة ملوك لا يعلم ترتيب عهودهم بوجه التأكيد، ويأتي بعد ذلك فترة تكاد تكون غامضة.

ب- سياسة الكاشيين الخارجية:

بعد أن أسس الكاشيون دولتهم في العراق القديم، وعم الاستقرار ربوع دولتهم، فأنهم سعوا إلى ربط علاقات مع دول الشرق الأدنى، وقد اختلفت نوعية تلك الصلات حسب قوة وضعف تلك الدول.

فقد إتسمت علاقتهم مع مصر مثلا في عصرها الإمبراطوري بالود والصدقة، ولعل خير ما يوضح لنا موقف الكاشيين الدولي وعلاقتهم مع الدولة المصرية تلك الرسائل المتبادلة بينهم في عهد الملك الكاشي بورنابورياش الثاني الذي حكم فيما بين 1347-1375 ق.م و أمنحتب الثالث*، والتي نتج عنها مصاهرة البيتين الحاكمين أكثر من مرة، بالإضافة إلى رسائل أخرى بعث بها الملوك الكاشيين إلى فراعنة مصر.⁽¹⁾

وبالتالي يمكننا القول بأن الحكم الكاشي الحقيقي والفعلي لبابل إنما بدأ بوصول الملك بورنابورياش الثاني إلى العرش، ذلك لأنه كسب صداقة دولة قوية كالدولة المصرية في عهدها الإمبراطوري، مما ساعد على تأمين طرق القوافل التجارية المارة بين بلاد النهرين إلى وادي النيل عبر فلسطين.

كما يمكن أن نفسر قيام الملوك الكاشيين بربط علاقات الصداقة والمصاهرة مع فراعنة الدولة المصرية، و إستمالتهم إلى صفوفهم أثناء تنافسهم مع الملوك الآشوريين.

* أمنحتب الثالث: وقد خلف والده تحوتمس الرابع على العرش فيما بين (1405-1367) ق.م، وقد وطد علاقته مع ملك الميثاني ومملك بابل، وقامت سياسته على السلم والعناية بالشؤون الاقتصادية، ونظم التبادل التجاري بين مصر والأمم الأخرى، كما كون فوق خاصة تحافظ على الطرق التجارية وتحرسها. أنظر: سمير أديب: المرجع السابق، ص، 111 ، و رزقانة إبراهيم أحمد، شكري محمد أنور و آخرون: حضارة مصر و الشرق القديم دار مصر: دار مصير للطباعة، دت، ص، 187.

⁽¹⁾ (G) Roux : La Mésopotamie, op-cit, p289, p301.

و أما عن علاقات الملوك الكاشيين مع ملوك آشور فإنها اتسمت بمبدأ الموازنة والتعايش السلمي، فقد أبرمت مابين الطرفين معاهدات لتحديد الحدود مابين المملكتين، ولم تكن حدود طبيعية ثابتة، بل كانت تتوقف في إتجاهها شمالا أو جنوبا حسب قوة كل من الطرفين.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى المعاهدة الخاصة بتسوية الحدود، كتلك التي أبرمت مابين الملك الكاشي بورنابورياس الأول والآشوري بوزور-آشور الثالث، وذلك في حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد لتثبيت الحدود ما بين المملكتين في الخط المار في منطقة سامراء تقريبا.

وأعقبها معاهدة ثانية بين الملك الكاشي كره أنداش "Kara-indash" وبين الملك الآشوري آشور-بيل نيشيشو الذي حكم فيما بين 1419-1411 ق. م ، وذلك لتثبيت الحدود بين البلدين.⁽¹⁾ وهذا ما يجعلنا نستنتج بأن طبيعة الحدود بين بابل الكاشية وآشور كانت غير قارة، وكانت دوما محل نزاع مما استدعى عقد معاهدات دوريا.

كما إتبع الملوك الكاشيون سياسة المداراة مع منافسيهم الآشوريين، والمثال على ذلك قيام الملك الكاشي بورنابورياس الثاني ، بعقد زواج سياسي، عندما تزوج ابنة الملك الآشوري آشور أوباليط الأول، وأنجب منها كره أنداش ، فجلس على عرش الكاشيين، إلا أن الثورة قامت ضد الملك الكاشي كره أنداش أدت إلى قتله، ومن ثم فقد تدخل جده الملك الآشوري وقضى على الثورة، وأقام حفيده الثاني كوريجالزو الثاني korigalzu II على عرش الكاشيين.⁽²⁾

ويمكن أن نفسر قيام الملك الآشوري آشور أوباليط الأول بوضع حفيده على العرش بمثابة خطوة أولى من أجل التدخل في شؤون الحكم في بلاد بابل.

وقد مرت الدولة الكاشية بعد ذلك بفترة ضعف بسبب الخلافات الداخلية للأسرة الحاكمة، زيادة عن تولي العرش ملوك ضعاف بالإضافة إلى هجمات الآشوريين المتكررة.⁽³⁾

⁽¹⁾ (G) Roux : la Mésopotamie ,op-cit, p289,p301.

⁽²⁾ (D) David lukanbill : ARAB, op-cit , p21.

⁽³⁾ ديلاپورت ،تر: محرم كمال :بلاد ما بين النهرين الحضارة البابلية و الآشورية،المرجع السابق،ص ص،53-54.

بالتالي يمكن إيجاز علاقات الملوك الكاشيين مع ملوك آشور بأنها سارت على مبدأ التعايش السلمي مادام الطرفان متعادلان في القوة، وكان الوضع يتغير في حالة ضعف أحد الطرفين.

2- انهزام الكاشيين أمام الدولة الآشورية الناشئة:

لقد رأينا كيف أن أحد ملوك آشور الأقوياء والمسمى آشور أوباليط الأول قد بلغ من القوة بحيث استطاع أن يتدخل في شؤون الحكم في بلاد بابل، وذلك من خلال وضع حفيده على العرش، وقد خلف آشور أوباليط الأول ملوك أقوياء عملوا على توسيع نفوذ الدولة الآشورية.

وكان من بينهم الملك الآشوري شلمنصر الأول، حيث لعب دورا كبيرا في الشؤون الآشورية، وقد قام بالتدخل في شؤون بابل الكاشية، وذلك بعدما حل فيها الضعف وساءت أحوالها الداخلية.

في حين يرجع الفضل إلى الملك توكلتي نينورتا الأول الذي خلف والده الملك شلمنصر الأول على رأس الدولة الآشورية في تحقيق أكبر الانتصارات شمال مملكته، ثم اتجه إلى حدودها الجنوبية أي بابل.

وقد سجل توكلتي نينورتا الأول انتصاره على بابل في نقش جاء فيه: "...معتمدا على آشور، وأنليل وشمش، الآلهة العظمى، سادتي وبمساعدة عشتار ملكة السماء والأرض، والتي سارت على الجيش، وأجبرت كاشتياش حاكم كار-دونياش(بابل) على القتال، وهزمت كتائبه، وقهرت جيشه، وفي وسط المعركة قبضت يداي على كاشتلياش الملك الكاشي، وداست أقدامي على رقبته الملكية كأنها مسند قدم، وأحضرتة أسيرا مقيد أمام آشور، سيدي ووضعت سومر وأكد إلى نهاية حدودها تحت سلطاني".⁽¹⁾

و يتبين لنا من هذا النص أن الملك أضفى صبغة دينية على انتصاره، فهو يوضح علاقته بالآلهة كلها، إذ أنها تعطيه قوة غير محدودة، كما يظهر أن توكلتي نينورتا استطاع عزل الملك البابلي عن عرشه، ووضع بابل تحت السلطة الآشورية وظلت بلاد بابل تحت الاحتلال الآشوري

⁽¹⁾ (D) David lukanbill: ARAB, op-cit, pp47-48, p57.

طوال سبع سنوات حيث نصب في أثناءها الملك الأشوري ثلاثة ملوك محليين كاشيين، وقد بني هذا الملك مدينة جديدة في بابل أعطاها اسمه وهي: كار- توكلتي نينورتا Kar-Tulki Ninorita⁽¹⁾.

و سرعان ما أعلن البابليون الثورة، وتمكنوا من رد كرامة البابليين في عهد ملكهم شوما- أوصر حكم حوالي 1189-1218 ق م، غير أن آشور سرعان ما نجحت في عهد ملكها آشور- دان الأول الذي حكم من حوالي 1134-1179 ق م، توقع الهزيمة بالملك زبابا- شوما أدينا في عام 1160 ق م، وأن تسترد الأقاليم المجاورة.⁽²⁾ وقد ساعد على هذا الانهزام هجومات العيلاميين على الكاشيين.

- التحرشات العيلامية على بابل الكاشية:

لقد كانت هناك ظروف ساهمت في ضعف الكاشيين، وانهزامهم أمام ملوك الدولة الأشورية الناشئة، ألا وهي تحرك العيلاميين من الجهة الجنوبية الشرقية على بلاد بابل.

فقد تعرض البابليون لعدو آخر وهم العيلاميون*، الذين هاجموا العراق وأستولوا على بابل في نفس العام 1160 قبل الميلاد ، وذلك في عهد الملك العيلامي تشرك- نخنتة shutruk-nahkunte والذي قام بأخذ أغلب آثار البلاد الفنية، مثل نصب نارام- سين ومسلة مانشتوسو، ونصب تشريعات حمورابي، ونصب كاشية أخرى، كما منح الملك العيلامي المنتصر بابل إلى ولده كنائب له في حكم بابل.

غير أن هذا الإنتصار لم يكن نهائياً، فقد تمرد الكاشيون بزعامة الملك إنليل- نادين آهي، والذي إستمر حكمه ثلاث سنوات من 1159-1157 ق م، لكن العيلاميين عادوا بعدها إلى إحتلال بابل ،

⁽¹⁾ J-(R).Mcintosh :AMNP,op-cit, p94.

⁽²⁾ محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، المرجع السابق، ص، 312.

*العيلاميون: وهم سكان إيران الجنوبية، وبالأحرى سهول دجلة الجنوبية الشرقية، وكانت عاصمتهم سوسا، اتخذوا الكتابة المسمارية، وكانوا على اتصال دائم ببابل وفي حروب مستمرة معهم، أما لغتهم العيلامية فهي غير معروفة الأصل ينظر: فرج بصمجي: أقوام الشرق الأدنى القديم، مجلة سومر، المرجع السابق ، ص، 98، و القواسمي ابراهيم عبد الرزاق : دراسات في تاريخ المشرق العربي القديم منذ أقدم العصور حتى 539 ق م . ط 1 ، ليبيا : منشورات جامعة المسيرة الكبرى ، د ب ت ، ص 148،

وأسقطوا الحكم الكاشي وفي هذه المرة لم تسلم حتى مقابر عبادة القوم من التخريب والتدنيس، وأخذوا معهم تمثال مردوخ كبير الآلهة البابلية.

ومن الأمور الجديرة بالذكر انه بعد سقوط الدولة الكاشية سنة 1162 ق.م ، ظهرت أسر حاكمة حيث حكمت أجزاء من العراق القديم فقط، كأسرة بابل الرابعة، والتي كان ملوكها من مدينة اسين، فقد قاد زعيم وطني من مدينة إسين يدعى مردوك-كابت أهيتو 1138-1156 ق.م، إنتفاضة وطنية كبيرة و استطاع طرد العيلاميين ، فضلا عن تأسيس أسرة حاكمة جديدة عرفت باسم اسين الثانية، وهي نفسها أسرة بابل الرابعة، وقد تعاقب على الحكم في هذه الأسرة ستة ملوك، وقد حكموا ما يقرب قرن من الزمن أي من حوالي 1041-1162 ق.م.⁽¹⁾

إن هذه الإضطرابات الخارجية التي تعرضت لها بابل الكاشية والمتمثلة في هجومات العيلاميين قد تسبب في إضعاف الكاشيين، وهذا ما فسح المجال للملك للأشوريين للاستيلاء عليها.

فقد عرفت الدولة الآشورية خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد انتعاش ملحوظ في أحوالها، وبلغت أوج قوتها في عهد الملك تجلات بلاسر الأول الذي حكم فيما بين 1077-1115 ق.م .

ونجح هذا الملك الآشوري في الاستيلاء على بابل وبعض المدن الشمالية الكبرى مثل دور- كورجالزو، و سيبار شمش sipar of shamash و سيبار أنونيتوم sipar of anunitum وأوبس⁽²⁾ opis .

وقد تدهورت الأحوال في الدولة الآشورية من بعد الملك القوي تجلات بلاسر الأول، واستأنف الآراميون تدفعهم إلى جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم.

⁽¹⁾ (G) Roux : la Mésopotamie : op-cit, p, 307, pp, 321-322.

⁽²⁾ (D) David lukanbill: ARAB, op-cit, p, 96.

وبالتالي استمرت الاضطرابات الداخلية في بابل، بسبب التحركات الآرامية القبلية، وقد تعاقبت ثلاث أسر حاكمة والتي حكمت جزء من العراق فقط وذلك في نحو نصف قرن و أخذت الترتيب التالي (من الأسرة الخامسة إلى الأسرة السابعة)، وكانت الأسرة الثامنة التي تليها أفضل خطا في طول حكمها، ثم يليها أسرتان بابليتان هما الأسرتان التاسعة والعاشرة.⁽¹⁾

و مما سبق ذكره يمكننا القول بأن العصر الكاشي قد ساهم بالاستقرار نسبيا في البداية، ولكن مع مرور الزمن وتولي العرش ملوك ضعاف وظهور الخلافات الداخلية للأسرة الحاكمة، زيادة على الاضطرابات الخارجية كمهاجمتهم من قبل العيلاميين، وهذا كله ساهم في إضعاف الكاشيين وسيطرة الدولة الآشورية الناشئة عليها.

⁽¹⁾ (G) Roux : la Mésopotamie : op-cit, pp, 324-325 .

- المبحث الثاني: ظروف العراق الخارجية:

لقد تحددت مناطق النفوذ السياسية والبشرية في الشرق الأدنى وتأصلت معالمها لحد ما خلال القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن السادس عشر قبل الميلاد، حيث أن الحوريين نقلوا مركز تجمعهم وسيطرتهم إلى منطقة شمال بلاد سوريا، وشمال بلاد النهرين، وقد بلغوا في النصف الثاني من القرن السادس عشر قبل الميلاد قوة سياسية ذات أهمية، وأما مصر فقد كان الفرعون تحوتمس الأول مؤسس الإمبراطورية المصرية وهو غازي فلسطين وبلاد سوريا.

وأما حيثما فقد بدأت تحتل موقعا بين القوى الجديدة منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد وذلك عند تأسيس المملكة الحيثية القديمة، وبخاصة في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، أما فلسطين فقد كانت مهدا للصراعات الكبرى حيث تعرضت للغزو المصري و بقيت فيها المدن الكنعانية تحت حكم الأسرتين الثامنة عشر و التاسعة عشر ،كما وقع في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد تأثر الدويلات الكنعانية بغزوات شعوب البحر.

I - حيثما

1- نشأة وتطور الدولة الحيثية:

هناك شبه إجماع بين المختصين بأن الحيثيين قدموا من الشمال والأرجح من منطقة شواطئ بحر قزوين، و استقروا بعد ذلك في القسم الشرقي من آسيا الصغرى، واتخذوا حاتوشا عاصمة لهم.

و يرجع التاريخ أقدم الأخبار حول توسيع المملكة الحيثية إمن طرف الملك "لابارنا" 1600-1570 ق. م ، حيث تدخل في الشؤون السياسية الدولية في غرب آسيا ،و أخضع العديد من المستوطنات في أودية جبال طوروس ، وقد خلفه ملوك آخرون عملوا على توسيع المملكة الحيثية.⁽¹⁾

(1) أنطوان مورتنكات، تر، توفيق سليمان: المرجع السابق، ص ص، 217-222.

و من الأمور الجديرة بالذكر أن الملكية الحيثية كانت منصبا مغريا يتنازع عليه عدد كبير من عائلات الأشراف ذات الحقوق المتساوية، و قد أصبح هذا المنصب أكثر إغراء كلما كثرت الثروات وغنائم الحروب الخارجية، لذلك أصبحت الاغتيالات بين الإخوة والآباء في الأسرة المالكة، وتعتبر مفتاح الوصول إلى العرش لدرجة عجزت معها الأسرة المالكة عن تقديم أي شخصية تستطيع قيادة هذا الشعب.

وفي ظل هذه التطورات كان إجراء إصلاحات في شروط تولي العرش بين أفراد العائلة المالكة المخرج الوحيد من هذا المأزق بانتزاعه نظام الملكية من الخصام القائم بين الأشراف والعائلة المالكة، ويعتبر هذا الإصلاح أعظم عمل قام به الملك تيليبنو والذي حكم فيما بين 1465-1450 ق.م، وقد تمثل هذا الإصلاح في وضع قانون خاص في وراثة العرش والتعاقب عليه، وهذا ما مكن السير الطبيعي في حكم المملكة بعد تيليبنو ،اذ حكم ملوك عديدون إلى غاية الملك سوبيلولوميا حيث دخلت حينها مرحلة جديدة.⁽¹⁾

و بالتالي يمكننا القول بان هذا الإصلاح قد ساهم في تقوية السياسة الداخلية للمملكة الحيثية، وكان كخطوة أولى في البدء بإعادة ازدهار وتقوية السلطة الحيثية نحو الخارج.

(1) أنطوان مورتكات، تر، توفيق سليمان: المرجع السابق، ص ص، 225-222.

2- الصراع الحيثي المصري من أجل السيطرة على سوريا

أ- الأسباب:

مارس الملوك الحيثيون منذ نهاية القرن الخامس عشر سياسة خارجية فعالة، وتهدف إلى توسيع النفوذ الحيثي بالطرق العسكرية والدبلوماسية، ويمكن تفسير ذلك بكثرة المفاوضات والاتفاقيات خلال هذه الحقبة الزمنية.

ومما يجدر الإشارة إليه أن عصر المملكة الحيثية الجديدة التي أصبحت خلاله أعظم إمبراطورية في الشرق القديم، إنما بدأ بوصول الملك الحيثي سوبيلوليويا إلى العرش وقد حكم فيما بين 1380-1346 ق.م.

فقد انتهز سوبيلوليويا فرصة ضعف السلطة المصرية أثناء حكم الفرعون أخناتون، فوجد الوقت ملائماً ليضم شمال بلاد سوريا، ويلحق الهزيمة بالإمارات المجاورة له في آسيا الصغرى وأيضاً تحطيم الإمبراطورية الميثانية، وقد بدأ هذا الملك نزاعه مع الفراعنة على السيادة، بإثارة المعارضين من أمراء سورية، ثم بدأت بعد ذلك حروب طويلة بين الطرفين.⁽¹⁾

ومن هنا يتجلى لنا بأن الإمبراطوريتين المصرية والحيثية قد أصبحتا نديتين ومتنافستين في سبيل الوصول إلى مركز الصدارة في العالم القديم.

و اشتد التوتر بين المصريين والحيثيين خلال فترة حكم رمسيس الثاني 1290-1224 ق.م، عندما غير ملك أمورو ولاءه وانتقل من تبعيته للملك الحيثي إلى الفرعون المصري، ف وقعت معركة شهيرة بين المصريين والحيثيين وهي معركة قادش سنة 1286 ق.م.⁽²⁾

(1) طه باقر: علاقات العراق القديم، مجلة سومر، ج1. المجلد 4، بغداد: مديرية الآثار القديمة العامة، 1948، ص 94.

(2) (P) Montet : L'Egypte au temps des Ramsès, Paris, département hachette référence, 1991, p266.

ب- المراحل:

إستقى المختصون معلوماتهم حول مراحل الحرب التي دارت بين الحيثيين والمصريين من مصدر النصوص الهيروغليفية المنقوشة على جدران معبد أبو سنبل في النوبة، كذلك معبد الأقصر في طيبة وهي مصحوبة بمشاهد مصورة، من عهد رمسيس الثاني

ومن خلال هذه النقوش يصف رمسيس الثاني معاركه مع الحيثيين في قادش، وقد تجمع الحيثيون ضده في حلف يشمل الدويلات الصغيرة في شمال سوريا وفي الأناضول والدردانين و الكشكش Kechkesh و الكركش Quarquash و الليسين Lycians و المسين Mysien⁽¹⁾.

و قد كان الفرعون المصري مستعد للقاء خصومه الحيثيين، فأخذهم على غفلة من أمرهم، فقد قاد بنفسه فرقة من جيشه، وزحف للاصطدام بهم تركا المشاة وقسما من العربات الحربية تلحق به في المؤخرة :

وكان السبب الذي دفع رمسيس الثاني ليقود بنفسه فرقة من جيشه والزحف باتجاه الشمال، هو قدوم اثنين من الشاسو chasous، وهما من البدو قالوا للفرعون المصري بأنه أرسلهما أكابر القبيلة التابعة للأمير الحيثي المهزوم، وأنهم يرغبون أن يكونوا أتباعا للفرعون دون الملك الحيثي، كما أخبره بأن الملك الحيثي موجود في حلب إلى الشمال من تونيب Tounip*، وأنهما يخشيان أن يتجه إلى الفرعون المصري⁽²⁾.

وفي هذه المعركة زعم الفرعون المصري بأنه قهر زعيم الحيثيين، وذبح رؤساء حلفاءه، وهزم أعداءه حتى نهر العاصي، وطرحهم في الماء كالتماسيح، وتمكن من قتل من شاء قتله⁽³⁾. غير أن هذا الوضع يشكك فيه العديد من الباحثين، إذ أن الفرعون اضطر إلى الانسحاب من سوريا الشمالية والوسطى، ولأن حدود مصر الغربية كانت مهددة من طرف القبائل الليبية.

⁽¹⁾ Motet : op-cit, P266 (p)

* تونيب: اسم مدينة وإمارة كانت تقع في غرب أواسط شمال بلاد الشام (سورية) وعلى وجه التقريب في وادي نهر العاصي ينظر pierre Motet ;op-cit , P266

⁽²⁾ Motet : Ibid, Pp266-267. (p)

⁽³⁾ هيثم هلال: موسوعة الحروب، ط2، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، 2008م، ص11.

ج - النتائج:

لقد طرأ تغيير جديد على العلاقات الدولية لم يسبق لها مثيل من قبل، حيث وقف النزاع المسلح بين الطرفين، ولم تحسم المعارك الأمر بل ظهرت حلول سلمية لذلك عقدت معاهدة سلم بين المصريين والحيتيين 1278 ق.م، كانت تنطوي المعاهدة على إحلال الصداقة وعدم الاعتداء بين الطرفين.

وكتبت نصوص المعاهدة التي عقدت بين الملك الحيتي حاتوسيلي الثالث وبين الفرعون رمسيس الثاني على ألواح من الفضة، وقد حافظ كل من الطرفين على إحلال السلام و عدم الاعتداء على بعضهما البعض بمقتضى هذه المعاهدة، وجعلوها دستوراً للتعامل بينهما مدة قرن كامل، ولم يحصل أي نزاع أو حرب بين الطرفين في تلك الحقبة، ويظهر أن الحدود قد رسمت فكل ما كان من جبيل نحو الغرب والجنوب لمصر، وكل ما كان منها إلى الشمال والشرق خص الحيتيين.⁽¹⁾

كما قامت علاقات وثيقة بين المصريين والحيتيين، وتبادلت ملكات مصر وحيثا رسائل التهنة على المعاهدة السلمية، كما وطد رمسيس الثاني العلاقة بينهما فتزوج بأميرة حيتية.⁽²⁾

و يمكن تفسير عقد معاهدة السلام بين الطرفين إلى أن كل من الإمبراطوريتين المصرية والحيتية قد استنفذتا قواهما في الحروب الطويلة والمتواصلة، فضلاً على يقين الطرفين بعدم الوصول إلى نتيجة حاسمة.

وبالتالي فقد كان من نتائج وقف النزاع بين المصريين والحيتيين عودة الهدوء والسلام في الشرق الأدنى القديم، و إثر وفاة الملك الحيتي حاتوسلي الثالث والذي تحلى بعقريته العسكرية والسياسية، وذلك من خلال معاهدة قادش التي أوقفت النزاع بين الطرفين فإنه قدر لتلك الإمبراطورية التي ساهم في بنائها سوبيلوليوما الأول ومورشيلي الثاني أن تعيش بعدهم عشرات السنين قوية صامدة قبل أن تتعرض لضغوطات آشورية في عهد الملك توكلتي نينورتا الأول.

⁽¹⁾ يوسف الدبس، تر، مارون رعد: تاريخ سورية الدنيوي و الديني (تاريخ شعوب سورية القدماء)، ج.1، د.ك، دار نظير عبود، 1994، ص181.

⁽²⁾ جون ولسون، تر، أحمد فخري: الحضارة المصرية، القاهرة: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ت، ص 250.

3- حيثاً وأشور:

لقد كان في ظل الظروف العصبية التي كانت تمر بها المنطقة، ألا وهي الصراع بين الحيثيين والمصريين فرصة سانحة قوة جديدة كانت في طريقها لاحتلال موقع بارز على مسرح الأحداث، دولة آشور، فقد كان المستفيد الرئيسي من هذه الظروف الدولية الجديدة هو ملك آشور شلمنصر الأول.

ويعتبر شلمنصر الأول من أعظم الملوك الآشوريين، ولاسيما في ميدان الفتوحات الخارجية، فقد تميز عهده بالفتوحات العسكرية المتتالية على الأقوام الجبلية، وعلى مملكة أوراتو* Uratu في أرمينيا، ومملكة خانيجلبات الميثالية.

وكانت أوراتو في عهد هذا الملك تتألف من اتحاد شعوب واقعة في جبال أرمينيا، وقد ذكر الملك الآشوري ثمانى أراضي جبلية تؤلف اسم أوراتو، وقد هاجمهم هذا الملك وخرب إحدى وخمسين مدينة من مدنهم.⁽¹⁾

أما بالنسبة لمملكة خانيجلبات الميثانية فإن الملك الآشوري بعد التوسع على حساب أراضيها فإنه حصل على مناطق واسعة لا تمتلك صفات زراعية، ومدنا كثيرة وجد فيها صناعات مزدهرة، كصناعة الجواهر، البناء، وقد ألف أصحاب الحرف هؤلاء مجموعة من المختصين يمكن استخدامها لمصلحة آشور.⁽²⁾

كما إستولى خليفة الملك السابق توكلتي-نينورتا الذي حكم فيما بين 1208-1244 ق.م على الحدود الشمالية و الغربية ، ومن ثم فقد امتدت معاركه شمالا بغرب بحيرة وان (فان)، وغربا حتى

* أوراتو: لقد ورد ذكرها في التوراة باسم أرارات، وكانت تطلق على البلاد المحيطة ببحيرة وان، وقد توسعت حتى أصبحت في القرن الثامن قبل الميلاد لشمل المناطق الواقعة حول بحيرة أورميا. ينظر: محمود الأمين: تعليقات تاريخية على حملة سرجون الثامنة، مجلة سومر، ج2، المجلد5، بغداد: مديرية الآثار القديمة العامة، 1949، وسمكوغ برزج : الشركس في فجر التاريخ ، ط 1 ، دمشق : مطبعة طربين ، 1995 ، ص ص 147-148.

(1) (D) David lukanbill :ARAB, op-cit, p44,p47.

(2) (D) David lukanbill ,Ibid,p50,p53.

ماري، وقبائل الأخلامو*، مستغلا في ذلك المشاكل الداخلية للعائلة الحاكمة في حيناً.⁽¹⁾

والجدير بالذكر أنه بتولى الملك الحيثي تواداليا الرابع الحكم بعد حاتوسيلي الثالث ، تعرضت البلاد في عهده الى مشاكل داخلية و خارجية و حاول هذا الملك الحفاظ على الإمبراطورية الحيثية دون إضطرابات إلا أنه لم يستطع ، اذ قام ابن عمه بالانقلاب عليه والاستيلاء على السلطة.⁽²⁾

وازداد الخطر الآشوري ازديادا كبيرا، إذ عملت الدولة الآشورية على اقتطاع ممتلكات الدولة الحيثية شيئا فشيئا، إذ قام الملك الآشوري تجلات بلاسر الأول الذي حكم فيما بين 1115-1077 ق. م، بالقضاء على أقوام المشكو-الفريجيين التي كانت تتدفق بمجموعات كبيرة من آسيا الصغرى، وتهدد الدولة الآشورية.⁽³⁾

كما قضى تجلات بلاسر الأول على القبائل الجبلية ومن ثم فقد مد حدوده حتى بحيرة وان، كما ذكر أنه هاجم أرض نايري (أرمينيا)، وأجبر أمراءها الثلاثين على السجود عند قدميه.

وقد ورد ذلك في إحدى حوليات هذا الملك بقوله: " قهرت يداي من خلف نهر الزاب الأسفل، حتى النهر الشمالي الذي يقع إلى الشمال، ثلاث مرات سرت ضد بلاد نايري و جعلت ثلاثين ملكا من نايري يسجدون عند قدمي، وأخذت منهم أسرى، وتسلمت منهم خيلا، وأواني نحاسية ، مواشي وفرضت عليهم جزية وهاديا...."⁽⁴⁾

وما يلاحظ على هذا النص أن الباعث الرئيسي لتوسعات الملك تجلات بلاسر الأول إلى الشمال كان اقتصاديا، فهو يسجل الغنائم بشكل أواني نحاسية وخيول ومواشي وغيرها.

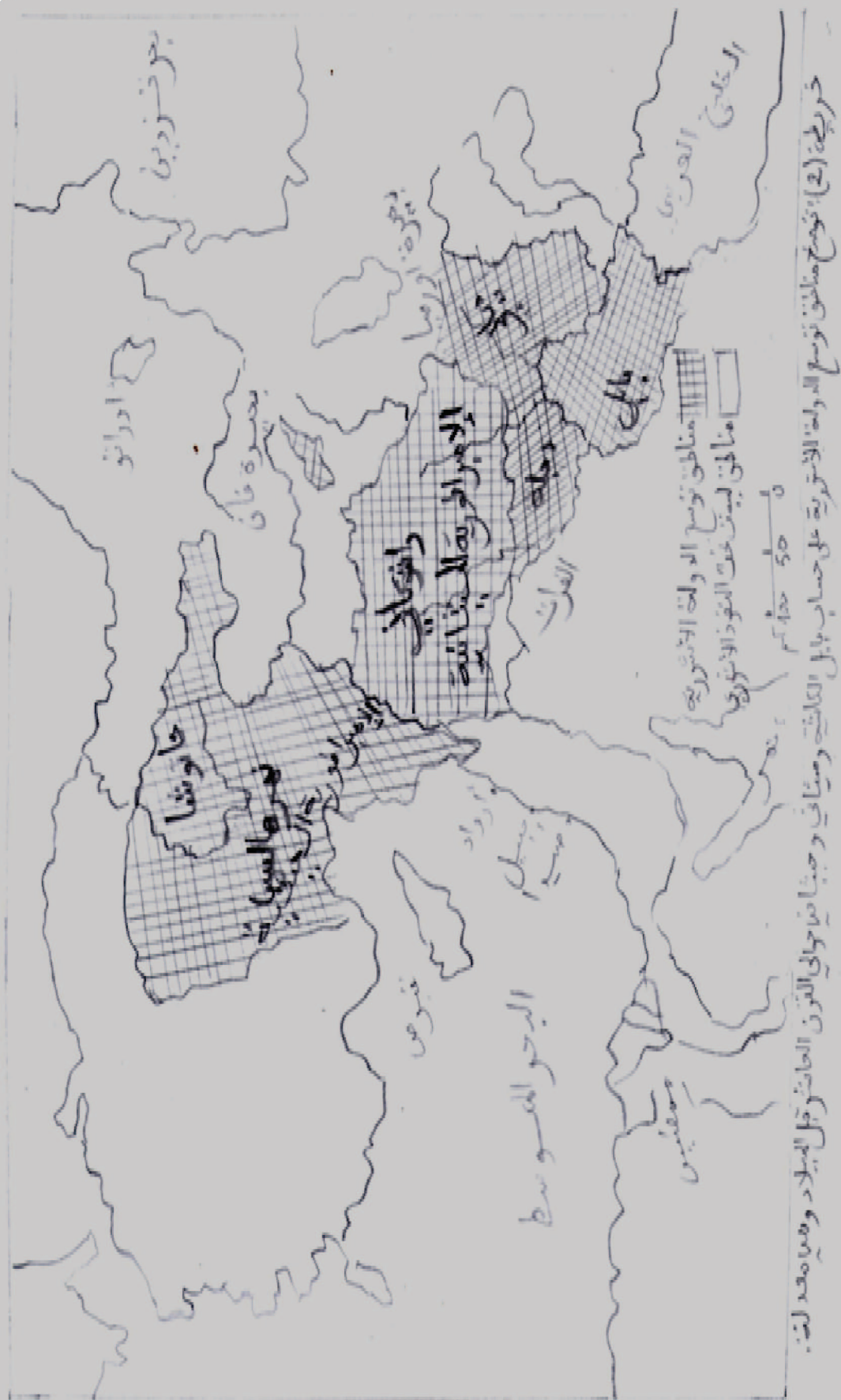
* قبائل الأخلامو: لقد عثر في نصوص العمارنة على اسم مركب (أخلامو-أرمايا) (الأخلامو-الأراميون) وربما كان الأخلامو هم أسلاف الأراميين، وقد استقرت هذه القبائل في مناطق عديدة من سورية. ينظر: محمد حرب قرزات، عيد مرعي: المرجع السابق، ص ص، 180-181 و ظاظا حسن: ساميون و لغاتهم تعريف بالقرابات اللغوية و الحضارية عند العرب، ط2، دمشق: دار القلم 1990، ص ص، 88-89.

⁽¹⁾ D. David lukanbill ,Ibid,p50,p53

⁽²⁾ دانييه جمال الدين يعقوب: سياسة المرجع السابق، ص ص، 36-37.

⁽³⁾ Macqueen (J- G) :les hittites aux origines de la turque ,pour l'edition francaise ,armand colin éditeur ,1985,pp ,189-190.

⁽⁴⁾ D. David lukanbill: ancient record of assyrien and babilonia, op-cit, p,98.



4 - حيثاً وشعوب البحر

إن الشعوب الجديدة و المعروفة باسم شعوب البحر كانت تنحدر من وطن هندو - أوروبي، و يستجمعون قواهم لكي يسيطروا على المناطق الساحلية في الشرق البحر الأبيض المتوسط.

في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، تعرضت الحضارة الميسينية * على البر اليوناني إلى سلسلة من الهجمات البربرية، والتي دمرت كل مراكزها الحضارية الهامة، وأدت إلى تشتت أهلها في الأصقاع المجاورة، كما تعرض جزر بحر ايجه للخطر ذاته.

ويبدو أن هذا الضغط على بلاد اليونان، وحضارة بحر ايجه، قد أدى إلى سلسلة من تحركات الشعوب الغالبة منها والمغلوقة، بحثاً عن مواطن جديدة للاستقرار بعيداً عن عالم قد تم تهديمه، وعمته الفوضى والاضطراب والفقر المدقع.⁽¹⁾

وقد ذكرت النصوص المصرية بالشماليون الذين في جزرهم، وقد انحدروا من مواطنهم ليجدوا لأنفسهم مواطن جديدة، فتصدى لهم الفرعون مرنبتاح عام 1230 ق. م ، ليحمي حدوده الغربية من غزو الليبيين الذين تحالفوا مع شعوب البحر.

وفي هذه الظروف التي تميزت بانتشار وتوسع شعوب البحر على حساب أقاليم الشرق الأدنى، تعرضت حيثاً لهجمة من الأرخيل الإيجي وحطت على شواطئ آسيا الصغرى، فدمرت الإمبراطورية الحيثية، ثم توجهت نحو بلاد سوريا فسقطت أمامها الممالك السورية الشمالية من أوغاريت إلى كركميش.⁽²⁾

* الحضارة الميسينية: تعرف أيضاً ميكينية ، و هي حضارة يونانية قارية ظهرت حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد في إقليم ميكيني باليونان ، فقد جاء الميسينيون بنظريات و أخلاق و عادات خاصة بالهنود الأروبيون، كما مارس هذا المجتمع الزراعة و الصناعة و التجارة ينظر: أندريه أيمار، جانين أوبوايه، ت. فريد داغر، فؤاد أبو ريحان: تاريخ الحضارات العام (الشرق و اليونان القديمة) ، ط. 2، مجلد 1، بيروت: منشورات دار عويدات، 1986، ص 248-251.

(1) أندريه أيمار، جانين أوبوايه، تر: فريد داغر، فؤاد أبو ريحان: المرجع نفسه، ص 237-238.

(2) جون ولسون، تر: أحمد فخري: المرجع السابق، ص 390-391.

إلى جانب الهجومات الآشورية فقد تعرضت الإمبراطورية الحيثية إلى خطر جديد، تمثل في غزوات شعوب البحر، التي اندفعت إلى الطرف الشرقي من شمال البحر الأبيض المتوسط، فنتج عن ذلك ازدياد ضغط جيوشها على الشعوب الإيجية والدولة الحيثية، حيث تقدمت حملة من شعوب البحر من نقطة ما من الأرخييل الإيجي، وحطت على شواطئ آسيا الصغرى، ودمرت الإمبراطورية الحيثية.⁽¹⁾

كما تقدمت هذه الشعوب بعد ذلك إلى أواسط سورية، وأقامت لها محطة مستقرة في مملكة أمورو و اتخذتها شعوب البحر كقاعدة للانطلاق نحو مصر، و في طريقها أشاعت الدمار في ممالك الدويلات الفلسطينية.⁽²⁾

و مما سبق ذكره يمكننا القول بأن اجتياح شعوب البحر للشرق الأدنى قد حطم ذلك التوازن الدولي الذي كان سائدا في بلاد الشرق القديم، وأدى إلى انهيار الإمبراطورية الحيثية، وساهم في إضعاف الإمبراطورية الفرعونية.

(1) هنري برستيد، تر: داود قربان: العصور القديمة، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1983، ص 278.

(2) جون ولسون، تر: أحمد فخري: المرجع السابق، ص ص، 391-392.

II - فلسطين:

1- موقع فلسطين وأهميتها الجغرافية:

لقد ارتأيت في هذا المبحث أن أتناول الأوضاع في فلسطين دون غيرها من الأقاليم السورية، ذلك لأن هذا الجزء المتميز من الإقليم السوري قد تحلى بصفات جغرافية متنوعة وبموقع استراتيجي واقتصادي هام، وهذا ما كان له الأثر الكبير في جذب الدول الطامعة، وكانت من بينها الدولة الآشورية التي كان ملوكها يسعون دائما للإطالة على البحر الأبيض المتوسط والاستفادة منه من الناحية الاقتصادية.

تحتل أرض فلسطين موقعا استراتيجيا هاما، تمثل في الربط بين آسيا وإفريقية برا وبحرا، حيث شكلت نقطة عبور وحيدة، كونها تشكل منطقة جنوب غربي بلاد سوريا ، وشمال شرقي الحدود المصرية.

وفتح لها البحر الأبيض المتوسط من جهة الغرب، والحدود الصحراوية من جهة الشرق نوافذ على منطقة بحر ايجه ، يضاف إلى ذلك أن أرض فلسطين تربط بين بحرين بحيث استطاع الخليج العقب من جهة الجنوب الشرقي أن يمهّد لها طريقا نحو البحر الأحمر أيضا، ومنها إلى المحيط الهندي، والبلدان الواقعة على سواحلها.

كما تميزت أرض فلسطين بسمات طبيعية متباينة، خاصة في قطاع مستعرض من الشرق إلى الغرب، وعلى طول البلاد تبسط في شكل شريط متعاقب: السهول الساحلية، السلاسل الجبلية غور الأردن، وفي الجنوب تبسط بقاع صحراء النقب، ومرتفعات عبر الأردن الشرقي حتى تصل إلى الصحراء، وتسيطر على غالبية بقاع أرض فلسطين الغربية الجبال ومنحدراتها المشطورة بوديان متسعة وسهول وفيرة.⁽¹⁾

(1) أبراهام ملمات، حبيم تدمور، تر: رشاد الشامي: العبرانيون و بنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية و الاكتشافات الأثرية ، ط 1، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001، ص64، ص70.

ومن هنا يتبين لنا أن قطاعات أرض فلسطين كانت متباينة بحيث تنقسم إلى بقاع جبلية ومناطق الحدود الصحراوية، وهذا ما سيؤدي بسكانها إلى ممارسة الرعي وتربية الأغنام، وأيضا سهول وواديان خصبة صالحة للزراعة.

وهذا أبو التاريخ هيرودوت يتحدث في كتابه الثالث من مؤلفه عن موقع فلسطين في قوله: " فالمنطقة الممتدة من فينيقيا، وحتى منطقة كاديثس (غزة) تابعة لسوريي فلسطين ، ومن الأخيرة وهي مدينة أعتقد أن حجمها يقارب مساحة مدينة سراديس، وحتى مدينة بانيسوس، فان المناطق الواقعة منها على البحر تابعة للعرب، ومن بانيسوس وحتى بحيرة ساربونيس حيث تمتد جبال كاسيوس على البحر تابعة مرة أخرى للسوريين...." (1)

ومن الأمور الجديرة بالانتباه أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس استعمل مصطلح موقع فلسطين استعمالا خاطئا، فقد وظف اسم فلسطين في مجال تحديده لموقع مدينة دمشق واقليم اللجة بقوله: "...ولكن كان لآرام أربعة أبناء، قام منهم أوسوس بتأسيس الجة ودمشق اللتين تقعان وسط المنطقة بين فلسطين.(2)

(1) Herodote: Histoire, livre III, para5, établi et traduit par PH. Legrand, Paris: société d'édition les belles lettres, 1939.

(2) (J) Flavus : les juifs, histoires anciennes des juifs la guerre des juifs contre les romains, anhographie , livre I, para 06, Paris: édition lidis, 1982.

2- القوى الطامعة فيها:

تسبب الموقع الجغرافي لفلسطين الهام بالنسبة ،للعالم القديم في إحداث تحولات وتغيرات في مصير سكان هذه المنطقة، و ألقى بظلاله على كافة نواحي الحياة، وقد ظلت هذه الأرض تمثل تحديا أمام حكام الدول العظمى في الشرق القديم، حيث أن السيطرة عليها يؤمن تفوقا اقتصاديا وسياسيا، ومن ثم فقد تركزت لفترات طويلة في لب الصراع بين شعوب مختلفة.

فقد تعرض جنوب أرض فلسطين مثلا للسيطرة الفرعونية، و فرضت الأسر الفرعونية منذ فترة مبكرة نفوذها عليها وعلى بقاع واسعة من سوريا، ومن ضمن هذه الأسر الأسرة الثانية عشر التي حرصت على بقاء الاتصالات مفتوحة ومأمونة بينها وبين الدويلات الصغيرة في فلسطين وسوريا لأنها رأت بأنها خير عميل للتبادل التجاري الواسع، إلا أنه حدثت مشاكل على الحدود والتي كانت تنشب بين الحاميات المصرية وبين بدو الصحاري الفلسطينية.

وإستمرت المشاكل على الحدود إلى أن وصل إلى حكم مصر في الأسرة الثامنة عشر الفرعون تحوتمس الثالث الذي حقق انتصارات عديدة في فلسطين، وقام بتحسين حدودها الشمالية، وفي الأسرة التاسعة عشر، ورد في نصوص من يوميات مسؤولين مصريين أقاموا عند الحدود المصرية بشبه جزيرة سيناء على استعادة الفرعون مرنبتاح لسيطرته على كنعان، وإشرافه العسكري على مرتكزات مثل غزة وصور على ساحل المتوسط وعلى بقاع في المناطق الجبلية.⁽¹⁾

و في هذا السياق لا بدا أن نذكر بأنه وقع في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، أن تأثرت دويلات المدن الفلسطينية الكنعانية بعدة تطورات تاريخية مرت على سورية القديمة خاصة، وبلاد الشرق القديم عامة، فمنذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، بدأت شواطئ آسيا الصغرى وسورية ولبنان وفلسطين تتعرض للهجمات من قبل شعوب البحر.⁽²⁾

و قامت هذه الشعوب بغزو بعض المدن الفينيقية مثل جبيل و أوغاريت، وقد تمكن قسم من تلك الشعوب وهم الفلسطينيون واسمهم الأول "فلسطين" من تأسيس دويلات في بعض مدن سوريا

(1) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 182، ص ص، 208-211.

(2) عبد الحكيم الذنون: تاريخ الشام القديم، ط.1، دمشق: دار الشام القديمة للطباعة والنشر، 1999م، ص 146.

الساحلية كغزة وعسقلون و أشدود وغيرها.⁽¹⁾

وقد جاء الفلست إلى فلسطين من منطقة إيجه ، ويقال أن موطنهم الأصلي كان جزيرة كريت، فتجاوروا مع الممالك الصغيرة الأخرى مثل العبريين و الأدوميين و المؤابيين و العمونيين.

أما بالنسبة للعبريين فإنهم قضوا زمنا طويلا ليكون لهم سلطان على فلسطين، وقد كانوا منقسمين إلى عدة عشائر، تسمى أهمها بأبناء يعقوب رمزا إلى الأسباط ، ولم يتفقوا فيما بينهم، فأخذوا يسلمون قيادتهم في أوقات الخطر إلى قاض، وقد كانت مهمته القيادة العسكرية، ومضى جميع دور القضاة، والذي عد دور بطولة العبرانيين التاريخي في القتال الجزئي بجماعات صغيرة، وذلك بأن تدافع كل جماعة بما استولت عليه من قطعة أرض.⁽²⁾

و يمكن تفسير ذلك بأنه لم يكن هناك فتح بالمعنى الصحيح، والواضح أن القبائل العبرية لم تستول على فلسطين، وإنما الاستيلاء على مساحات من الأراضي التي طلب منهم قضاتهم غزوها.

ومن أهم هؤلاء القضاة جدعون، يفتاح وصموئيل ثم شاول الذي يعد من الملوك الأقوياء، إذ حاول توحيد كلمة القبائل العبرية، وتأسيس مملكة إسرائيل لتستطيع الوقوف ضد الفلسطينيين.⁽³⁾

ومن القوى الكبرى الطامعة أيضا في فلسطين آشور ، وقد بدأ اهتمام الملوك الآشوريين بالسيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى البحر المتوسط منذ عهد الملك الآشوري تجلات بلاسر 1077-1115 ق . م، إذ استطاع السيطرة عليها، كما أنه كان من الضروري على الملوك الآشوريين الحصول على موارد اقتصادية تغذي الدولة الآشورية ،ومن أجل ذلك عملوا على الاستيلاء على فلسطين.

و من كل هذا يتبين لنا بأن الموقع الاستراتيجي لفلسطين جعلها تتميز بالغنى الحضاري ،وهوما حولها إلى مهد للحركات الاستيطانية و مركز لإستقرار الجماعات المهاجرة من كافة أنحاء الشرق القديم، كما جعلها مسرحا للصراعات الكبرى.

⁽¹⁾ طه باقر: علاقات العراق القديم، مجلة سومر، المرجع السابق، ص ص، 94-95.

⁽²⁾ ظفر الإسلام خان: تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط.1، بيروت: دار النفائس، 1978 ، ص35.

⁽³⁾ دانييه جمال الدين يعقوب: المرجع السابق، ص42.

3- الاصطدام اليهودي – الفلسطيني و انعكاسه على آشور:

سعى العبرانيون للسيطرة على أرض فلسطين وقد مر هذا الصراع بعدة مراحل حيث اندمج الفلسطينيون (الفلسطينيون) مع سكان البلاد الكنعانيين شيئاً فشيئاً، وأسسوا في جزء من فينيقيا خمس مدن رئيسية: غزة وعسقلان و أشدود و عقرون و جت، ويقع أغلبها على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وطبقت فيها نظام حكم ممالك المدن على أنها كانت تشكل اتحاداً قوياً ومنظماً تحت إشراف مدينة أشدود، وبلغت قوة الفلسطينيين أقصاها في حوالي 1050 ق. م، إذ بدءوا في محاربة العبرانيين وانتصروا عليهم، واستولوا على تابوت العهد، ونقلوه إلى عاصمتهم أشدود.

وهذا ما جعل العبرانيين يخططون بعد ذلك لمشروع إعلان ملك عليهم حتى تكتسب أعمالهم قوة أكثر، فاختاروا شاول ملكاً عليهم، وقد بدأت فترة حكمه بالصراع مع الفلسطينيين حيث استطاع الملك شاول بأسلوب المباغطة والحيلة أن يهزم الفلسطينيين بين منطقتي جبعة و مكيش، وفي النهاية وحد شاول معظم الأسباط.⁽¹⁾

و نظراً لحدوث اضطرابات داخلية في نهاية حكم الملك شاول فان ذلك أدى إلى ضعف مملكته، و استغلال الفلسطينيين لهذه الفرصة، و ذلك بشن معركة ضد مملكة شاول، و قد قتل في هذه المعركة ثلاثة من أبناء شاول، و أصيب هو نفسه بجراح حيث توفي على إثرها.⁽²⁾

وجاء بعد شاول الملك داود، ويعد المؤسس الحقيقي للمملكة العبرانية حوالي 963-1004 ق.م، و قد تمكن من تخليص البلاد من الفلسطينيين و توحيدها، و استمر الاستقرار السياسي و الاقتصادي في فترة حكم ابنه سليمان الذي حكم فيما بين 963-923 قبل الميلاد، و قد تفككت أواخر المملكة بعد وفاة سليمان، وقامت في البلاد دولتان إسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة، ويهودا في الجنوب وعاصمتها أورشليم، وبذلك تمزقت المملكة المتحدة حوالي 922 ق.م.⁽³⁾

(1) رمضان عبد علي: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الاسكندر الأكبر، ج.2، ط.1، القاهرة: دار نهضة الشرق للطباعة، 2002، ص ص، 233، 232.

(2) أبراهام ملومات، حبيب تدمور، تر: رشاد الشامي: المرجع السابق، ص ص، 202-203.

(3) ظفر الإسلام خان: المرجع السابق، ص ص، 42-45.

و يمكن أن نفسر ذلك بحدوث خلاف كبير بين القبائل اليهودية و الإسرائيلية، فنتج عنه انقسام المملكة إلى دولتين.

ومن هنا يتبين لنا أن الاصطدام اليهودي الفلسطيني قد مر بمراحل بحيث استطاع الفلسطينيون في البداية تحقيق العديد من الانتصارات على اليهود نظرا لتفوقهم وخبرتهم العسكرية ولم يتمكن من إخضاعهم أحد الملوك اليهود غير داوود وسليمان عليهما السلام لفترة من الزمن.

و نتيجة للحروب بين يهودا و إسرائيل و كثرة المؤامرات و الاغتيالات داخل البيت المالك أفقد الملكية سبغتها الدينية و هذا ما أدى إلى ضعفها سياسيا و جعلها تتعرض لهجمات الدولة الآشورية.

وقد بدأ اهتمام الآشوريين بفلسطين منذ حكم تجلات بلاسر الأول الذي حكم فيما بين 1115-1077 ق. م لأسباب هي الحصول على ممر إلى البحر الأبيض المتوسط ، و بالتالي الاستفادة منه من الناحية الاقتصادية ، و قد استطاع تجلات بلاسر الأول السيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط إلا أن الملك شلمنصر الثالث الذي حكم ما بين 858-824 ق.م، فاق أجداده ليس في السيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط فحسب بل تعدى ذلك إلى توجيه حملات ضد مملكة إسرائيل و أخذ الجزية منها.

فقد قام هذا الملك بتوجيه حملة ضد جيحو ملك إسرائيل، وذلك في عام 845 ق.م ، وقد وردت في حوارياته ما يلي: "...وزحفت نحو حوران، وتابعت المسير، وتلقيت الجزية من سكان صيدا وصور، وكذلك بعالي- راسي Baali-Rasi من جيحو بن عمري فضة وذهبا وطاسات ذهبية ومزهرية ذات قعر مدبب وأقداح ذهبية وقصدير".⁽¹⁾

وما يلاحظ على هذا النص أن الباحث الرئيسي لتوسعات الملك الآشوري شلمنصر الثالث نحو فلسطين كان اقتصاديا، فهو يسجل الغنائم بشكل أو أواني ذهبية وفضية وقصدير .. إلخ.

⁽¹⁾ (D) David lukinbill : ARAB,op-cit,p,243.



الصورة 02: توضح ملك إسرائيل جيحوا ساجد أمام الملك الأشوري شلمنصر الثالث
(824 - 858) ق.م.

III- مصر:

تدور أحداث البحث كلها في العلاقات التي كانت تربط القوى العظمى في الشرق الأدنى القديم في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد و هذه الفترة تواكب مرحلة العهد الإمبراطوري في مصر الفرعونية .

و قد اتبعت مصر في العهد الإمبراطوري سياسة توسعية من أجل الدفاع عن نفسها، ذلك لأن ضعفها كان السبب في دخول الهكسوس إليها، وقد واصلت الاهتمام بجيشها، وزادت في قوته الحربية، وعملت على السيطرة على أبواب التجارة ومداخل الهجرات في شمال سوريا، وأطراف العراق القديم، وذلك لتكون درعا دفاعيا لها من الأخطار الخارجية.

كما واجهت الدولة المصرية في عهد الإمبراطورية مجموعة من الأخطار، كان لها الأثر الكبير في ضعفها وتراجعها عن بلاد سوريا، وقد بدأت تلك الأخطار بالمنافسة الحيثية المصرية، فقد قامت حروب بين المصريين والحيثيين - كما سبقت الإشارة إليها - و توقيع معاهدة سلام بين الطرفين التي عرفت بمعاهدة قادش الشهيرة.

لقد ألفت الحروب بين المصريين والحيثيين بتابعياتها على المصريين، حيث كانت بداية لتقلص الوجود المصري في بلاد سوريا، من ذلك واجهت مصر اضطرابات على الساحل الكنعاني، وكان ذلك ناتجا عن تمرد المدن الساحلية شرقي البحر الأبيض المتوسط على الحكم المصري، كما عانت مصر ضغط شعوب البحر على حدودها الغربية.⁽¹⁾

(1) دانييه جمال الدين يعقوب: المرجع السابق، ص39.

1- الأحوال الداخلية لمصر في عهد الأسرة العشرين

يمثل حكم الأسرة العشرين في الدولة الفرعونية، وخاصة فترة حكم ملكها العظيم رمسيس الثالث آخر ملوك الإمبراطورية المصرية الأقوياء الذين دافعوا عن حدود مصر، وسعوا أحيانا إلى توسيعها، ففترة حكم هذا الفرعون تمثل منعرجا خطيرا في عهد الإمبراطورية المصرية.

وقد تعرض البيت المالكي المصري في عهد الفرعون رمسيس الثالث، الذي دام حكمه نحو واحد وثلاثين عاما إلى العديد من الاضطرابات، وخاصة في أخريات عهد هذا الفرعون.

وقد تمثلت هذه الاضطرابات في تمرد وعصيان وزير الفرعون رمسيس الثالث في الدلتا، ويعتقد أن هذه الحادثة ترجع إلى العام السادس عشر من حكم هذا الفرعون، فقد جمع هذا الوزير قوة كبيرة، وتحصن بمدينة أثريب (بنها الحالية)، لكن هذه القوة لم تكن كافية، وكان الفرعون لا يزال يحافظ على بعض قوته، فتمكن من القضاء عليها.⁽¹⁾

وهناك مثال آخر على الاضطراب السائد، حيث قامت إحدى زوجات هذا الفرعون بمؤامرة هددت حياته، والمعروفة باسم "مؤامرة الحريم"، حيث لجأت الزوجة الثانوية لتعيين ابنها بدلا من الوريث صاحب الحق الشرعي فحاولت اغتيال الفرعون، وبالرغم من كل التدابير من اختيار مناسب للخطبة، واستمالة العمال بدفع أجورهم، وأيضا استخدام السحر، إلا أن المؤامرة فشلت.

ونتيجة للظروف السيئة التي كانت تعاني منها الطبقات العاملة، وعدم دفع مخصصاتهم التموينية لعدة شهور، فإن هؤلاء العمال قاموا بإضراب وطالبوا بدفع مخصصاتهم، وبالفعل تم تسليم بما طلبوه، وذلك بعد استمرارهم في الإضراب، وترجع هذه الحادثة إلى العام التاسع والعشرين من حكم هذا الفرعون.⁽²⁾

(1) أم الخير العقون: الليبيون وتأسيسهم الدولة في مصر الفرعونية، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2003-2004 م، ص 156-157.

(2) أم الخير العقون: المرجع نفسه، ص 157-160.

وتعاقب على الحكم في الأسرة العشرين بعد رمسيس الثالث تسعة ملوك وقد كانوا في أيدي كهنة أمون، ونذكر منهم على سبيل المثال رمسيس الرابع ورمسيس الخامس، حيث أصبحت مصر ضعيفة عسكريا واقتصاديا، بالإضافة إلى ثورات أمراء دول المدن الفلسطينية ضد الحكم المصري، وقد استمر تدهور الأوضاع الداخلية لمصر في عهد الرعامسة إلى غاية رمسيس العاشر حيث تكررت عملية إضراب العمال لعدم دفع مخصصاتهم التموينية.⁽¹⁾

ولقد ترتب عن هذه الاضطرابات في الأمن وتدهور الأوضاع الاقتصادية في أواخر عصر الرعامسة جراءة المعتمدين لنهب مقابر الفراعنة أنفسهم، وكذلك كبار الأثرياء في غرب طيبة.⁽²⁾ و نفسر هذا بسقوط مصر ليس فقط في أزمة اقتصادية بل أيضا أزمة خلقية، ذلك لأن الفراعنة كانوا موضع التقديس والمهابة في كل زمان ومكان في تاريخ مصر القديمة.

ومن كل هذا يتبين لنا أن أحوال مصر الداخلية خلال نهاية الأسرة التاسعة عشر وبداية الأسرة العشرين، قد تميزت بحدوث مشاكل و اضطرابات كمعركة قادش التي كانت بداية لتقلص النفوذ المصري في بلاد سوريا، وأيضا أدى ضعف من تولى العرش من الرعامسة بعد رمسيس الثالث إلى سوء إدارة البلاد، وتدهور الحالة الاقتصادية، فكثر الاعتداءات على حرمة المقابر الملكية، وزاد في نفس الوقت نفوذ كهنة الإله أمون رع وطغيانهم.

⁽¹⁾ (N) Grimal : histoire l'Egypte ancienne, France: 1988, p354.

⁽²⁾ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص، 243.

2- الأحوال الخارجية لمصر في عهد الأسرة العشرين

أ- مصر والليبيين:

خاض الفرعون رمسيس الثالث بعد اعتلائه العرش حوالي 1198 ق.م ثلاث حروب كبرى، وقد كانت هذه الحروب في السنة الخامسة والثامنة والحادي عشر من حكمه، ونستقي معلوماتنا حول هذه الحروب من مصدر واحد، وهو النصوص المنقوشة على جدران معبد الجنازي بمدينة هابو.⁽¹⁾

وكانت الحرب الأولى لهذا الفرعون في السنة الخامسة من حكمه ضد الليبيين من جهة الغرب، وكان السبب المباشر لهذه الحرب هو تدخل الفرعون المصري في شؤون الليبيين، إذ حاول أن يفرض عليهم ملكا منهم رباه في مصر، وقد حاول الليبيون الهجوم على منف، غير أن الفرعون تظن لخطتهم، فبادر بالهجوم وألحق بهم الهزيمة.

وأما بالنسبة للحرب الثالثة، فقد كانت أيضا ضد الليبيين من جهة الغرب، واستطاع الفرعون تحقيق الانتصار، واستولى الجيش المنتصر على غنائم كبيرة، وأسلحة جديدة متطورة، تدل على مدى قوة وقدرة الليبيين العسكرية وقد يعود ذلك الحاكم إلى احتكاكهم بشعوب البحر.⁽²⁾

و بالتالي يتضح لنا أن النصف الثاني من حكم الفرعون رمسيس الثالث كان أقل رخاء، وذلك بسبب الحروب المتكررة ضد الليبيين من جهة الغرب.

ب- مصر وشعوب البحر:

لقد ذكرت شعوب البحر في النصوص الهيروغليفية بحيث نستطيع أن نتعرف على بعض منهم مثل الفلسطينيين و الدردانيين، واستقر البعض منهم في سردينيا وصقلية مثل: "الشردن" sharden و الشكلش shaklesh.⁽³⁾

⁽¹⁾ R.Faulkner : Egypt from the inception of the nineteenth dynasty to the death of ramesses III, the cambridge ancient history VII, part2, cambridge university press, 2008, p241-242.

⁽²⁾ أم الخير العقون: المرجع السابق، ص ص، 150-148.

⁽³⁾ جون ولسون، تر: أحمد فخري: المرجع السابق، ص ، 391.

و في هذا السياق لابد أن نذكر أنه لم تكن محاولات شعوب البحر في التوغل إلى مصر معاصرة لحكم الفرعون رمسيس الثالث (الأسرة العشرين) فقط بل كانت هناك محاولات سابقة تصدى لها فراعنة الأسرة التاسعة عشر.

ففي عام 1295 ق.م خاض رمسيس الثاني معركة مع الحيثيين في قادش، وكان إلى جانبه الشردين، ومن هنا يتبين لنا أن هذا الفرعون قد خاض حرب ضد صنف من شعوب البحر وهم الشردين، واستطاع الانتصار عليهم ثم ضمهم إلى صفوف جيشه.

كما انه كان على الفرعون مرنبتاح حوالي عام 1230 ق.م، أن يحمي حدوده الغربية من الغزو الليبي، حيث تحالفوا مع الأكيين Acheen، والترسينيين Tyrsenieans والسيكولي siculi أو الصقليين، وجميعهم من الشعوب البحر.⁽¹⁾

أما في عهد خليفته رمسيس الثالث، فقد كان عليه أن يواجه في العام الثامن من حكمه خطر هجوم شعوب البحر الذين جاؤوا عن طريق البر من الشرق، وعن طريق البحر من الشمال.⁽²⁾ ويمكن تفسير ذلك بأنه كان على الفرعون المصري أن يحارب أعداء متنوعين، بالإضافة إلى محاربتهم في أماكن مختلفة.

وقد كان من بين تلك الشعوب الشرادنة، الدانو و البلست و التحكر، يتضح من أسمائها أنها جاءت من جنوب إيطاليا وصقلية، وجزر بحر إيجه، وقد نجح الفرعون في إبعادهم عن الحدود الشرقية الشمالية لمصر.⁽³⁾

⁽¹⁾ جون ولسون، تر: أحمد فخري: المرجع السابق، ص ص، 391-392.

⁽²⁾ فرانسيس فيفر، تر: فاطمة بهلول: الفرعون الأخير رمسيس الثالث أو زوال حضارة عريقة دمشق: دار الحصاد، دبت، ص ص 64-65.

⁽³⁾ رمضان عبد علي: المرجع السابق، ص 231.

وبالتالي يمكننا القول بأن غزوات الليبيين وشعوب البحر قد أدت إلى زعزعة النظام السياسي للدولة الفرعونية، الذي كان قائما على التوسع في بلاد سوريا، فوجدت مصر نفسها تفقد سلطتها السياسية على جنوب بلاد سوريا، وبالتالي خسارة السيطرة الاقتصادية التي هي دعامة دولتها.

ج - تراجع النفوذ المصري على الساحل الفينيقي:

تعد وثيقة "ون- آمون" من أهم الوثائق التي تظهر لنا العلاقة بين مصر وبلاد سوريا بصورة قصصية، وهذه الوثيقة مكتوبة على بردية عثر عليها الفلاحون عام 1891 م في بلدة الجببة، بالوجه القبلي، وتعد هذه الوثيقة أكبر مصدر تعرف منه مكانة مصر عند نهاية الأسرة العشرين، ويتفق علماء المصريين بأن هذه الوثيقة كتبت في العام الخامس من حكم رمسيس الحادي عشر، الذي كان يملك ولا يحكم، وكان المتولي لأمر الدولة كلها هو الكاهن الأكبر لأمون حريحور وان لم يكن يحمل لقب الملك.⁽¹⁾

تحدثنا الوثيقة كيف أرسل حريحور أحد موظفي المعبد يدعى "ون آمون" إلى بيبيلوس جبيل على الشاطئ الفينيقي للحصول على ألواح خشبية لصنع قارب الاحتفالات الخاصة بالإله آمون، و كانت قصته توصف بأنها قصة روائية، إلا أنها تهتم على المدى القريب بأشخاص ومواقف حقيقية، ولا بد أن لها أصلا حقيقيا.

ويخبرنا الرسول وان- آمون كيف أستأمن على تمثال لإله يدعى "أمون الطريق" ليحمله معه بمثابة مبعوث لأمير بيبيلوس (جبيل) إلا أن هذا المبعوث قد صادفته صعاب خارقة للمألوف في تنفيذ مأموريته، لذلك قدم تقرير مفصلا بعد عودته إلى وطنه مفسرا فيه سلسلة الحوادث التي كانت تعرقل نجاح مساعيه.⁽²⁾

⁽¹⁾ سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، نهاية عصر الرعامسة و قيام دولة الكهنة بطيبة في عهد الأسرة الواحدة و العشرين، شركة نهضة مصر للطباعة و النشر، 2001، ص 553.

⁽²⁾ جيمس بريشارد، تر: عبد الحميد زايد: نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، ج.1، القاهرة: مطبعة هيئة الآثار المصرية، د.ت، ص 101.

ويلاحظ من محتوى هذا التقرير أن مصر فقدت هيبتها في بلاد لبنان ذلك الإقليم الذي كان يدين للفراعنة منذ أقدم العصور بالطاعة والخضوع، إلا أنه مع نهاية الأسرة العشرين وعلى الرغم من أن مصر كانت محترمة بوصفها مصدر الحضارة، لم يكن في مقدورها أن تحصل على الحماية العادية والاحترام لمبعوثها في سوريا.

ويظهر بوضوح من خلال قصة ون أمون أن النفوذ المصري قد تلاشى حتى من منطقة الساحل الفينيقي، وقد تسبب تعاظم القوة الآشورية، واحتلال الملك الآشوري بلاسر الأول لبنان والموانئ الفينيقية، وفرض الجزية على ثلاثة منها وهي أرواد وجبيل وصيدا في إقصاء السيادة المصرية على الساحل الفينيقي.

ويمكن تفسير ذلك بالمعاملة السيئة والمهينة التي كانت من نصيب المبعوث ون- أمون، وأيضا رسل مصريين آخرين.

و قد ورد في هذا الصدد في حوليات الملك الآشوري، تجلات بلاسر الأول كمايلي: ".....ثم يسرت إلى لبنان وقطعت أشجار الأرز لمعبدي "أنو" و"أداد" الإلهين العظيمين، سيدي وجنت به، واتجهت إلى بلاد أمورو، واستوليت على جميع بلاد أمورو، وتسلمت جزية جبيل و صيدا و أرواد " وفي سيميريا ركب العاهل الآشوري بحر أمورو العظيم (البحر الأبيض المتوسط) ثم اتجه إلى البر، وقتل في طريقة حصان البحر أو دولفيلا.⁽¹⁾

وأنفسح المجال أمام آشور في هذا الوقت نتيجة تراجع القوة المصرية بعد كفاحها العنيف مع شعوب البحر، ونتيجة لمشاكلها الداخلية، وتقلص نفوذها في شمال سوريا.

وتولى الحكم في مصر بعد وفاة رمسيس الحادي عشر الملك سمندس وأسس الأسرة الواحدة والعشرين، غير أن مصر في عهده فقدت الوحدة والمركزية، فانفصل الكهان بنصف مصر وأسسوا مملكة تيوقراطية عاصمتها طيبة ، ويحكم منها كبير كهنة الإله الملك حريحور ، وحكمت

⁽¹⁾ (D) David lukanbill: ARAB, op-cit, p,98.

موازاة للحاكم المدني في الشمال الفرعون سمنديس.⁽¹⁾

ونتيجة لهذه التطورات فإنه من الطبيعي أن تنكمش مصر داخل حدودها الطبيعية، وتفقد نهائياً كل أقاليمها خارج مصر.

كما تمكن المشواش* من أن يصبحوا قادة في الجيش، فقد استطاع زعيمهم شاشنق الذي كان يحمل لقب رئيس المشواش من أن يخطط للاستيلاء على مصر بدون سفك الدماء، وقد تمكن من أن يتزوج ابنه الأمير "وسركون" إلى الأميرة "ماعت كارع" ابنه بوسينس الثاني آخر ملوك الأسرة الحادي والعشرين، وبالتالي وطد علاقته بالبيت المالكي، وتولى عرش مصر بعد وفاته، وأسس الأسرة الثانية والعشرين.

أما طيبة-الدولة الكهنوتية، فقد ترددت بالتسليم بسلطان شاشنق، ولهذا اضطر الملك الجديد أن يعين ابنه إيبوت في منصب كبير كهنة الإله أمون، ولهذا أصبحت مصر كلها تحت رقابته.⁽²⁾

مما سبق عرضه يمكننا القول بأن الظروف الجيو سياسية للمنطقة قد تغيرت ابتداء من القرن العاشر قبل الميلاد، وقد كانت أشور أقوى دولة في الشرق الأدنى القديم، وذلك عندما شاخت وضعفت دول الجوار الجغرافي، وهذا ما ساعدها على إنشاء الإمبراطورية .

(1) سمير أديب: تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، 1997م، ص225.

* المشواش: وهي آخر القبائل الليبية، التي تعرف عليها القدماء المصريين، ويرى فريق من الباحثين بأنهم ذكروا بالنص المكتوب لأول مرة في خطابات ترجع في عهدها إلى فترة الفرعون رمسيس الثاني، حيث كانوا يؤلفون فرقة في جيشه، ومن خلال الرسوم يتبين أن المشواش جنس أشقر، فهم بيض البشرة، وعيونهم فاتحة، ويتقاسمون هذه الصفة مع التمشو والريبو. ينظر: العقون أم الخير: المرجع السابق، ص ص، 82-83.

(2) سمير أديب: المرجع السابق، ص ص، 230-231.

الفصل الثالث

المنظومة العسكرية و دورها في الريادة
الأشورية

المبحث الأول: مكونات الجيش

1- التجنيد في صفوف الجيش

2- أصناف الجيش الأشوري

أ- الموظفون الدينيون

ب- صنف المشاة

ج- صنف الخيالة

د- صنف المهاجمين بآلات الحصار

هـ - الأصناف العسكرية الأخرى

3- القواعد العسكرية الدائمة (الجيش المرابط)

4- الرتب العسكرية الأشورية

المبحث الثاني: التكتيك العسكري

1- المعارك النظامية المفتوحة

2- الحروب في الجبال

3- حصار المدن

المبحث الثالث: أساليب الإعلام لدى الجيش الأشوري

1- مبدأ الحرب النفسية

2- سياسة الدعاية

3- سياسة التهجير إلى الأقاليم البعيدة

المبحث الرابع: نظام المواصلات و الاتصالات العسكرية

1- العربات

2- القوارب

3- السفن الحربية

4- النظام البريدي

5- نظام المخابرات العسكرية

المبحث الأول: مكونات الجيش

1- التجنيد في صفوف الجيش:

نحن بصدد دراسة مرحلة جديدة من تاريخ آشور ألا و هي مرحلة التوسعات و إنشاء الإمبراطورية الآشورية و نظرا لأن سياسة الدولة الخارجية تغيرت و أصبحت توسعية لذلك أوجدت الأداة ألا و هي الجيش .

ويحتل الجيش والسلاح مكانة هامة في تاريخ جميع الأمم قديمها وحديثها، وفي مختلف البلدان والأقاليم، ومن بينها الدولة الآشورية التي كان جيشها قبل العهد الإمبراطوري بسيطا في عدته وعتاده وتكويناته، إلا أنه عرف تطورا كبيرا في العهد الإمبراطوري، حيث وصلت آشور بالفن العسكري إلى أرقى ما كان معروفا في ذلك الوقت من حيث التدريب والتسليح، وتنظيم الإمدادات وتنوع فنون القتال، حيث تغيرت سياستها الخارجية وأصبحت توسعية.

ويلاحظ أن آشور في هذه المرحلة من دولتها قد تغيرت كثيرا، للأسباب التالية فقد كان الآشوريون يشقون طريقهم في الحياة السياسية بصعوبة نظرا لكثرة حروبهم مع جيرانهم البابليين والميثانيين والكاشيين... إلخ، وإن كان هذا الصراع قد ساعدهم على أن يتبلور لديهم مخطط سياسي وحربي واضح، هو الخروج من هذه العزلة والرغبة في إنشاء دولة قوية، وقد تطعم العرق السامي للآشوريين بالعرق الهندوأوروبي من الميثانيين والكاشيين، فتحصل على صفات عسكرية قتالية، واستفاد أيضا بخبراتهم العسكرية.

عرف عن الملوك الآشوريين اهتمامهم الكبير بتجنيد الجيش وتنظيمه وتدريبه وتسليحه، وكان يتم التجنيد وفق أسس معينة، حيث كان يطلب من كل حاكم مقاطعة أو إقليم تقديم عدد معين من المقاتلين يتناسب عادة مع عدد سكان الإقليم أو المقاطعة المشاركة في الحملة العسكرية، وكانت صفوف الجيش تختلف باختلاف الأمم والمقاطعات مثل الخيالة من إيران والقبائل الآرامية والجمالة من القبائل العربية، والمشاة من بلاد الأناضول وبلاد سوريا.⁽¹⁾

(1) عامر سليمان: العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري)، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1993م، ص 81، ص ص 96-97.

وهناك مثال على الإستعانة بالقبائل العربية أصحاب الجمال أثناء حملة الملك الآشوري أسرحدون عام 671 قبل الميلاد، حيث تقدم نحو مصر عن طريق صحراء سيناء، وذلك بمساعدة بدو الصحراء الذين أمدوه بآلاف الجمال لنقل المؤن والمياه، وكانوا أدلائه في السير، حتى وصل إلى وادي طميلات ونجح في احتلال منف.⁽¹⁾

وبالتالي يتجلى واضحا أنه كان من مهام حكام المقاطعات الإشراف على عمليات التجنيد من مجاميع المقاتلين التابعين لهم، وأيضا تجهيز الجنود وإمدادهم بالمعدات العسكرية، وذلك حسب كل إقليم.

كما أدخل الملك الآشوري سرجون الثاني 721-705 ق. م، تجديدا هاما في التجنيد، وعدا الجنود الذين يؤدون الخدمة العسكرية الإلزامية، وظف مرتزقة من الأجانب، وقد ازداد عددهم مع الزمن بشكل كبير.⁽²⁾

وظل الملوك الآشوريون يعتمدون على القوات الاحتياطية التي كانت تستنفر وقت الحاجة للقيام بحملة عسكرية، يتم ذلك غالبا في أعقاب موسم الحصاد، فقد كان الفلاح الآشوري قادرا على أداء واجباته العسكرية، ولكن بعد إنهاء موسم الحصاد، إلا أنه عندما تكون حروب أهلية، أو تمرد على السلطة أثناء المواسم الزراعية، فإنه يتم تجنيد الفلاحين وتحدث مشكلات خطيرة تتعلق بمعيشة الفلاح (مجاعات).⁽³⁾

(1) ديلايورت، تر: محرم كمال: بلاد ما بين النهرين. الحضارة البابلية و الآشورية، المرجع السابق، ص.263.

(2) دياكوف كوفاليف، تر: نسيم واكيم البازجي: الحضارات القديمة، ط.1، ج.1، دمشق: منشورات دار علاء الدين، 2000م، ص.184.

(3) M.-(V) de Mierop : Cuneiform texts and the writing of history, London : Routledge, 1999,p.99.

و تجدر لإشارة إلى أن الجيش في آشور لم يكن يستدعى للخدمة العسكرية كل عام، فقد كانت بعض الحملات تقضي باستخدام قوى أقل عددا أو استخدام الجيش المرابط فقط، حيث يذكر الملك الأشوري أسرحدون في حولياته أنه وأثناء الجزء الأخير من حملته ضد أوراتو عام 714 قبل الميلاد، قد أعاد معظم جيشه إلى آشور، وقام بنفسه بمتابعة عمله فوق جبال صعبة التضاريس، ولم يكن معه سوى عربة حربية، وألف من الجنود الخيالة

وهناك حالات استثنائية حيث يستنفر فيها الملك جميع قوات الممالك الصغيرة التابعة للسلطة الأشورية، حيث انه بعد وفاة الملك الأشوري أسرحدون عام 669 قبل الميلاد، كان أول ما شرع به خليفته آشور بانيبال، والذي حكم من 668-627 ق. م في سبيل فتح مصر، هو إرسال قائد الجيش الأعلى إلى سورية لاستنفر الجيوش وتعبئتها، فجمع جيشا كبيرا وخرج تحت رايته أثنان وعشرون ملكا، حيث استعان بخبرتهم الملاحية وهاجم مصر من البر والبحر وحقق الانتصار.

وبالتالي فإن الجزء الأعظم من الوجهة العددية من الجيش الأشوري يتألف من مجموعات جمعت بمعرفة الحكام المحليين، فمثلا يذكر أحد الحكام أنه جمع تحت قيادته قوة تقدر بـ1500 جندي من الفرسان، و 20.000 من الرماة، ولما كان ما يفوق عن عشرين ولاية، تابعة لآشور فان الملك الأشوري كان بإمكانه جمع مآت الآلاف من الجنود.⁽¹⁾

(1) هاري ساغر، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور، المرجع السابق، ص 374-375.

2- أصناف الجيش الآشوري:

أ- الموظفون الدينيون:

لقد أشارت النصوص المسمارية بأن الآشوريين اشتهروا بين جيرانهم بأنهم يستطيعون تنظيم الجيوش حسب نوعية الجند وإعدادهم وعدتهم بالإضافة إلى تطرقها إلى الحملات العسكرية التي خاضها الملوك الآشوريون وانتصاراتهم، كما وجدت أيضا الكثير من المشاهد الحربية مصورة على النقوش الجدارية في العواصم الآشورية⁽¹⁾

ومن هذه النصوص ورد أن الترتيب العادي لمسيرة الجيش في زمن الملك سرجون الثاني كان كما يلي: أولا سارت أعلام الآلهة بمرافقة موظفين دينيين، وبالتالي يتبين لنا أن القوة الثانية التي يعتمد عليها الملك هي قوة الدين، وكان إجماع القوم منعقدا على أن الرأس الدولة من الوجهة الرسمية هو الإله آشور، وكانت الأوامر الرسمية تصدر بإسمه، وكل الحروب تشن لتأتي له بالغنائم، كما أن أولئك الموظفين الدينيين كانوا يمنحون العزيمة الكافية للقتال.⁽²⁾

وكان من بين أولئك الموظفين الدينيين الكاهن العراف "البارو" Barro الذي يقوم بشؤون الإخبار بالغيب، و كشف طالع المعارك التي ينوون القيام بها أو التي تفرض عليهم من قبل الأعداء وتفسير الفأل بطرق عديدة، ومن هؤلاء أيضا فرع متخصص بتفسير الأحلام.⁽³⁾

والمعروف عن الآشوريين انه لم تمض سنة دون أن يكون لهم فيها ولو معركة واحدة ولذلك نعتقد أن النتيجة السلبية لكشف الطالع كانت لا تثني الآشوريين عن عزمهم ولهذا فإنهم كانوا يعلنون دائما نتائج ايجابية ليمنحوا بذلك القادة والجنود الثقة بالنفس والأمل الكبير بالنصر.

⁽¹⁾ J- (c), Marian. Feldman : Ancien near estern art in context, boston : brill leiden, 2007,p133.

⁽²⁾ هاري ساغر-تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: المرجع السابق، ص375.

⁽³⁾ طه باقر: ديانة البابليين والآشوريين، مجلة سومر، ج.2، المجلد2،بغداد:مديرية الآثار العامة القديمة، 1946م، ص.184.

ويأتي بعد الموظفين الدينيين الملك راكبا عربة، ويرافقه سائقو العربات والفرسان، وقد كانت تلك القوات تعرف بالحرس الملكي، وكان الانخراط بهذه القوات يعد امتيازاً يمنح لبعض المقربين أو لأبنائهم، وكان يأتي خلف الحرس الملكي القسم الرئيسي من الجيش.

ب- صنف المشاة:

يعد صنف المشاة أقدم وأهم الأصناف القتالية، حيث كانت جميع الأصناف الأخرى تعمل على مساعدته لتحقيق الانتصار، وكان الجزء الأعظم من قوات الجيش يتألف من صنف المشاة كما أنهم يوفرّون الغطاء اللازم للجند المتقدمين نحو العدو.⁽¹⁾

و المشاة صنفان مشاة مسلحين بأسلحة خفيفة مثل رماة السهام و المقاليح، ومشاة مسلحين بأسلحة ثقيلة مثل الرماحة وقد كان الغالب على لباس الصنف الأول الجلّباب القصير، في حين أن الرماحة كانوا يلبسون تروساً مستطيلة قد تكون أطول من الجندي.⁽²⁾

كما يضع كل من رماة السهام والرماحة على رؤوسهم أشكال بيضاوية مخروطية الشكل ذات عرف أو ريشة، ويحمل القسم الأكبر من المشاة سيوفاً قصيرة أو فؤوساً أو دبابيس، و ينتعلون حذاءً نصفياً.

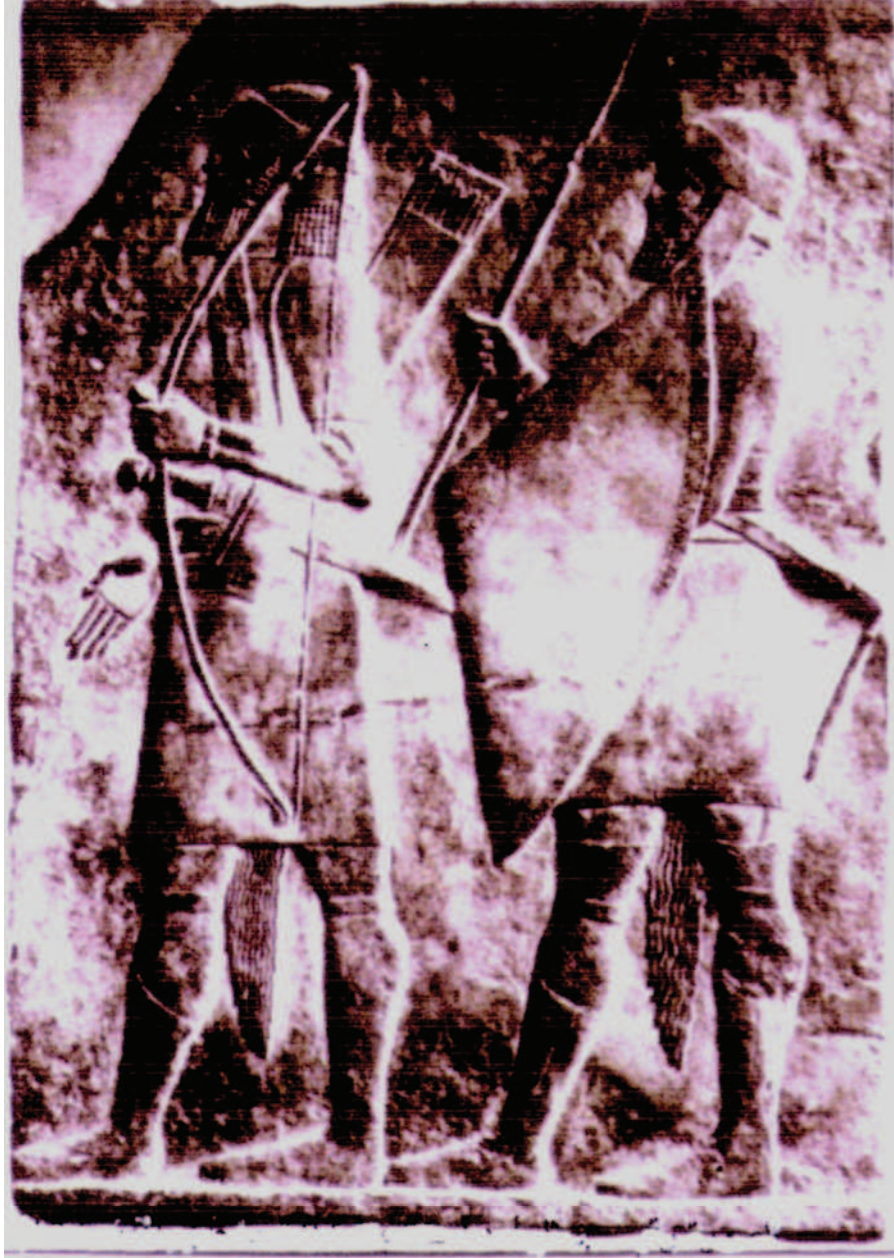
و كان يرافق الرماة عربات ذات عجلتين يجرها حصانان، ويقودها فارس أو فارسان، وكانت القوس المستخدمة من قبل الفارس أصغر مما يستخدمها الرماة، وإلى جانب القوس كان يحمل الفارس سيفاً قصيراً.⁽³⁾

و من هنا يتضح لنا أن صنف المشاة بنوعيه الخفيف والثقيل الأسلحة كانت مهمته الأساسية هو الاصطدام المباشر بالعدو و تحطيم قوته الرئيسية، وبالتالي السيطرة على أرض العدو.

(1) عامر سليمان: المرجع السابق، ص97، ص99.

(2) (F) Malbran: L'armée et l'organisation militaire de l'assyrie sous les sargonides, d'après les lettres trouvées à ninive. P,840 , www.persee.fr. 06/01/2015 - 09 :30.

(3) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق، ص538.



الصورة رقم 03: تمثل أحد أصناف المشاة المسلحين بالأسلحة الخفيفة.



الصورة رقم 04: تمثل تنظيم صفوف المشاة أثناء الحروب.

ج - صنف الخيالة:

أستخدم صنف الخيالة في المناطق السهلية والجبلية، والأراضي المكشوفة، إلا أن استخدامه في حصار المدن كان محدوداً، وكان الخيال الأشوري يتسلح عادة بالرمح والسيف أو بالقوس والسيف، ويحمل جعبته على ظهره.

وقد أوجب ركوب الخيل معرفة فن الفروسية، فقد اشتهر الأشوريون بتربية الخيول والاعتناء بها، ومما لا شك فيه أن استخدام الخيول مع العربات قد رفع أهميتها في المعارك الحربية، ولم يكتف الأشوريون بالسرعة التي حققها لهم الخيل عند بداية استخدامه مع العربات، بل حاولوا زيادة تلك السرعة من ناحية التحكم في متانة العجلة وخفة وزنها، ومن تكبير إطار العجلة، مما ساعد ذلك على زيادة سرعة العجلة، وارتفاع جسم العربة عن الأرض مما يبعد احتمال اصطدامه مع ما يحتويه الطريق من مطبات.⁽¹⁾

كما عرف فن الفروسية تقدماً مستمراً لتقدم وتطور السلاح الهجومي، ورافق في أول الأمر الخيال مساعد يمتطي صهوة جواد ليقود فرس الخيال، ويحميها معاً، غير أنه مع الزمن استغنى عن هذا المساعد، وذلك بعد أن استعمل السرج، وتمرس الخيال الأشوري على الفروسية

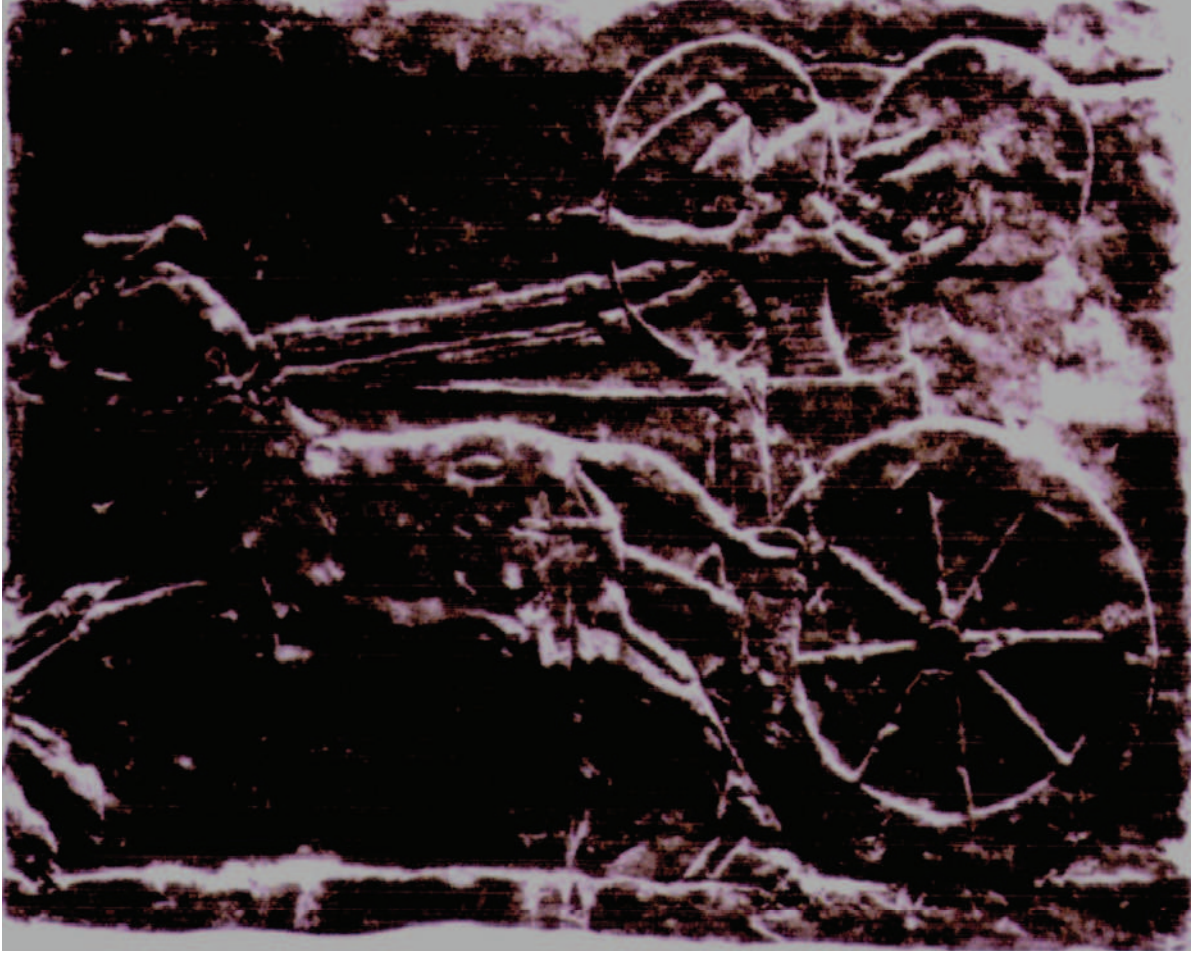
وأما في مؤخرة الجيش فقد كانت تأتي فرق النقل المتمثلة في الخدم والأتباع، وكانت مهمتها نقل مؤن وذخائر الجيش.⁽²⁾

و من هنا يتبين لنا أنه كان لصنف الخيالة دور كبير في المعارك حيث كان يؤمن للجيش الهجوم السريع والمفاجئ، و مباغته العدو.

و في هذا السياق لابد أن نذكر أن الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث الذي حكم فيما بين 727-744 ق.م، قد أعاد تنظيم الجيش، و ادخل عليه إصلاحات ، فقد ضمت القوات الأشورية

⁽¹⁾ فوزي رشيد وآخرون: الجيش والسلاح، موسوعة حضارة العراق، ج.2، بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1985، ص54، ص60

⁽²⁾ أندرية إيمار، جانين أوبوايه، ترفيد داغر، فؤاد أبو ربحان: تاريخ الحضارات العام (الشرق و اليونان القديمة)، المرجع السابق، ص143.



الصورة رقم 05: تنظيم صنف الخيالة و العربات.



الصورة 06: مسيرة الجيش الآشوري يظهر صنف الخيالة و العربات أما في الجزء العلوي هي عملية تسجيل الغنائم وهذه النقوش تعود للملك شلمنصر الثالث 858 - 824 ق.م.

محاربين ذوي رماح يقودون عربات تقرر زوجا من الأحصنة، وسلاح الخيالة أضخم مرتين من وحدات العربات، وسلاح المشاة معزز برماح ودروع، وسلاح مشاة خفيف مؤلف من رماة سهام وأضخم مرتين من السلاح السابق.

و كانت المعركة تبدأ بهجوم العربات يتبعها المشاة، الذين يقومون بمهاجمة صفوف الخصم، والتي تكون قد تشتتت، وأخيرا يطارد الفرسان العدو المتراجع.⁽¹⁾

د- صنف المهاجمين بآلات الحصار:

من الأمور التي ميزت الجيش الأشوري عن بقية الجيوش في العراق القديم هي التحصينات العسكرية وبناء القلاع، وسبب ذلك يرجع إلى توفر الحجر في المنطقة التي سكنها الأشوريين، وهذه التحصينات العسكرية قد أدت بدورها إلى تطوير آلات الحصار التي تمخضت عنها صناعة الدبابة الأشورية بالمصطلح الحديث.

ويمكن أن نعد المهاجمين بآلات الحصار ودك الأسوار صنفا من الأصناف المقاتلة، وكانت مهمة هذا الصنف الرئيسية هي دك الأسوار، وإحداث ثغرات أو فجوات في أسوار المدينة المحاصرة التمكين الجيش من الدخول إلى المدينة.⁽²⁾

و من الأمور الجديرة بالذكر أن المشاهد الحربية قد بينت أن آلات الحصار كانت أنواعا منها الصغيرة و الكبيرة التي تتسع لخمسـة أشخاص، وبالتأكيد أن استخدام آلات الحصار الكبيرة أو الصغيرة كان يتوقف على نوعية الأسوار وجدران القلاع المراد تهديمها، وأدت الأسوار والقلاع إلى إدخال السلالـم ضمن التجهيزات العسكرية، وذلك لغرض التسلق إلى أعالي الأسوار عند مباغـة الجيش المواقع المحصنة.

(1) دياكوف كوفاليف، تر: نسيم واكيم اليازجي: المرجع السابق، ص ص، 184-183.

(2) Florence Malbran:op –cit, pp, 840-841. 09: 30.



الصورة رقم 07 : عملية حصار المدن واستعمال آلات الحصار الضخمة ، كما تظهر فيها عملية تسجيل الغنائم و هي تعود للملك الأشوري شلمنصر الثالث (858 – 824 ق. م).

كما كان يدير شؤون هذه الآلات، صنف خاص من الجند هم المهندسون والفنيون، والذين يعهد إليهم أيضا مهام ردم المياه المحيطة بالمدن لحمايتها، وحفر الأنفاق تحت الأرض للدخول إلى المدن المحاصرة.⁽¹⁾

ويرجع الفضل في صنع تلك الآلات الضخمة إلى معدن الحديد، فقد استغله الآشوريون في صنع أدواتهم وأسلحتهم الحربية، وقد ورد في الوثائق الآشورية التجارية القديمة، أن الحيثيين هم الذين كانوا يحتكرون معدن الحديد، ولكن بعد انهيار الإمبراطورية الحيثية، تم كسر احتكارها للحديد، واستغله الآشوريون لصالحهم.⁽²⁾

فقد عثر المنقبون في مخازن الملوك الآشوريين كقصر الملك سرجون الثاني في خورسباد على آلات وأدوات حربية ضخمة مصنوعة من الحديد ويبلغ وزنها حوالي ستة وثمانين طناً.⁽³⁾

هـ - الأصناف العسكرية الأخرى:

فيما سبق تحدثنا عن الأصناف العسكرية التي كانت مهامها الأساسية هي القتال، وفيما يلي نتحدث عن الأصناف العسكرية الأخرى ذات المهام غير القتالية.

ومن أهم هذه الأصناف العسكرية صنف الأطباء، ورئيس هذا الصنف كان يسمى "راب-آسي" Rab-assi أي بمعنى كبير الأطباء، وكانت مهمته الرئيسية هي معالجة الجرحى أثناء القتال أي أنه كان يتألف بصورة أساسية من الجراحين، أما معالجة الأمراض الجرثومية فتأتي بالدرجة الثانية، وكانت تعالج وفق نصوص طبية مبين فيها علاج كل مرض، وأما العمليات الجراحية فليس بالإمكان إجراؤها من خلال النصوص بل يتوقف نجاحها على جراح ماهر، ولذلك كان صنف الأطباء الملحق بالمؤسسات العسكرية يعتمد بالدرجة الأولى على الجراحين.

⁽¹⁾ فوزي رشيد وآخرون: الجيش والسلاح، المرجع السابق، ص 58-60.

⁽²⁾ (W) Hallo, William Kelty simpson : ANEH ,op-cit,p,199.

⁽³⁾ (J) .Malcolm. Russell : sennacheribs place without rival at nineveh,Chicago : the university of Chicago: 1991,p103.

وعلاوة على الصنف المذكور سابقا، كان صنفان آخران الأول هو صنف الموسيقى العسكرية، ورئيس هذا الصنف كان يسمى "راب زماري" Rab-zammar، و قد كان لهذا الصنف قدرة على إثارة طاقات الإنسان الكامنة باستخدامها عند مسيرة الجنود إلى المعركة تمنحهم العزيمة الكافية للقتال، علاوة على قدرتها في ضبط مسيرة الجيش أثناء سير الجنود وأثناء الاستعراضات، و أما الصنف الثاني فهو صنف الهندسة العسكرية الذي من مهامه ردم خنادق المياه المحيطة بالمدن لحمايتها و حفر الخنادق تحت الأرض.⁽¹⁾

كما ضمت الحملات العسكرية صنف البريد الذي كانت مهمته إيصال المعلومات بالسرعة الممكنة، بالإضافة إلى عدد من الكتبة والنحاتين وذلك لتدوين وتصوير تفاصيل المعارك التي خاضها الجيش والأسرى الذين تم أخذهم وأيضا إحصاء الغنائم.

وقد ظهرت تلك الأصناف من الجيش الأشوري في النقوش الآشورية، وهي مرصوصة الصفوف، وهذا ما يدل على انه كانت هناك درجة عالية من الانضباط.

و ضم الجيش الأشوري أيضا جهازا إداريا متطورا، حيث عمل على تنظيم الشؤون غير العسكرية، والخاصة بالقوات المسلحة، وتوفير المؤن والعتاد اللازم، وقد وصلتنا العديد من النصوص المسمارية التي تشير إلى توزيع الأرزاق والمؤن على الضباط والجنود.⁽²⁾

و بالتالي يمكننا القول بأن الجيش الأشوري كان يضم صفوف مقاتلة و أخرى مساعدة إضافة إلى بعض التابعين ممن كانت لهم مهام إدارية بحتة أما الأصناف المقاتلة ف ضمت القطاعات التي كانت تشارك فعلا في القتال و كانت تتألف من المشاة و المركبات و الخيالة و أخيرا آلات الحصار الضخمة.

⁽¹⁾ فوزي رشيد وآخرون: المرجع السابق، ص ص، 57-58.

⁽²⁾ عامر سليمان: المرجع السابق، ص، 102 .

3- القواعد العسكرية الدائمة (الجيش المربط):

لقد كان الاستخدام الفعال للقوى العسكرية الآشورية يعتمد على عاملين أساسيين، وهما التنظيم والانضباط، ولم يكن جيش آشور عبارة عن فلاحين متعطشين لسفك الدماء، تدعمهما قوة من الفرسان لا يهتمها سوى جمع الغنائم، ولكن في الحقيقة كان الجيش منظمة معقدة تضم وحدات متخصصة من عدة أنواع، وكان نواتها هو الجيش المربط، وكان هذا الجيش مكلفا بعدة مهام وواجبات على أسس دائمة.⁽¹⁾

و إنشاء الجيش الدائم كان استجابة طبيعية لتوسع حدود الدولة وظهور الحاجة إلى وجود قطاعات عسكرية دائمة لحماية حدودها، والقضاء على الفتن والاضطرابات التي قد تحدث في بعض أرجائها الواسعة، لذا كان من الضروري إبقاء وحدات عسكرية صغيرة في الأقاليم والمدن الحدودية والرئيسة لحمايتها من أي اعتداء خارجي، ولإخماد أي تمرد داخلي، وكانت مهام الجيش الدائم مستمرة على مدار السنة.

ومن المدن التي وجد بها قواعد عسكرية دائمة Ekal-mafarti في آشور نذكر مدينة كالخ حاليا، حيث قام الملك آشور ناصر بال الثاني 867-885 ق.م، بإعادة بناء هذه المدينة، والتي أسسها من قبل الملك شلمنصر الأول، ولكنها هجرت، لذلك فقد قام هذا الملك بتجديدها وإعادة بنائها، واتخاذها عاصمة له، وعلى الأخص عاصمته العسكرية.⁽²⁾

و في هذا السياق لابد أن نذكر بأن الملك الآشوري شلمنصر الثالث الذي حكم فيما بين 858-824 ق.م، قام بتحويل العديد من المدن الآشورية إلى حصون ومعسكرات وقد أضاف إلى مدينة كالخ حصنا ضخما، وجعله مركزا لانطلاق الجيوش الآشورية ومخازن أسلحتها وعدتها بالإضافة إلى الغنائم.

⁽¹⁾ هاري ساغر : المرجع السابق، عظمة آشور، ص ص، 360-359.

⁽²⁾ (W) Budge: a guide to the babylonia and Assyrian antiqites ,scont edition ,London : printed by ordre of the teustees , 1908, p14,p21.

كما قام الملك أسرحدون الذي حكم فيما بين 669-680 ق.م، بتوسيع هذه القواعد العسكرية الدائمة إلى ترسانة، حيث قام بتوسيع الأجنحة التي كانت موجودة بها، مع بناء عدد كبير من أجنحة أخرى، وهذا لاستيعاب عدد أكبر من المعدات، والعناية بالخيول والعربات.⁽¹⁾

ومن كل هذا يتضح بأن الجيش الدائم كان مكلفا بعدة مهام وواجبات على أسس دائمة، كالاستعانة به في مواجهة أي خطر داخلي أو خارجي تتعرض له الدولة الآشورية، كما أن القواعد العسكرية الدائمة كانت في تطور و توسع مستمر بحيث أصبحت ترسانة .

⁽¹⁾ (K) Grayson : Assyria:sennacherib and esarhaddon(704-669)B.C, CAH, VIII, part.2, combridge university press,2008, ,p.135.

4- الرتب العسكرية الآشورية:

كان الملك الآشوري هو القائد الأعلى للجيش، وكان غالبا ما يقود الحملات العسكرية بنفسه، لذلك كان الملك يقضي السنوات الأولى، فقط من عمره في قصر الحريم، وعندما يصبح في مرحلة الشباب فإنه يتعلم الفنون العسكرية والفكرية، ويذكر الملك الآشوري آشور بانيبال الذي حكم فيما بين 668-627 ق.م أنه تدرب على كل الفنون العسكرية والفكرية، وركوب الخيل، وإطلاق النار، بالإضافة إلى القراءة والكتابة.⁽¹⁾

وكان الى جانب الملك في الحملات العسكرية قائد عسكري ذو رتبة عالية، وهو التورتان Tourtan، كما يمكن لهذا القائد أن يقود الحملات العسكرية بنفسه، في حالة غياب الملك، كما يمكنه أيضا أن يكون حاكما على المقاطعات التابعة للسلطة الآشورية.⁽²⁾

ومما عرف عن الآشوريين وضعهم دائما البديل لكل رتبة من الرتب العسكرية العالية، حيث أن طبيعة الحياة والحروب قد تؤدي بحياة أصحاب هذه الرتب العالية في فترات هي بأمس الحاجة إليهم، فإن لم يكن هناك من يحل محلهم في الحال فتلك ناحية تؤثر على الجيش وعلى نفسية الجنود والضباط، وخاصة إذا حدث ذلك أثناء المعركة، ولذلك كان هناك دائما بديل.

والبديل بالنسبة لرتبة التورتان كان يسمى "تورتان شانو" أي بمعنى "التورتان الآخر" ويرتدي كل منهما بذلة طويلة نهايتها السفلى مزخرفة. وفي وسطها حزام عريض وآخر ضيق ويرتدي فوقها شالا "يتألف من صفائر طويلة ويترك عادة كتفه الأيسر عاريا"، وأما لباس الرأس فكان عبارة عن عصابة مزخرفة عريضة من الأمام يتدلى منها شريطان من الخلف، وينتعل الترتان حذاء شبيهها بما ينتعله الملك، وهذا الحذاء مثبت بالقدم بسيبور تدور حول الأصبع الكبير وحول العقب، ويمتد بينهما سيرر ثالث ويكون مع امتداد واقية العقب من الحذاء إلى منتصفه، والرتبة التالية للتورتان هي رتبة الراب- ساق Rab-saque، والتي تعني كبير السقا.⁽³⁾

⁽¹⁾ (K) Grayson :Assyria civilisation,CAH, op-cit,p,198.

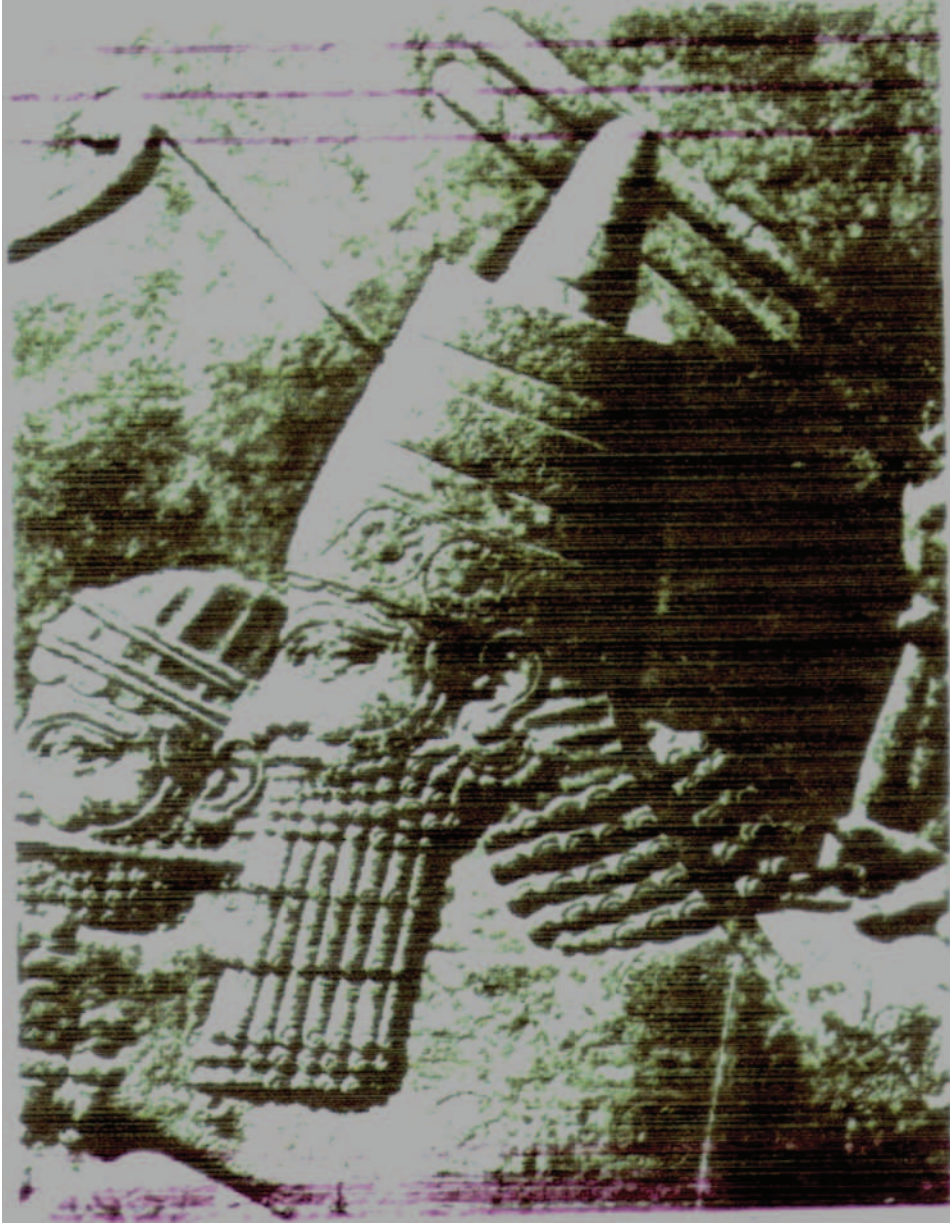
⁽²⁾ (M) Vieyra : Les Assyriens, France : édition de Seuil, 1952,p84.

⁽³⁾ فوزي رشيد وآخرون: الجيش وال سلاح: المرجع السابق، ص ص، 55-56.



الصورة رقم 08: توضح تمثال للملك الأشوري آشور ناصر بال الثاني

883 - 859 ق.م .



الصورة رقم 09: توضح تمثال نصفي للملك الأشوري آشور بانيبال

(668- 627) ق.م .

ومن هنا يتبين لنا أنه كان من أكبر المشاكل التي كانت تصادف الجنود أثناء المعارك القديمة هي عملية توفير الماء اللازم ، وخاصة إذا كانت المعركة في أشهر الصيف، وبالتالي فإن الشخص الذي يستطيع إدارة هذه المهمة بنجاح ينال احترام وتقدير السلطة الحاكمة وكل أفراد الجيش ضباطا كانوا أم جنودا.

ويأتي بعد رتبة الراب- ساق رتبة " ناقر إيكالي " Nagir -ekalli أي بمعنى منادي القصر ومهمته بالتأكيد هي دعوة الجنود إلى الخدمة العسكرية، والجهاز الذي ترأسه هذه الرتبة لابد أنه يوازي مديرية التعبئة والإحصاء في الوقت الحاضر، والرتبة الأخرى هي رتبة "الأبركو " Abarakku ، ومسؤولية حاملها هي الإشراف على الناحية المالية، علما أن أصحاب هذه الرتب الأربع مضافا إليهم يكونون هيئة أركان الحرب.

ومن الرتب العالية التي تلي هيئة أركان الحرب هي رتبة "السوكالو" SUukkallu ،ومن اسم هذه الرتبة جاءت كلمة "سوكال" ومهمة السوكال هي الإشراف على تنفيذ القوانين، فهو بذلك يوازي مدير الدائرة القانونية، ومن بعده تأتي رتبة الضباط ودرجاتهم، فكبير الضباط يدعى "راب موكي" mugi - Rab ، وكان تحت إمرته الخيالة والعربات، و"راب كيصر" Rab -kisir ، والذي يوازي أمر سرية في الوقت الحاضر، وكان صاحب هذه الرتبة يقود مئة جندي وخمسين عربية.⁽¹⁾

وعلاوة على ذلك فقد احتوى الجيش الأشوري على رتب أخرى منها ما يوازي حاليا رتبة أمر الفصيل، وصاحب هذه الرتبة كان يقود خمسين جنديا مع خمسة وعشرين عربية، و رتبة أمر الحظيرة الذي تحت إمرته عشرة جنود، وغيرها من الرتب العسكرية الأخرى.⁽²⁾

و من كل هذا يتجلى واضحا أن الرتب العسكرية الأشورية كانت تضم رتبا عسكرية عليا، بحيث يحق لصاحبها قيادة الحملات العسكرية نيابة عن الملك وأخرى رتب صغيرة كالضباط والجنود الذين كانت مهامهم مختلفة كالإشراف على الأمور الإدارية و المالية و المشاركة في الحملات العسكرية .

(1) فوزي رشيد وآخرون: الجيش والسلاح: المرجع السابق، ص، 56.

(2) (M) Vieyra : op-cit,p,p84.

المبحث الثاني: التكتيك العسكري

1- المعارك النظامية المفتوحة:

إستطاعت الجيوش الآشورية أن تدخل التنويع في تكتيكها العسكري، وذلك طبقا للمناسبات، فقد كانوا يشتركون في معارك نظامية في الأراضي المفتوحة، وفي حرب الجبال، وفي حصار أي مدينة في المنطقة.

وكانت المعارك النظامية المفتوحة بين جيشين في ميدان مفتوح أكثر دموية وكان من بين الملوك الآشوريين الذين قاموا بهذا النوع من المعارك الملك شلمنصر الثالث الذي حكم فيما بين 825-860 ق.م، والذي لم تخلو فترة حكمه تقريبا من الحروب، فقد قام بحملات في الغرب أدت إلى إلحاق الهزيمة بالحلف السوري في دمشق.⁽¹⁾

فقد وصفت المعركة النظامية المفتوحة في موقعة القرقار في عام 853 ق.م، في حوليات هذا الملك كمايلي: "...توجهت إلى مدينة قرقر، وحصلت على 1200 عربية حربية، 1200 فارس و2000 جندي تابع لأدد أيدر ملك دمشق، و700 عربية حربية، 700 فارس، و1000 جندي تابع لأرخوليني ملك حماة، و200 عربية، و1000 جندي تابع لأحاب ملك إسرائيل، و500 جندي في مدينة عرقانا، و200 جندي تابع لماني بعل ملك أرواد، و200 جندي من بلاد أوستانو، و30 عربية حربية، 1000 جندي لأدون بعل ملك سيانو، و100 جمل تابع لجندب العربي، 1000 جندي تابع لبعا بن رحوب ملك بلاد العمونيين، هؤلاء الملوك الإثنا عشر جاء بهم كحلفاء له..."⁽²⁾.

وما يلاحظ على هذا النص أن إمدادات الملوك الإثنا عشر في هذه المعركة كانت متباينة، فقد كانت نسبة الجيوش التي قدمها ملك دمشق وملك حماة أكثر من الملوك الآخرين، والذين تم ذكرهم في هذا النص، وقد يعود ذلك إلى رغبة هاذين الملكين في التخلص من تبعية و سيطرة هذا الملك الآشوري و بالتالي إبعاده عن دمشق و حماة

⁽¹⁾ (W) Budge :a guide to the babylonian and assyrian antiquities: op-cit,p.30.

⁽²⁾ (D) David lukenbill :ARAB, op-cit,p.223.

و في هذا السياق لابد أن نذكر أن الملك الأشوري سنحريب قد وصف إحدى معاركه النظامية المفتوحة وذلك عندما صد الجيش العيلامي الغازي على نهر دجلة عام 691 قبل الميلاد، وكان سبب قيام الملك بهذه المعركة هو تعقب أحد حكام مدينة بابل، وهو مردوخ بالادان الثاني، بعد فراره بأعوانه إلى الشاطئ العيلامي.

وقد وردت هذه المعركة النظامية في حوليات الملك سنحريب كما يلي: "... ولقد صلى سنحريب إلى الآلهة لكسب المعركة، وليس درعه، وركب عربته الحربية، وبادر إلى العمل، وبأمر من آشور الإله السيد الأعظم، واندفعت على العدو، وكأني عاصفة، ولقد هزمتهم، وأرجعتهم ولقد أثخنت جنود العدو بالرماح والسهم، ولقد قطعت حناجر جيش "هومان" أنداشا القائد الأعلى لجيوش ملك عيلام، بالإضافة إلى نبلائه، وبدأت خيولي المعتادة على القتال تنغمس في دمائهم المتفجرة، وكأنها تغوص في نهر..."⁽¹⁾.

ويتبين لنا من خلال هذا النص أن الملك الأشوري سنحريب قد اظهر قسوة بالغة في معاملة أنصار الثائر مردوخ بالادان الثاني من خلال عمليات إعدام جيش العدو، والتنكيل بهم، وهو ما يعرف عن الجيش الأشوري، ثم قام بعد ذلك بعقابها على مساعدة الثائر وأيضا غزو المدن العيلامية الساحلية للحصول على غنائم وأسلاب كثيرة.

(1) هاري ساغر، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: المرجع السابق، ص، 382.

2- الحروب في الجبال:

إن من أشكال الحروب الآشورية أيضا الحرب في الجبال، وهناك مثال على هذا النوع من الحروب، فقد قام الملك الآشوري سرجون الثاني بحملة عسكرية كبيرة عام 714 ق.م على دولة أوراتو في الشمال (أرمينيا حاليا).

و وقعت المعركة في غربي شمال إيران وتصف النصوص بأن ملك أوراتو "دوسا" تراجع لإستدراج الملك الآشوري حتى امتدت مواصلاته إلى نقطة انخفضت فيها معنويات جنوده، وأصبح من الصعب عليه السيطرة على جنوده كلهم وعند ذلك أرسل الملك أوراتو رسولا، وذلك تحديا منه للملك الآشوري، وقد طلب منه أن يتقدم ويشترك في القتال.

وأمام هذا العجز لجأ الملك الآشوري إلى الآلهة يصلى للإله آشور، وقد جاءت تفاصيلها في التقرير الذي كتبه هذا الملك في شكل رسالة إلى الإله آشور: "...أبي الأرباب الذي سيكون في معبد جبل البلدان العظيم، ثم يرسل بتحياته إلى الآلهة الأخرى التي تختص بالمصير، وإلى الآلهات اللواتي لهن هياكل في المعبد، وبعد أن يرسل بتحياته إلى مدينته وبلاطه، وينمي السلام لنفسه ولجيشه..."⁽¹⁾

ويمكن تفسير ذلك بأن الملوك الآشوريين كانوا يعتقدون بأنهم يقاتلون تنفيذا لرغبة الآلهة التي توحى إليهم، وترفع من معنوياتهم، وبالتالي فإن القوة الثانية التي يعتمد عليها الملك هي قوة الدين، كما واصل الملك الآشوري وصفه للصعاب التي قابلته في عبور الأنهار أثناء فيضاناتها، وكيف عبر الزاب الأعلى والأسفل، وذلك دون أن يعتري جنوده خوف أو ملل حتى بدأت الأنهار أمامهم، وكأنها قنوات ضيقة وكيف عبروا الجبال المغطاة بأشجار كثيفة.

وأدرك الملك الآشوري الوضع التكتيكي، وانتهاز الفرصة التي سنحت له، وبغض النظر عن المشكلات بالنسبة لجنوده، فقد قاد حرسه الشخصي من الخيالة إلى وسط المعركة، وكسر هجوم

⁽¹⁾ (K) Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705) BC , CAH,op ,cit,pp,95-96.

الملك الأشوري خطط العدو، واستولى على مقر القيادة، ووصل إلى معسكر ملك أوراتو نفسه حيث عطب الجيش الأشوري عرباته بقذفها بالسهام، وأيضاً قتل الخيول.⁽¹⁾

إن ما حدث لمعسكر ملك أوراتو جعله يترك عربته، ويلوذ بالفرار، ثم حدثت بعد ذلك مذبحة عظيمة في الجيش الأوراتي وهرب الباقون بشكل فوضوي في الجبال.

وسرعان ما سقطت المعازل الأخرى الواحدة تلو الأخرى، وذلك عندما أحرق الأشوريون المحاصيل الزراعية، ونهبوا مخازن الغلال، ثم يمضي الملك سرجون الثاني فيقول: " لقد قدت حيوانات معسكري نحو الريف القريب من المدينة، فدمرت الحيوانات المحاصيل الزراعية فضلاً عن السهول".⁽²⁾

وهذا ما يوحي لنا باستخدام الجيش الأشوري صنف من التكتيك العسكري ألا وهو إحراق المحاصيل الزراعية وتخريب الحقول وهو ما يعرف بالمصطلحات المعاصرة بسياسة التجويع لإنهاك قوى و الخصم العدو.

⁽¹⁾ (K) Grayson :Ibid,pp,96-97.

⁽²⁾(G) Roux : La Mésopotamie, op –cit , p,360.



الصورة رقم 10: توضح إحدى معارك الجيش الأشوري في الجبال.

3 - حصار المدن:

ومن الأشكال الأخرى في الحروب الآشورية نذكر عملية الحصار، وكان أولى مستلزمات هذا العمل هو عمليات النقل الفعالة التي تلزم لجلب آلات الحصار.

وكانت هذه الآلات الضخمة هي السلاح المفضل للجيش الآشورية، وهي عبارة عن برج من الحديد يكمن بداخله رماة السهام والمهاجمون، ويتراوح عددهم بين اثنين وثلاثة، وفي مقدمة تلك الآلات عمود كبير مصنوع من الحديد.⁽¹⁾

أما بالنسبة للسلالم فقد كانت تستخدم للصعود على الأسوار، وهي مصنوعة من الأخشاب، وقد كان يصعد عليه حامل القوس وحامل الترس ليحمي رفيقه، وكانت تلك السلالم تصنع لتمكين آلات الحصار من الوقوف أمام النقاط المرتفعة من الأسوار وأما جنود الهندسة العسكرية فقد كانوا يقومون بحفر الأنفاق تحت الأرض، وذلك للدخول إلى المدن المحاصرة.

في حين كان جنود المشاة يقومون بتسلق الأسوار عن طريق السلالم، وكذا الأماكن الضعيفة بالنسبة للأحوال الدفاعية، وقد كان وابل من السهام، وحجارة المقاليع ينهمر فوق رؤوس المدافعين من الرماة.

كما كان هناك سلاح آخر مستعمل، وهو النار، حيث يقوم الجيش بإشعال النار في المدينة بأكملها وقد كانت إحدى الوسائل لفعل ذلك وهي إطلاق سهام تحمل جمرًا ملتهبًا.⁽²⁾

وبالتالي يتجلى لنا واضحا أن عملية حصار المدن كانت تتم بطريقة منظمة جدا، وأيضا في غاية التخصص.

وقد صورت لنا المنحوتات الآشورية طرق وأساليب حصار المدن وآلات الحصار المستخدمة أروع تصوير، لا سيما وأن معظم مدن الألف الأول قبل الميلاد في سوريا وفلسطين كانت محصنة بأسوار ضخمة و تتخللها أبراج عالية.

⁽¹⁾ (M) vieyra : les assyriens ,op-cit,p94.

⁽²⁾ (K) Grayson : Assyrian civilisation, CAH, op-cit,p,220.



الصورة رقم 11:توضح عملية حصار المدن واستعمال السلالم و حفر
الخنادق تحت المدن المحاصرة.

وهناك المثال على هذه المدن المحصنة مدينة صيدا الفينيقية، وقد قام الملك الآشوري أسرحدون بشن حرب عليها، واستطاع الاستيلاء عليها عام 676 قبل الميلاد، وانتقم من سكانها أبشع انتقام، حيث دمر المدينة بأكملها، وهدم عمرانها وأطاح بتحصيناتها وأسوارها، وقذف بأحجارها في البحر.⁽¹⁾

وهذا يبين لنا مدى عنف الملوك الآشوريون في معاقبة خصومهم لزرع الرعب في الأعداء قبل الوصول إلى نقطة إعلان الحروب.

كما استخدم الجيش الآشوري أيضا مجموعة متنوعة من التكتيك العسكري، وذلك لإقناع شعوب المدن المحاصرة على الاستسلام بدون مقاومة وهذه التكتيكات العسكرية شملت المبادرات الأولى للسلام، ذلك أنه بعد تطويق المدينة المحاصرة، يقف واحد أو أكثر من كبار الضباط في الجيش بالقرب من جدران المدينة المحاصرة لإقناع الشعب بالحجج وسبب العصيان والتمرد ويطلب منهم فتح البوابات.

و هنا يجدر بنا أن نذكر بأن الجيش الآشوري قد استخدم هذا النوع من التكتيك العسكري في حصار مدينة بابل عام 729 ق.م، وذلك بسبب تمرد لها على السلطة الآشورية، فبعد وفاة حاكم مقاطعة بابل الموالي للآشوريين، وقع تنافس على العرش البابلي، وكان أشد منافس على حكمها مردوخ أبال أدين الثاني، إلا أن جيوش الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث أجبرته على الفرار، واستطاع الملك الآشوري أن يحكم بلاد بابل حكما مباشرا، حيث أطلق على نفسه اسم بولو Pulu.

و يحتمل هذا الاسم أكثر من تفسير فقد يكون اسمه الشخصي و يدل بهذا على أنه لم يكن من البيت الحاكم الآشوري و اذا صح هذا الافتراض أي أنه من قادة الجيش نظرا لما تحلى به من مهارات حربية أو قد يكون اسم بولو مجرد مرادف بابلي اخترعه البابليون لغرض ما.⁽²⁾

⁽¹⁾ (G) Roux :op-cit,p.p.370

⁽²⁾ (K) Grayson : Assyrian civilisation, CAH, op-cit,pp,220-221.

ويبدو أن بابل حوصرت عام 729 ق.م، ثم حوصرت مرة ثانية عام 689 ق. م، في عهد الملك الأشوري سنحريب ومرة أخرى عام 652 ق. م في عهد الملك آشور بانيبال، ويمكن أن نفسر هذا الحصار المتتالي لبابل بعدم تقبل البابليين الخضوع للحكم الأشوري، وقد يعود أيضا إلى رغبة البابليين في استعادة مجدهم القديم أثناء حكم ملكهم الشهير حمورابي، كما يمكن أن نرجع هذا التمرد المستمر للبابليين إلى مؤثرات خارجية من قبل دول ترغب هي الأخرى في الاستيلاء على بابل وذلك بالتدخل في شؤونها وتحريضها على العصيان.

أما إذا ما قاوم العدو المبادرات السلمية، فإن الجيش الأشوري يلجأ إلى هجوم كبير، سواء كان ذلك بمعركة ضارية أو حصار طويل، وما ينجم عنه من حرق وقتل وسلخ جلود الناس، وتدمير للمحاصيل الزراعية للمناطق الريفية المجاورة للمدينة المحاصرة، وذلك لمنع دخول الإمدادات إلى المدينة.

و النتيجة الحتمية هي أنه إذا كانت المدينة قوية جدا بحيث لا يمكن إحتلالها بالقوة، لأنها ستهزم بسبب المجاعة والجوع.

ومن الأساليب المتبعة من طرف الجيش الأشوري أثناء عمليات الحصار هو بناء الحصون وأبراج الحصار بالقرب من البوابات، وذلك لمنع أي حركة من داخل أو خارج المدينة المحاصرة، وللتحذير من أي هجوم من بوابات العدو، كما كانوا على استعداد للانتظار لعدة شهور أو سنوات حتى يستسلم السكان المحاصرون.

و كانت إحدى الصفات المروعة بالنسبة لحصار المدن هي أكل لحوم البشر، الأمر الذي كانت تشير إليه النصوص المسمارية، ويصف الملك الأشوري آشور بانيبال نتائج حصاره لمدينة بابل والذي بدأ عام 652 ق. م، فقد ورد في الحوليات ما يلي: " لقد حل بهم الجوع، وسبب جوعهم فقد أكلوا لحوم أبنائهم وبناتهم، وقد مضغوا الأحزمة الجلدية. " (1)

(1) هاري ساغر، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور، المرجع السابق، ص155، ص385.

وما يلاحظ على هذا النص أن هناك مبالغة من طرف الملك الأشوري آشور بانيبال في وصف مدى فعالية سياسة التجويع ومنع الإمدادات عن مدينة بابل المحاصرة فلا يعقل أن يأكل آدمي لحم آدمي آخر، فما بالك لحم أبنائهم وبناتهم.

وقد كان سبب حصار الملك آشور بانيبال لمدينة بابل هو تمرد أخيه شمش- شوم أوكن الذي كان حاكما على مقاطعة بابل ، وقد قضى شمش - شوم أوكن نحبه محترقا بعد حدوث حريق في قصره عام 648 قبل الميلاد، وبذلك انتهى حصار الملك آشور بانيبال لمدينة بابل بعد وفاة حاكمها وتفشي الأوبئة والمجاعات واضطرارها إلى الاستسلام.⁽¹⁾

و مما سبق ذكره يمكن القول بأن المعارك العسكرية الكثيرة التي خاضها الجيش الأشوري وقعت في ظروف مناخية وبيئات طبيعية متباينة، فقد حاربوا في مناطق سهلية وأخرى جبلية، وأيضا في مناطق مليئة بالأهوار والمستنقعات، وكان ذلك مع أقوام مختلفين عرقيا وحضاريا، الأثر في زيادة خبرة قادة وضباط الجيش، واكتسابهم مع جنودهم قدرات قتالية عالية، وتدريبها عمليا جيدا.

⁽¹⁾ Maurice vieyra : les assyriens ,op-cit,p38.

المبحث الثالث: أساليب الإعلام لدى الجيش الآشوري

1 - مبدأ الحرب النفسية

إن إحساس الآشوريين بمهمتهم الإلهية أدى بهم إلى فرض الوعي على الشعوب الأخرى، ولكي يحافظوا على الاستقرار في منطقة الشرق الأدنى، ذلك الاستقرار المؤسس على أحقية السلطة الآشورية الإلهية، فقد كان من الضروري إقناع الشعوب بأنه من العبث مقاومة آشور.

وكان من الواجب القيام بهذا عن طريق إظهار القوة الشاملة لآشور من جهة وعن طريق الدعاية من جهة أخرى، ولم تكن هاتان الوسيلتان منفصلتين، فقد أكد مبدأ الحرب النفسية أن غالبية الدول كانت تفضل الخضوع، ودفع الضرائب والجزية، وتقديم بنات الحكام المحليين كحريم للملوك الآشوريين، وهذا كله من أجل تجنب خطر عظمة القوة العسكرية الآشورية.⁽¹⁾

ومن بين القائمين على تنفيذ هذه السياسة الآشورية الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني الذي حكم فيما بين 859-883 ق.م وقد كان أعظم شخصية في المرحلة الأولى من عصرها الحديث، وقد ورث عن أسلافه الأقربين سنة ثبتها هو وخلفاؤه وهي: "اضرب قبل أن تضرب، وهاجم قبل أن تهجم، واجعل تكتيكك بأقرب خصومك عبرة يخشاها بقية أعدائك".⁽²⁾

و من هنا يتبين لنا أن الملوك الآشوريين الراغبين بالمبادرة ببث الرعب و الفزع في نفوس شعوب المقاطعات التابعة لهم حتى يكون ذلك عبرة لبقية خصومهم.

و في هذا السياق لا بد أن نذكر بأنه عثر على ألواح في معبد نينورتا في مدينة كالح تظهر قسوة بالغة في معاملة الملك آشور ناصر بال الثاني أعداءه، وذلك عن طريق الجيش الآشوري الذي عرف بحسن تجهيزه بالمعدات والأسلحة، وأيضا نشره لقواته بشكل فعال وسريع وقمعه لسكان الأقاليم المتمردة على السلطة الآشورية.

⁽¹⁾ (G) leick : In the ancient near east,London : routledge,2002.P30.

⁽²⁾ عبد العزيز صالح :المرجع السابق،ص 509.

و بالإضافة إلى هذه الاستعدادات العسكرية والمادية فقد كانت هناك استعدادات نفسية تمثلت فيما عرف عن الجيش الآشوري من شراسة أخلاقه وميله إلى الفتك والتنكيل بالأعداء، باستخدامهم السلاح والنار في المدن والقرى، كما كانوا يضعون الذين يتهمونهم بالخيانة من حكام الأقاليم على الخوازيق المركزة على الأرض بعد سلخهم أحياء.⁽¹⁾

ويتضح ذلك من خلال وصف الملك آشور ناصر بال الثاني سقوط مدينة كينابو، والتي كان يحكمها "هولاي" "Hulai" وذلك كما يلي: " لقد قتلت 600 من العساكر بحد السيف، وأحرقت بالنار ثلاثة آلاف أسير، ولم أبق على أحد منهم حيا ليصبح رهينة في يدي، وقد وقع أمير المدينة أسيرا في يدي، لقد كومت جثثهم حتى صارت في علوها، وكأنها برج وأحرقت فتيتهم بالنار، وأما الملك فلقد سلخته وعلقت جلده على جدار مدينته، وأما المدينة فقد دمرتها وأحرقتها بالنار."⁽²⁾

وما يلاحظ على هذا النص أن الملك الآشوري قام بعمليات إعدام جماعية، وذلك مع التنكيل بسكان الأقاليم المتمردة على السلطة الآشورية وحكامهم، وأيضا تدمير وحرق المدينة، وهذا ما يدل على أن الملك الآشوري كان يهدف من وراء ذلك إلى إظهار القوة العسكرية التدميرية للجيش الآشوري، وأيضا لتكون مظهرا من مظاهر الدعاية والردع.

كما يظهر أيضا مبدأ الحرب النفسية من خلال الأسلوب الذي استخدم في تصوير النقوش النافرة لمشاهد الحروب، ففي قصر الملك آشور ناصر بال الثاني في مدينة كالح كانت مشاهد الحرب هي السائدة ولكن في القاعة التي كانت تستخدم كغرف اجتماع المستمعين فقط من الزوار والحكام والسفراء وأما الغرف الأخرى فكانت مخصصة للموضوعات الدينية والاحتفالية.⁽³⁾

ويبدو أن هدف الملك واضحا، وهو التأثير وردع السفراء من خلال رؤية تلك المشاهد بعظمة آشور وقوتها العسكرية، وبالتالي فإن مبدأ الحرب النفسية قصد به تخفيف الحاجة إلى العمل الفعلي.

⁽¹⁾ (D) David lukenbill : ARAB , op-cit,pp,146-147.

⁽²⁾ (D) David lukenbill : Ibid, p,146.

⁽³⁾ هاري ساغر، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور، المرجع السابق، ص، 369.

2 - سياسة الدعاية:

طبق الملوك الآشوريون أداة سياسية فعالة أخرى، ألا وهي الدعاية، ويظهر ذلك من خلال النقوش الملكية التي تصور بؤس وشقاء الشعوب الأجنبية مع تفوق القوة العسكرية الآشورية، حيث تظهر بأيديها ممدودة للعقاب، وهي تتوسل للجيش الآشوري.

كما يظهر مبدأ الدعاية من خلال تعذيب الأسرى، فقد كانوا يقومون بشق شفاههم، وقطع أوصالهم لتبقى طعاما للحيوانات الضارية، والبعض منهم يؤخذون إلى آشور للعمل في مشاريع البناء، بالإضافة إلى العمل في الأراضي الزراعية الشاسعة.⁽¹⁾

وهنا يجدر بنا أن نذكر بأن الفظائع التي ارتكبتها الجيش الآشوري كانت تظهر أيضا من خلال الخسائر التي تكبدها العدو والشعوب المتمردة على السلطة الآشورية، كالإعدام علنا بالنسبة لحكام تلك المقاطعات.

وكمثال على ذلك ما حدث عندما تمرد في عهد الملك سرجون الثاني، سكان مدينة حماه، قضى هذا الملك على التمرد في معركة قرقر في عام 720 ق. م.

ووردت هذه الحملة في حوليات الملك الآشوري كما يلي: " ياويدي من عامة مدينة حماه، حتى ملعون جعل نفسه ملكا على المدينة وحرّض ضدي مدن أرواد وسميرا ودمشق و السامرة، فتعاونوا وجهزوا جيشا مشتركا وأطبقت عليه في قرقرة مدينته الأخيرة، ففتحتها وأحرقتها، أما هو فقد أمسكت به وسلخت جلده، وقتلت المتمردين وأحللت النظام والسلام فيها."⁽²⁾

و يتبين لنا من خلال هذا لنص أن حاكم مدينة حماه كان المحرض الأساسي للتمرد على الدولة الآشورية و هذا ما أدى بالملك سرجون الثاني بمعاملته بقسوة بالغة حيث سلخ جلده و أحرق مدينته.

⁽¹⁾ (J-C). Marian. Feldman : ANEA, p106-107.

⁽²⁾ (K) Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705) BC , CAH, VIII, part2, new York : university press,2008, p96.

كما كانت انتصارات هذا الملك مظهرا من مظاهر الدعاية، فقد اقتحم جيشه مدينة موزاسير Musasir ، وقد كان سكان هذه المدينة مذعورين منهم، ولذلك فقد فتحوا لهم الأبواب بدون مقاومة، كما التزموا بدفع الضرائب⁽¹⁾.

ونذكر هذا الملك أيضا أنه بعد قهره لقوى مملكة أوراتو وحلفائها بعد حملته الرئيسية عام 714 قبل الميلاد ما يلي: "إن بقية الناس الذين فروا حفاظا على حياتهم ، فقد أطلقت سراحهم لكي يمجّدوا النصر الذي أحرزه سيدي الإله آشور، وقد مات بعض هؤلاء التعساء المساكين في الجبال، ولكن ناضل الآخرون للرجوع إلى بيوتهم، حيث أن روايتهم المرعبة حول القوة التدميرية لأشور والجيش الأشوري أصابت المستمعين بالبهمة"⁽²⁾.

وهناك مثال آخر لتطبيق مبدأ الدعاية، حيث يذكر الملك الأشوري آشور بانيبال في إحدى رسائله أثناء عصيان بابل عام 652 قبل الميلاد، أن جده الملك سنحريب قد قدم وزنة من الفضة مكافأة على قتل زعيم متمرّد وقد قال إنه نفسه كان سيعطي هذا المال ذهباً مكافأة لجلب أي زعيم متمرّد ضده كان حياً أو ميتاً⁽³⁾.

ويمكن تفسير غرض الملك الأشوري من وراء تقديم المكافأة المالية، بإعلان مصير كل حاكم متمرّد على السلطة الآشورية.

ومن كل هذا يتجلى واضحاً بأن الملوك الآشوريين قد طبقوا أداة سياسية فعالة، ألا وهي مبدأ الحرب النفسية والتي قصد بها تخفيف الحاجة إلى العمل العسكري الفعلي، وذلك من خلال الدعاية وإظهار القوة العسكرية التدميرية الشاملة لأشور من التتكيل بالسكان، وإعدامهم جماعياً وتدمير مدنهم، وسلخ حكامهم وغير ذلك من الفضائع.

(1) (K) Grayson :Ibid ,p,96

(2) هاري ساغر، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: المرجع السابق، ص 370.

(3) هاري ساغر: المرجع نفسه، ص 368، ص 386.

3 - سياسة التهجير إلى الأقاليم البعيدة:

من الوسائل التي إستخدمها الملوك الآشوريون ضد الأقوام المنهزمة سياسة التهجير، فإن الآشوريين قد إتبعوا كما تظهر حوليات ملوكهم، والنقوش الآشورية المتنوعة سياسة قاسية جداً، سواء في معاملة من وقع في أيديهم من أسرى الحروب من أعدائهم، أو سكان الأراضي والمدن التي كانوا يفتحونها وبالتالي فقد اتبع بعض الملوك الآشوريين سياسة التهجير الجماعي.

وقد تمثلت هذه السياسة في نقل السكان من الدول التي كانت تشكل خطراً عليهم في أي بقعة من الأملاك الآشورية، وقد ضم هذا التهجير مهرة العمال، وكذلك كبار رجال الدولة والمجتمع وبقية السكان وبالتالي فإن سياسة التهجير كانت تضم كل فئات المجتمع، وكان الملوك الآشوريون يحرصون على تهجير السكان إلى أقاليم تختلف في الغالب عن عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم.⁽¹⁾

وهذا ما أدى إلى إزالة حدود الدولة المغلوبة وأراضيها، ثم بعد ذلك تقوم بإعادة توزيع المنطقة التي صممت بحيث تصبح خارطتها فسيفساء ذات حدود مصطبغة، وكان يشرف على تلك الولايات إدارياً موظفون آشوريون إشرافاً مباشراً.⁽²⁾

ومن كل هذا يتضح أن الهدف من هذه الخطوات الجزرية في تهجير سكان الأقاليم، هو اضمحلال الشعور المحلي القومي وتجزئة الجماعات المحتلة بلادها، ومحو ذكرى أيام الاستقلال من نفوس الشعوب السابقين .

و كان أول من انتهج هذه السياسة الملك الآشوري شلمنصر الأول الذي حكم فيما بين 1240-1274 ق. م حين نقل مجاميع من سكان أوراتو و جنوب الأناضول و وضعهم في آشور عقاباً لهم على عصيانهم و تهديدهم للمصالح الآشورية على الطرق التجارية هناك . و قد اتبع الملك الآشوري ناصر بال الثاني 883-859 ق.م هذه السياسة إذ جلب هو الآخر بعض الآراميين و الفينيقيين و وضعهم في آشور كالخ.⁽³⁾

(1) سامي سعيد الأحمد: لماذا سقطت الدولة الآشورية ؟ مجلة سومر، ج (1 و2)، المجلد 27، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1971م، ص 124 .

(2) أرلوند توينبي، تر: نقولا زيادة: تاريخ البشرية، ج.1، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1981م، ص 103.

(3) دانيه جمال الدين يعقوب: المرجع السابق، ص133.

و قد أخذت سياسة التهجير شكلا واسعا في عهد الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث الذي حكم فيما بين 744-727 ق. م ، وذلك لتثبيت سيطرته على أطراف دولته، فقد قام هذا الملك بتهجير الشعوب من موطنهم الأصلي إلى بلاد أخرى بعيدة عنهم، وذلك مع إحلال غيرهم من منطقة بعيدة محلهم، بالإضافة إلى تهجير البعض الآخر إلى آشور نفسها، واستغلالهم في العمل في الأراضي الزراعية، ومشاريع البناء. (1)

و في هذا السياق لا بد أن نذكر بأن الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث قد قام في العام الثالث من حكمه بتهجير ألف ومائتين وثلاثة وعشرون شخص من سكان حماه و ساحل البحر المتوسط و ذلك بسبب تمردهم و قد أمر بنقلهم الى كوثي (تل ابراهيم حاليا) ، ويبدو أنه أحل محلهم سكانا أتى بهم من منطقة لولومي في جبال زاغروس، ومن نايري قرب بحيرة فان أو وان .

كما قام تجلات بلاسر الثالث في عام آخر بتهجير عدد كبير من أهل بيت خومريا أي أراضي عمري في منطقة العبرانيين القديمة إلى آشور، وردت نصوص تفيد بأنه هجر بأمره أكثر من مائة ألف من أنصار المنافسين في بابل نفسها بعد أن أخضعها لحكمه المباشر عام 729 قبل الميلاد. (2)

وقد صورت المنحوتات والنقوش الآشورية مشاهد تلك الشعوب التي تهجر إلى مواطن بعيدة، ولنا أن نتصور مبلغ الشقاء والعذاب اللذين كانت تقاسيها تلك الجموع البائسة، وهي تساق مسافات بعيدة مع شيوخها وأطفالها ومرضاها.

ومن بين الملوك الذين طبقوا سياسة التهجير الجماعي أيضا نذكر الملك سرجون الثاني الذي حكم فيما بين 721-705 ق.م ، وتذكر النصوص العمليات المختلفة في هذا المجال . ففي بداية حكمه حاصر مدينة السامرة عاصمة دويلة إسرائيل إلى غاية سقوطها، وقام بتهجير الكثير من أهلها إلى أقاليم بعيدة و هو ما يعرف بالسبي، وقد بلغ عددهم سبعة وعشرون ألف ومائتين وتسعين يهوديا من سكان السامرة، فأسكن قسما منهم في بلاد آشور، وبقاياهم اليوم في القرى كثيرة من شمال العراق كمدينة كلخو (نمرود) وفي مقاطعة كوزان على نهر الخابور.

(1) (K) Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705 Bc),,op-cit,p83.

(2) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص، 516.



الصورة رقم 12: توضح تطبيق الملك الأشوري تجلات بلاصر الثالث (744- 727) ق.م
لسياسة تهجير الشعوب من الأقاليم البعيدة لأشور.

وقام هذا الملك بإسكان شعوب أخرى في السامرة، والذين أتى بهم من بابل وحماه والمدن الأخرى، كما جعل مملكة إسرائيل مقاطعة آشورية مع إلحاقها أيضا إداريا. ⁽¹⁾

ووقعت بعد سنوات من حكم الملك سرجون الثاني اضطرابات في سورية وفلسطين حيث ساهم فيها معظم سكان الولايات المختلفة، بما فيها دمشق والسامرة وقد تكررت العملية على درجة كبيرة، ثم سرعان ما شارك سكان غربي الجزيرة العربية في هذه الاضطرابات، وعندما نجح هذا الملك في القضاء على هذه الاضطرابات، قام بإحضار شعوب آخرين وأسكنهم في هذه الأقاليم. ⁽²⁾

كما ورد في نصوص هذا الملك أيضا أنه قام بنقل الأعراب الذين كانوا يعيشون في مناطق نائية من البادية، ولم يعرفوا حاكما رسميا أو موظفا ولم يدفعوا الجزية إلى أي ملك سابق إلى السامرة وأسكنهم فيها. ⁽³⁾

وقام سرجون الثاني حوالي عام 712 قبل الميلاد، بمحاصرة مدن أشدود وجت وغرة، وبعد انتصاره قام بتهجير عدد كبير من شعوبها إلى أقاليم بعيدة من إقليمها وأسكن مكانها شعوبا من شرق الإمبراطورية الآشورية.

كما ورد في نصوص هذا الملك أيضا بعد إخضاعه لمدينة بابل وذلك في أواخر حكمه، قام بتهجير أكثر من مائة ألف من الكلدانيين والآراميين المتواجدين ببابل، وذلك إلى الأقاليم الغربية من الإمبراطورية الآشورية. ⁽⁴⁾

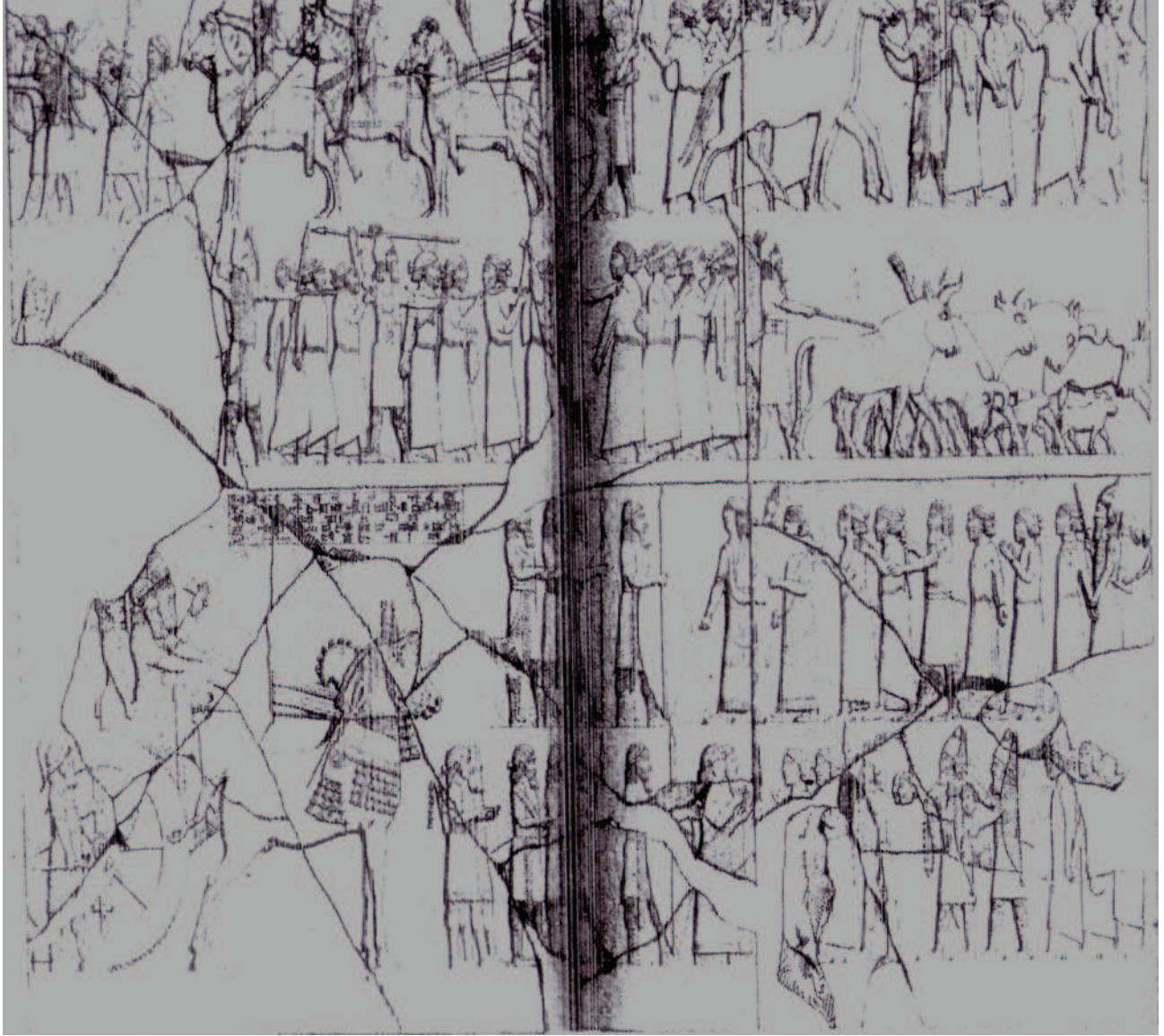
و مما سبق عرضه يمكننا القول بأن تطبيق الملوك الآشوريين لسياسة التهجير إلى الأقاليم البعيدة، قد أدى إلى تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية، وخلط شعوب الشرق الأدنى، وأيضا إحلال البؤس والشقاء في ربوعها، وبالتالي إضعاف وتدمير الدويلات التي كانت تشكل خطرا على الامبراطورية الآشورية.

⁽¹⁾ محمود الأمين: تعليقات تاريخية على حملة سرجون الثامنة، مجلة سومر، ج.2، المجلد 5، بغداد: مديرية الآثار القديمة العامة، 1949، ص218.

⁽²⁾ (G) Roux :LA Mésopotamie, op-cit , pp357-358.

⁽³⁾ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط.2، ج.1، بغداد: مكتبة نيبiras الصفل التاريخية، 1993، ص586.

⁽⁴⁾ (K) Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705 Bc), op-cit,p89.



الصورة رقم 13: توضح مسيرة الجيش الأشوري وقيامهم بعملية تهجير الشعوب المغلوبة

المبحث الرابع: نظام المواصلات الآشوري

1 - العربات:

إن سرعة الحركة عنصر فعال في الحروب الناجحة، إلا أن كثيرا من المناطق خارج منطقة وادي الرافدين كثيرة العقبات، وتعيق التقدم، كالجبال الوعرة، والأراضي الصخرية أو الصحراء الشاسعة، بينما هناك في السهول يجري نهر الفرات ودجلة وروافدهما المتعددة، وهي عقبات تؤخر تحركات الجيش، لذلك فكر الملوك الآشوريون وقادة الجيش في وسائل وسبل تقلل من صعوبة هذه العقبات .

ومن هذه الوسائل صناعة العربات التي تفوق الآشوريون فيها ، وقد مكنت الجيش من التغلب على عامل الزمن في سرعة حركته، كما أعطت مرونة أكبر في الانتقال من منطقة إلى أخرى.

لقد استخدمت العربة منذ فترة مبكرة من التاريخ الآشوري إلا أن استخدامها كان على نطاق ضيق وقد زاد استخدامها في العصر الإمبراطوري إلى درجة أن أصبح لها دور رئيسي في المعارك العسكرية في المناطق السهلية المنبسطة والمكشوفة، وهي مناطق ملائمة لحركة العربات.

كما كانت مهمة صنف العربات اختراق صفوف الأعداء، وتشيت قواتهم، تمهيدا لهجوم الأصناف الأخرى، وقد كانت هذه العربات تجرها خيول، وقد كانوا في البداية يمتطونها بدون سرج ولكنها صارت في عهد السلالة السرجونية أصبحوا يستعملون السرج.⁽¹⁾

ومما تجدر الإشارة إليه أن الآشوريين تفوقوا في صناعة العربات، بسبب استخدام الحديد في صناعة محاور العجلات في العربات وإطاراتها، مما ساعد على زيادة سرعة دورانها، فضلا عن ذلك فإن دولاب العجلة أصبح أكبر حجما. وهذا ما مكن سير العربات بسرعة أكبر، كما أنها أصبحت أكثر قدرة على اجتياز الأراضي الوعرة.⁽²⁾

(1) عامر سليمان: الجيش و السلاح، المرجع السابق، ص ص، 99-100.

(2) ياسر هاشم حسين علي الحمداني: وسائط النقل في العراق القديم، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الموصل ، 2002 ، ص، 64.

ومن الأمثلة على استخدام صنف العربات، وذلك في حملة الملك آشور بانيبال ضد عيلام، عام 640 قبل الميلاد، حيث قام الملك الأشوري بتدمير عاصمتهم سوسة تدميرا كلياً، واستولى على كنوزها وعلى كل ما تملكه، وقد ظهر في النقوش سلاح المشاة والخيالة، وفرسان العربات يقطعون الرؤوس بالمقارع، ويطعنون الظهور بالحراب والسهام.⁽¹⁾

⁽¹⁾ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص524.

2 - القوارب

أ- القوارب الجلدية:

إستخدم الجيش الأشوري القوارب، وقد وردت تسمية القارب بالأشورية بصيغة كيبرو Kibarru، وهذا النوع من القوارب استخدم كواسطة للنقل النهري، ولاسيما في مجال الخدمات العسكرية، وقد مثل في نقوش آشورية كثيرة عبور هذا النوع من القوارب في الأنهار، وكان من الممكن أن تعيق الأنهار تحرك الجيش، ولكن عندما يكون عبور هذه الأنهار غير ممكن، فإن الجيش كان يستعمل قواربا، والتي كان يجلبها لهذا الغرض.⁽¹⁾

وكانت هذه القوارب المصنوعة من الجلود، والتي تشبه الطوافات تطفو فوق مياه النهر، وقد سميت الكلبيك Kelick، و أول من إستعمل هذا النوع من القوارب الملك الأشوري تجلات بلاسر الأول الذي حكم فيما بين 1077-1115 ق.م، و ذلك في الحملة التي قام بها ضد القبائل الآرامية المتمردة في شمال سوريا عام 1111 قبل الميلاد، إذ ذكر في حولياته أنه استخدم القرب المنفوخة عند عبور نهر الفرات، وملاحقة المتمردين.

وقد ورد ذلك في حولياته كما يلي: " ...عبرت نهر الفرات وراءهم على الأكلاك، وبواسطة القرب المنفوخة، وأخضعت ستا من مدنهم، عند سفوح جبل بشرى Bushra، أحرقت هدمت ودمرت مدنهم..."

كما ورد ذكر هذه الطوافات في حوليات الملك الأشوري آشور ناصر بال الثاني، وقد كان البعض منها مصنوع من جلد ماعز، وذلك خلال حملة هذا الملك الأشوري على الإمارات الآرامية، وكان أولها بيت بخياني عام 875 قبل الميلاد، وعاصمتها جوزانا (تل حلف حاليا).

وقد ورد ذلك كما يلي: ".....في اليوم الثامن من شهر أيار، انطلقت من مدينة كالخ، وعبرت

(1) ياسر هاشم علي الحمداني: المرجع السابق، ص71.

الفرات عند قمة فيضانه بمعاير من جلد الماعز وقدمت باتجاه كركميش في بلاد خاتي، أخذت طريقي إلى بيت بخياني، أخذت الجزية من سكانها..."⁽¹⁾

و هنا يجدر بنا أن نذكر بأنه ورد استخدام القرب المنفوخة والمصنوعة من جلد الماعز أيضا في حوليات الملك شلمنصر الثالث الذي حكم 824-885 ق.م، أثناء حملاته على سورية، و أشهرها موقعة القرقار على نهر العاصي في عام 853 قبل الميلاد، حيث استطاع هذا الملك أن يخضع الأقاليم على الساحل الغربي لنهر العاصي.

و في هذا السياق ورد أيضا في حوليات الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث استخدام طوافات مصنوعة من جلد الماعز أي الكيليك، خلال حملته العسكرية نحو جنوبي العراق لضرب الآراميين، وقد كان سبب هذه الحملة هو محاولة هذه القبائل الدخول إلى الأراضي الأشورية، فقد عبروا نهر الفرات، وحاولوا الاستقرار حتى كركميش، لكن الملك الأشوري طردهم، وذلك بعد أن نقل جنوده عبر الفرات على طوافات مصنوعة من جلد الماعز.⁽²⁾

ويتبين لنا من كل هذا أن الجيش الأشوري عبر مراحل دولته وخاصة العهد الحديث، كان يقوم ببناء جسور عائمة من الطوافات باستخدام جلود الماعز، حيث كانت تضخم بملئها بالهواء، وهذا ما سهل نقل المعدات الحربية والأسلحة والإمدادات وغيرها.

ب- القوارب الخشبية

أشار المؤرخ الإغريقي هيرودوت إلى هذا النوع من القوارب، والذي كان إطاره يصنع من خشب الصفصاف، أما بطن القارب فكان يصنع من الجلود المجففة، وقد كانت هذه القوارب مستديرة الشكل.

⁽¹⁾ (D)David lukenbill : ARAB , op-cit,p83,p164.

⁽²⁾ (D) David lukenbille : Ibid,pp 222-223,p269.

فقد ورد وصف هذه القوارب حسب المؤرخ هيرودوت ما يلي: " ولسوف أبسط تاليا أشد ما أدهشني في هذا البلد، عنيت القوارب التي تمخر الفرات إلى المدينة، هذه القوارب مستديرة الشكل، ومادتها من الخشب، وتصنع في أرمينيا شمالا بلاد آشور، حيث يصنعون إطار القارب من خشب الصفصاف، ومن أغصانه تصنع السلام، تم يشدون الجلود المجففة المانعة لتسرب الماء منها، لتكون بطن القارب، وليس لهذا القوارب مقدمة أو مؤخرة وإنما هي مستديرة الشكل كالترس.."(1)

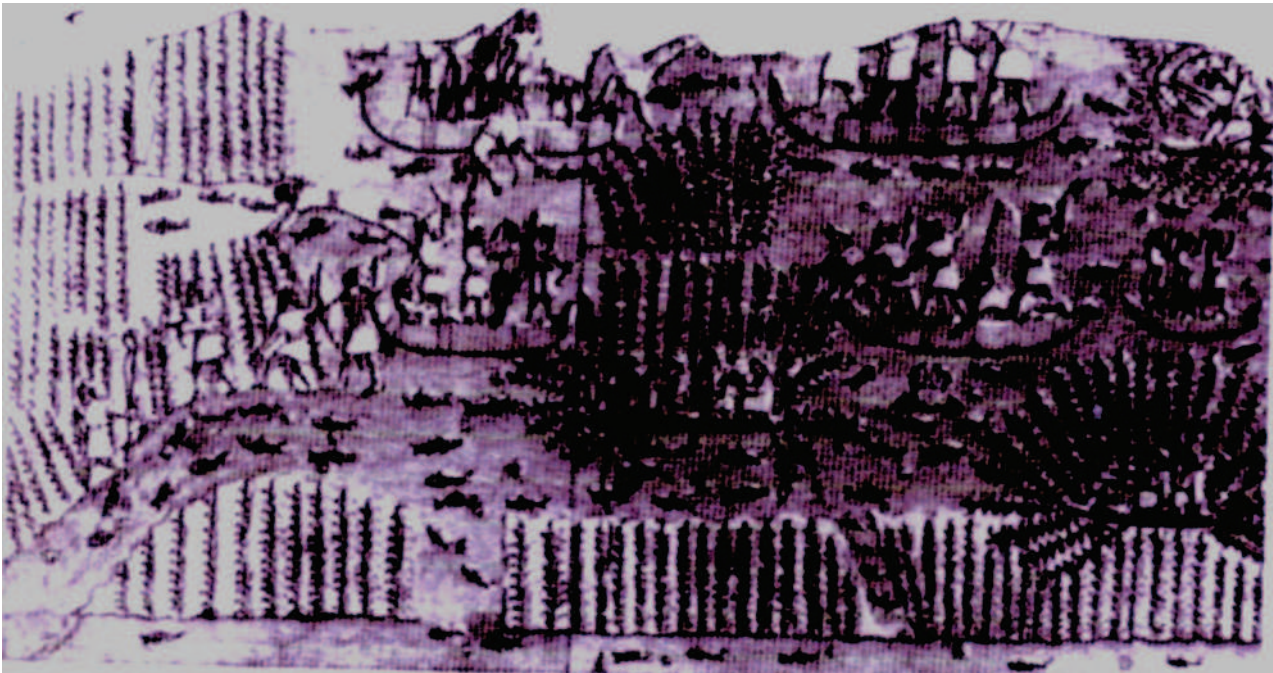
وظهر شكل هذه القوارب المصنوعة من القصب على منحوتة جداريه للملك سنحريب في مدينة نينوى، ويوضح مضمون هذه المنحوتة حملة عسكرية لهذا الملك، وقعت في منطقة الأهوار، وكانت موجهة ضد المناطق الجنوبية، حيث يظهر عبور منطقة الأهوار بواسطة القوارب المصنوعة من القصب، وذلك نحو المتمردين الكلدانيين الذين فروا إلى المدن العيلامية.(2)

(1) Hérodote : Histoire, livre1, pra194, établis et traduit par PH legrand, Paris : société d'édition, les belles lettres, 1946.

(2)(J) Cheng , Marian , Feldman : Ancien near estern art in context, ANEA , op-cit,p.111.



الصورة رقم 14: توضح استخدام الجيش الآشوري للقوارب الجلدية أي ما يعرف بالكيليك keleks وهذه النقوش الآشورية موجودة بمدينة كالح



الصورة رقم 15: توضح حملة عسكرية باستعمال القوارب الخشبية ضد المتمردين الكلدانيين الفارين إلى المدن العيلامية وذلك في عهد الملك الآشوري سنحريب (704 - 681) ق.م .

3 - السفن الحربية:

عرف الجيش الآشوري باستخدام السفن الحربية أيضا، وقد كانت سفن الحرب تعرف باسم

إلب كاري "Elap-qarabi"، وقد كانت تلك السفن متأثرة كليا بالسفن الحرب الفينيقية.

ووجدت مشاهد فنية كثيرة في النقوش الآشورية تظهر فيها السفن، فقد ظهر في عهد الملك شلمنصر الثالث مشهد على صفائح بوابة برونزية حجم السفينة التي استخدمها الجيش الآشوري خلال الحملات العسكرية التي شنّها هذا الملك على المدن الفينيقية.

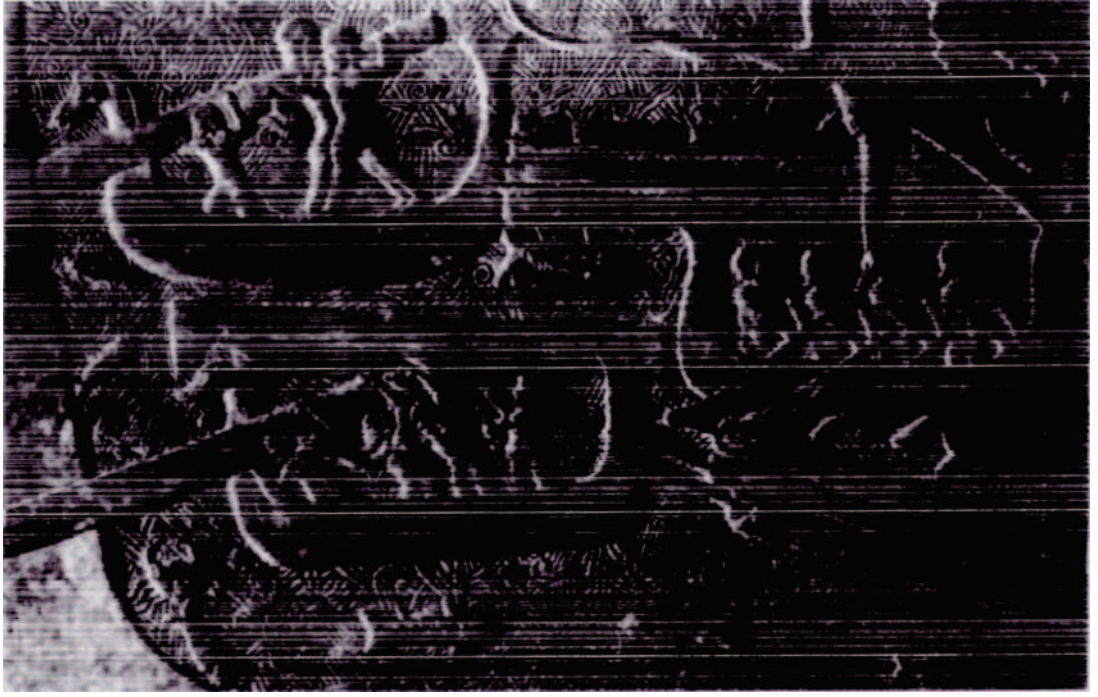
وأبرز النحات في هذا المشهد حاكم مدينة صور مع زوجته، وهما يقفان على مرتفع وسط جزيرة، ويتابعان عملية نقل الهدايا إلى البحر بواسطة سفينتين من الحجم المتوسط، وذلك لتقديمها كاتّاة للآشوريين، ويبدو واضحا من المشهد أن إحدى السفن الواقعة من الجهة اليمنى، قد وصلت إلى نقطة لا تبعد قليلا عن الشاطئ، كما يلاحظ مجموعة من الجنود، وهم يقومون بعملية تفريغ السفينتين من حمولتهما.

وفي هذا السياق لا بدا أن نذكر بأنه وجدت مشاهد للسفن أيضا في النقوش الآشورية التي تعود إلى الملك سرجون الثاني حكم ما بين 721-705 ق.م، وذلك في قصره في دور شاروكين، إذ يظهر على هذه النماذج ملاحون ينقلون الخشب لسفنهم من الساحل الفينيقي.

تفيدنا هذه المشاهد بأن الجيش الآشوري كان يقوم يجلب الأخشاب من المدن الساحل الفينيقي لبناء سفنهم الحربية.

فقد ظهر في المشهد السابق ذكره، أن الجنود عملوا على ربط جذوع الأشجار ببعضها البعض، وكانت تسحب بعد ربطها على شكل مجاميع بواسطة السفن لتنقل بعد ذلك إلى الجهات المحددة.⁽¹⁾

(1) ياسر هاشم حسين علي الحمداني: المرجع السابق، ص ص، 86-87.



الصورة رقم 16: توضح ثلاث سفن للجيش الأشوري تقوم بنقل الخشب من الساحل الفينيقي.



الصورة رقم 17 : تمثل سفن حربية على صفائح بوابة برونزية للملك الأشوري شلمنصر الثالث (824- 858) ق.م أثناء حملته على صور كما تظهر عملية نقل الهدايا إلى السفن الأشورية .

و الجدير بالذكر أن الملك الأشوري سرجون الثاني قاد بعد سقوط السامرة في عام 721 قبل الميلاد بحملات عسكرية إلى الساحل الفينيقي حيث استطاع إرغام المدن الفينيقية وخاصة صور وصيدا و قبرص على دفع الجزية.⁽¹⁾

وكان النحات الأشوري على درجة كبيرة من الدقة في نقل الصورة الحقيقية لأشكال هذه السفن، إذ تتألف من مقدمة على شكل رأس حصان، وذلك للدلالة على الجمال والسرعة، أما جسم السفينة فإنه مشابه للقارب العادي، وأما مؤخرة السفينة، فهي على شكل ذيل سمكة ملتوي نحو الأعلى.⁽²⁾

وبالتالي يمكن القول بأنه باستثناء مقدمة السفينة، فإنه يبدو في مجمل شكل السفينة أنه يشبه جسم السمكة، وقد تكون صممت بهذه الهيئة لتسهيل عبورها أمواج البحر.

وأما أول أسطول حربي تم إنشاؤه في عهد الملك سنحريب الذي حكم ما بين 704-681 ق. م. وأشترك في بنائه صناع من صيدا وصور وقبرص، وعملوا فيه عاما كاملا في "تل برسيب" على الفرات، وفي نينوى على دجلة، وقد كان هذا الأسطول هو أول أسطول حربي كبير في تاريخ الآشوريين.

وبفضل هذا الأسطول الحربي استطاع الملك سنحريب الانتصار عام 696 قبل الميلاد في حملته البرية و البحرية الضخمة التي قادها لتطهير الأجزاء الجنوبية من أنصار الثائر مردوخ بالادان الثاني 721-710 ق. م ،و التقى بعد ذلك الجيش البري بالأسطول البحري الذي سيره الملك من نينوى الى مدينة أوبس و بعد ذلك نقله الى الفرات ،و قد نجح الملك سنحريب كذلك في غزو المدن العلامية الساحلية.⁽³⁾

⁽¹⁾ (G) Roux :LA Mésopotamie, op-cit , pp,358-359.

⁽²⁾ ياسر هاشم حسين علي الحمداني: المرجع السابق، ص87.

⁽³⁾ (K) Grayzon Assyria sennacherib and esarhaddon (704-669)B.C,CAH , op cit,pp,107-108.

3 - النظام البريدي:

لقد أنشأ الملوك الآشوريون نظام بريدي يغطي أنحاء الإمبراطورية، ويأتي بالأخبار إلى الحكومة المركزية، حيث لم يكتف الملوك بأن فرضوا على الحكام و موظفيهم بإرسال تقارير دائمة حول أدق الأمور التي كانت تحصل في المقاطعات بل كانوا يرسلون بعض الموظفين المتنقلين لمراقبة أعمال الحكام لاسيما في المقاطعات البعيدة عن الحكومة الآشورية ،كما كانت التقارير ترسل إرسالا دائما بين حكام المقاطعات و السلطة المركزية .

و هذا ما أدى إلى الاهتمام بمحطات البريد في مختلف أنحاء المقاطعات و ذلك من حيث تنظيمها والعمل على إرسال البريد بشكل آمن و سريع و من أجل ذلك أسست أنظمة مواصلات منتظمة و مستمرة ما بين مناطق الإمبراطورية الآشورية مهما كانت بعيدة و بين العاصمة آشور.

و نتيجة لذلك أنشئت شبكات من الطرق لتوصيل البريد ،وقد كان المشرف على حفر الطرق يعرف باسم رب - كالابي (Rab -kallabi) وضعت محطات بريرية على طول الطريق مزودة بالمؤن و الأحصنة و الحراس، وذلك للقيام بتبديل الأحصنة حتى تحافظ على نشاطها و سرعتها خلال التنقل عبر المسافات الطويلة ،و كثيرا ما كانت تستخدم البغال و الحمير في هذه الطرقات الوعرة لمقدرتها على تحمل المشاق.⁽¹⁾

و من الجدير بالذكر أنه لم يكن أي جزء من الإمبراطورية عاجزا عن الاتصال بالعاصمة ، و كثيرا ما كانت تصل الرسائل خلال أسبوع تقريبا ،هذا ما يؤكد وجود طرق معبدة خارج العاصمة ،و كان ثمة طرق مرصوفة بالحجارة فضلا عن وجود اهتمام ملحوظ بالطرق الجبلية ، و كانت تحدد الطرق الرئيسية التي كان يطلق عليها الطريق الملكية أو الطريق العامة ، و قد كانت تكتب أسماء المناطق في نهاية كل طريق.⁽²⁾

⁽¹⁾ (F)Malbran: L'armée et l'organisation militaire de l'assyrie sous les sargonides, d'après les lettres trouvées à ninive: www.persee.fr. 06/01/2015 - 09 :30.

⁽²⁾دانييه جمال الدين يعقوب :المرجع السابق ،ص ،132.

وبوجود هذا النوع من المواصلات الفعال والسريع فإن الملك كان دوماً على علم بما يجري في الحملات العسكرية، وهذا خلال غيابه عنها، حيث كان الضباط في ميدان المعركة يرسلون التقارير إلى الملك و يعلمونه بالانشطات التي كان الجيش يقوم بها ككل وحتى أخبار الوحدات العسكرية الأخرى.⁽¹⁾

كما كان الملك بدوره يرسل التعليمات إلى القادة العسكريين والتي تشمل في بعض الحالات تعليماته حول المفاوضات مع الدول الأجنبية في المنطقة، وقد أصبح هذا الاتصال الجيد بين العاصمة والجنود الذين هم فيما وراء الحدود الآشورية ممكناً وذلك بسبب وجود نظام المواصلات الفعال.⁽²⁾

وهناك مثال على استخدام الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث ضمن إصلاحاته في الجيش شبكة من الرسل، وذلك لضمان الاتصال السريع ونقل الرسائل بسرعة أكبر، أما في حالة الطوارئ فقد كانت تستخدم طريقة نظام الإشارات وأبراج المراقبة باستخدام النار، وكانت الحدود تحت حراسة مشددة من قبل سلسلة من الحصون والقوات الخاصة.⁽³⁾

و بالتالي يمكننا القول بأن نظام المواصلات الآشوري يشمل نظام المخابرات والبريد، حيث عمل الأول على جمع الأخبار عن الأعداء، وتقديم التقارير اللازمة إلى الملك والقادة المسؤولين عن الحملة العسكرية، في حين عمل الثاني على إيصال تلك المعلومات بالسرعة الممكنة.

⁽¹⁾ (F)Malbran: L'armée et l'organisation militaire de l'assyrie sous les sargonides, d'après les lettres trouvées à ninive: www.persee.fr. 06/01/2015 - 09 :30.

⁽²⁾ هاري ساغر ، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: المرجع نفسه، ص،379.

⁽³⁾ (K) Grayson : Assyrian civilisation, CAH, op-cit,p,204.

4 نظام المخابرات العسكرية:

إشتمل نظام المواصلات الآشوري على نظام مخابرات عسكرية، وكان الجواسيس ينتشرون في مدن الأعداء من أجل الحصول على معلومات دقيقة حول قوة كل عدو سواء من حيث العدد و العتاد و جاهزية جيشه، و معرفة نقاط قوة و ضعف الأعداء لاستغلالها لصالح الدولة الآشورية

و قد كان المخبرون الآشوريون من الأشخاص الموثوق فيهم إلى درجة كبيرة، مع الإلتصاف بالأمانة والشجاعة، وحرصين على عدم تزوير الرسالة أثناء نقلها أي أنهم مخلصين.

وفي السياق ذاته وجدت شبكة من المخبرين المنشرين على الحدود الأوراثية و ذلك في عهد الملك الآشوري سرجون الثاني الذي حكم فيما بين 721-705 ق. م ،حيث اعلمه المخبرون بما يجري في العاصمة الأوراثية توشبا Tushpoi وقد كانت هذه الحملة في عام 714 قبل الميلاد، وقد عرفت لدى الباحثين بحملة سرجون الثامنة، حيث أحرز فيها إنتصارا باهرا على أوراثو.⁽¹⁾

و في هذا السياق لا بد أن نذكر بأنه كان للملوك الآشوريين ضباط استخبارات خاصين بهم ، حيث كانوا يجمعون المعلومات الدقيقة عن تسيير الحكام لمقاطعتهم، وأسلوب تنفيذهم لتعليمات الملك الآشوري، كما كانوا يرصدون تحركات العدو، وقد كان هؤلاء المخبرون منشرين في كامل أنحاء الإمبراطورية الآشورية.⁽²⁾

فقد أشارت التقارير التي أرسلت إلى الملك الآشوري سنجريب أثناء حصار أورشليم، أن المخابرات العسكرية لم تكن مهتمة بتحركات عساكر العدو فحسب، بل بالقضية التي تؤثر على شعبها وذلك للتأثير فيهم بالحجج، ومحاولة إقناعهم بفتح البوابات والاستسلام.⁽³⁾

و من هنا يتبين لنا أنه من مظاهر المخابرات العسكرية الآشورية أنها كانت تضم أشخاصا يتكلمون اللغة العبرية.

⁽¹⁾ (J.A).Brinkman : Babylonia in the shadow of assyria (747-626) , CAH, VIII, part2, New York : combridge university press,2008, pp,93-95.

⁽²⁾ محمود شاكر: موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة، ج.1، ط.1، الأردن: دار أسامة للنشر و التوزيع ،2008، ص، 119.

⁽³⁾ (K) Grayson : Assyrian civilisation, CAH, op-cit,p,221.

الفصل الرابع

آشور تتزعم دول الشرق الأدنى القديم
فيما بين القرنين 9 – 7 قبل الميلاد

المبحث الأول: الاستيلاء على بابل

1- بابل في العهد الإمبراطوري الأول

2- بابل في العهد الإمبراطوري الثاني

المبحث الثاني: الاستيلاء على سوريا

1- الاستيلاء على إمارات غرب سوريا

2- الاستيلاء على شمال سوريا

المبحث الثالث : الاستيلاء على الساحل الفينيقي

1- الاعتراف بسلطة آشور في العهد الإمبراطوري الأول

2- الاستيلاء على الساحل الفينيقي في العهد الإمبراطوري الثاني

المبحث الرابع: بداية نهاية الإمبراطورية الآشورية

1- الاصطدام الآشوري المصري

أ - الحملة الأولى على مصر

ب - الحملة الثانية على مصر

2- سقوط الإمبراطورية الآشورية

أ - الأسباب الداخلية:

ب - الأسباب الخارجية

المبحث الأول: الاستيلاء على بابل

1- بابل في العهد الإمبراطوري الأول :

لقد رأينا كيف أن الآشوريين قد مروا بمرحلة مضطربة جدا، فكانوا يشقون طريقهم في الحياة السياسية بصعوبة، و ذلك نظرا لكثرة حروبهم مع جيرانهم الميثانيين و الكاشيين و الحيثيين وان كان لهذا الصراع فوائد فقد ساعدهم في أن يتيلور لديهم مخطط سياسي و حربي واضح ثم التوسع على حساب دول الشرق الأدنى القديم .

هذا ما جعل المؤرخين يتفقون على تقسيم تاريخ بلاد آشور إلى حقبتين هامتين حيث امتدت الأولى من حوالي القرن العشرين إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، والتي مثلت فترة نضال عنيف تكون خلالها الآشوريون تكويننا سياسيا و عسكريا ، أما الحقبة الثانية و التي امتدت من نهاية الحقبة الأولى إلى القرن السابع قبل الميلاد،

وقد مثلت طور النضج السياسي بعد أن اجتاز الآشوريون محنهم واستقرت لهم الأمور و أسسوا إمبراطورية واسعة .

و تعتبر الحقبة الثانية اللبنة الأساسية التي قامت عليها الإمبراطورية الآشورية لذلك نوليها اهتماما خاصا و نتحرى عن الأسس التي قامت عليها .

قسم المؤرخون عصر الإمبراطورية الآشورية ،والذي امتد ثلاثة قرون من حوالي 911-612 ق.م إلى عصرين، العصر الإمبراطوري الأول الذي شمل الفترة من حوالي 911 - 745 ق.م ، أما العصر الإمبراطوري الثاني فانه شمل الفترة من حوالي 745 - 612 ق.م، و قد حققت خلالهما الدولة الآشورية نهضة كبيرة، إلا أنهما تخللتها فترات ضعف⁽¹⁾.

و من الأمور الجديرة بالذكر انه قد تعاقب على العرش الآشوري بعدد الملك القوي تجلات بلاسر الأول 1077-1115 ق.م، ملوك ضعفاء، حيث بدأت آشور في الانكماش داخل حدودها و فقدت سلطتها في الكثير من الأقاليم التابع لها .

(1) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ،ص205 ،ص515.

و في هذه الظروف من الاضطراب و التدهور اللذين عما بلاد آشور تولى العرش الملك أدد نيراري الثاني حكم فيها بين 911-891 ق. م ،حيث قام هذا الملك باسترجاع الأقاليم التابعة للسلطة الآشورية ،ولم يكتف بذلك بل قام بتوسيع حدودها ،و قد مهد لذلك بالقيام بإصلاحات بين الجيش و تنظيم شؤون الدولة (1)

و لهذه الأسباب يعد الملك أدد نيراري الثاني المؤسس الحقيقي للدولة الآشورية الحديثة ، و لذلك عد عهده بأنه بداية جديدة للتاريخ الآشوري فيما يسمى العصر الآشوري الإمبراطوري .

و من الإضافات التي ادخلها اد نيراري الثاني على الجانب السياسي للدولة هو بداية تقويم جديد في العراق و بحيث بدأ الكتبة يدونون فيما يسمى إثبات ليمو (أي تأريخ سنوات حكم الملك باسمه) و بدأ ذلك من سنة تتويجه ، ثم تأريخ السنوات التالية من حكمه باسم موظف كبير يعينه في الدولة و يستمر ذلك حتى يتبوأ ملك جديد العرش.(2)

و من هنا يتبين لنا بان اد نيراري الثاني وضع طريقة مهمة لتأريخ الأحداث التي جرت في عهده ، و في عهد الملوك الذين تولوا الحكم من بعده ، وكانت هذه خطوة ضمن إطار من الإصلاحات الداخلية التي بدأ بها في الدولة الضعيفة ليعيد إليها قوتها و سمعتها على الصعيد الخارجي.

و في هذا السياق أيضا عمل الملك اد نيراري على تقوية الجيش و تنظيم شؤونه فركز اهتمامه على تثبيت حدود الدولة بشكل كامل،و قد استطاع تحقيق ذلك بواسطة سلسلة من الحملات العسكرية الناجحة و المناورات السياسية، فقد أصبحت مدن مثل كركوك،أرفانا في الشرق و جوزن (تل حلف) ، عند منابع نهر الخابور في الشمال حصونا قوية ضمن نظام دفاعي جديد.

وتجدر الإشارة إلى أنه كان لبابل أهمية كبيرة بالنسبة لآشور، نظرا لما تتمتع به بابل من موقع إستراتيجي مميز، كوقوعها عند نقطة اقتراب نهري دجلة و الفرات من بعضهما بحيث يسهل

(1) انطوان مورتيكات : المرجع السابق ،تاريخ الشرق الأدنى القديم ،ص ص،285-286

(2) دانييه جمال الدين ييعقوب: المرجع السابق، ص57.

قطع خطوط المواصلات أمام الطامعين في المناطق ،كما أن القضاء على استقلال بابل و دمجها نهائيا في آشور ،معناه توحيد الدولة ، و قد تضافرت جهود خمسة ملوك آشوريين لعبوا دورا كبيرا في استرجاع سلطة آشور على بلاد بابل وهم :

1- مجهودات الملك أدد نيراري الثاني: و قد كانت المهمة الأولى التي قام بها هي إعادة تنظيم و استعادة بلاد بابل و ذلك لكي يتفرغ إلى تقوية الدولة الآشورية من الناحية الداخلية ، إذ بعد أن وجه لها حملات في عهد ملكها “شمش – موداميق “ فيما بين 904-901 ق.م، ثم بعد ذلك في عهد ابنه نابو – شوم – اوكين ” ، اضطر إلى عقد اتفاق حدودي مع ملكها تعهدا فيه على إقامة سلام دائم في بابل، كما فرض أدد نيراري الثاني الجزية على عدة مدن منها هيت و زكوا ، و سوهي في منطقة الفرات الأوسط (1).

و نتيجة لإعادة تنظيم الحدود بين بلاد بابل و آشور فإنه إستمرت العلاقات الودية بينهما لعدة سنوات .

ومن كل هذا يتجلى لنا أن نشاطات الملك ادد نيراري الثاني في بلاد بابل لم تكن أكثر من مناوشة حدودية بهدف دفع الحدود الآشورية جنوبا،بدليل عقد اتفاقية الحدود والمصاهرة بين الطرفين.

2- مجهودات الملك توكلتني نينورتا الثاني الذي حكم فيما بين 890-884 ق.م، حيث إستمر في نهج سياسة أبيه العسكرية، فقد وجه اهتمامه أيضا إلى إقامة الحصون، و وضع حاميات قوية السيطرة على المنافذ المختلفة من الشمال و الغرب حتى يضمن طرق التجارة عبر طوروس إلى سوريا .

و قد بدأ في السنوات الأولى من حكمه شن حملات عسكرية ضد الآراميين في وسط العراق و غربها ، ثم اتجه شمالا إذ وجه حملة نحو بلاد نايري التي تقع غربي بحيرة فان(2).

(1) (P). Garelli.: LE PROELE- Orent asiatique. Les empires mésopotamians Isrél, 1 èr edition, press universitaire de France, paris : 1974, p78.

(2)(P) Garellé : Ibid , pp ,79-80.

و هنا يجدر بنا أن نذكر بأن توكلتي نينورتا الثاني قد تابع حملاته العسكرية عام 885 ق. م في المناطق الواقعة حول نهر الخابور و الفرات الأوسط ، فقد هاجم بعض القبائل الآرامية المستقرة، حول دجلة ثم اقترب من الفرات ليصل إلى دور كوريجالزو (عرقوف اليوم) و منها اتجه إلى منطقة سيبار دون معارضة تذكر .

و يمكن تفسير ذلك بمدى فعالية الحرب النفسية و الدعاية اللتين طبقهما الجيش الآشوري، من خلال نشر الرعب و الدمار في مدن الأعداء و التنكيل بحكام المقاطعات.

و قد تابع توكلتي نينورتا الثاني حملاته العسكرية بزحفه غربا فشمالا، حتى وصل نهر الخابور ومنطقة نصيبين ،و أخيرا قام بهجوم على منطقة مشكي في آسيا الصغرى.⁽¹⁾

وهكذا عند وفاة توكلتي نينورتا الثاني كانت ثخوم الإمبراطورية موطدة ومستقرة من شمالي العراق إلى جميع أطراف بلاد النهرين العليا ،والى جبال زاغروس شرقا .

3- مجهودات الملك آشور ناصر بال الذي حكم بين 883-859 ق.م، فقد فاق أجداده ليس فقط بكونه جمع الصفات النموذجية للملك الآشوري القوي والفاتح القاسي ،بل ربطه للمناطق التي ضمها أسلافه بالسلطة المركزية ربطا قويا وأضاف إليها مناطق أخرى .

كما اتبع آشور ناصر بال الثاني نهجا سياسيا مختلف عن سابقيه، فقد استبدل الحركة السريعة للجيش خلال حملاته إلى الحركة الثقيلة بسبب ما أصبح يحمل من أدوات الحصار والأسلحة فضلا عن الغنائم ، بينما ترسل خلال النهار دوريات متفرقة للاستطلاع .⁽²⁾

ومن هنا تبين لنا بأنه كان هناك جيش للتوسع حسب المعطيات الاستطلاعية، وهذا كله ساعد في عملية التوسع في معظم الاتجاهات

⁽¹⁾ (D) David luckenbill : ARAB , op-cit ,P 126.

⁽²⁾ هاري ساغر،تر: خالد اسعد عيسى احد غسان سبانو .عظمة آشور .المرجع السابق ص.ص 99-100

وقد بدأت حملات آشور ناصر بال الثاني في السنوات الأولى من حكمه باتجاه الجبال الممتدة شرق أربيل ، ثم تابع شمال غربي نينوى ثم واصل إلى كوتموخ حتى السهل الواقع إلى الغرب من نهر الدجلة ، وتعتبر كوتموخ المفتاح الموصل إلى هضبة طور عابدين كيشاري والمناطق الواقعة إلى الشمال من نهر الدجلة ، ثم أرسل الملك الآشوري بعد ذلك حملتين لإخضاع منطقة زامو (وادي السليمانية) وإقليم شنخان شمال غرب آشور نجحتا في تثبيت السيادة الآشورية عليها.⁽¹⁾

وفي هذا السياق لابد أن نذكر بأن آخر حملة للملك آشور ناصر بال الثاني قبل أن يتجه إلى بلاد سوريا في عام حكمه الرابع 877 ق. م ، كانت نحو بلاد بابل، حيث زحف الملك الآشوري حتى وصل الفرات، وهناك زحف بمحاذاة النهر حتى حدود بابل، و استولى على إحدى البلدات الحدودية البابلية، ولم يعد أمام الملك الآشوري أي شيء يخشاه في تلك المنطقة.

وقد ورد ذلك في حوليات آشور ناصر بال الثاني كما يلي "....لقد وصلت حالات الخوف من سلطتي حتى ارض كاردونياش (بابل) ،وقد عم الفرع من جيشي وأسلحتي بلاد الكلدانيين (جنوب بابل)...."⁽²⁾

وما يلاحظ على هذا النص أن الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني كان يهدف من وراء إظهار القوة العسكرية التدميرية للجيش الآشوري هو بث الرعب والفرع في نفوس المتمردين على السلطة الآشورية .

4- مجهودات الملك شلمنصر الثالث الذي حكم فيها بين -858 -824 ق.م، إذ واصل جهوده فقام بأعمال باهرة وقد سعى منذ سنة تتويجه للمحافظة على إمبراطوريته، وعمل على توسيع مساحتها .

و من الحملات العسكرية التي قام بها شلمنصر الثالث إلى الجهة الجنوبية تلك التي أرسلها عام 851 قبل الميلاد ،فبعدما توفي ملكها نيبو - ابال ادينا" ، في هذه السنة، وقد كان هذا الملك

⁽¹⁾ طه باقر :مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،المرجع السابق،ص،502.

⁽²⁾ Daniel David ; Luken bill ARAB.pp143-144 .

صديقا للملك الآشوري ناصر بال الثاني لعدة سنين ،لكن بعد وفاة الملك البابلي بدا النزاع على العرش بين الشقيقين “مردوخ زاكير شوم “ .‘مردوخ- بيل اوزالي “ ، وهذا الأخير أعلن العصيان على السلطة الآشورية .⁽¹⁾

و نتيجة لاضطراب الأحوال في بابل ، و إعلان التمرد على السلطة الآشورية ، فسح المجال أمام الملك شلمنصر الثالث كي يتدخل عسكريا .

فقد زحف شلمنصر الثالث ضد قائد حركة العصيان مردوخ بيل اوزالي وقد استطاع أن يطرده باتجاه السلاسل الجبلية الشرقية ، وأن يقضي عليه مع كافة أتباعه ،كما زحف على الدويلات الكلدانية في أقاصي جنوب بلاد بابل.⁽²⁾

و يمكن أن نفسر هذا العصيان المتتالي لبلاد بابل برفض البابليين الخضوع إلى السلطة الآشورية ،كما يمكن أن نرجع هذا التمرد المتتالي إلى مؤثرات خارجية من قبل دول ترغب هي الأخرى في الاستيلاء عليها، وذلك بتحريضها على التمرد .

و يبدو أن شلمنصر الثالث قد واجه الكثير من الاضطرابات في نهاية حكمه، فبعد الانتصارات التي حققها في كل الجهات، فوجئ في سنة حكمه الثانية و الثلاثين أي عام 827 قبل الميلاد، بتمرد بقيادة ابنه آشور - دان ابلي الذي كان قد عزله عن ولاية العهد ،و يبدو أن التمرد اخذ بعدا خطيرا وصل إلى نينوى و أربيل و أرابخا (كركوك اليوم) ، واثنين و عشرين مدينة أخرى وقفت إلى جانب المتمردين باستثناء العاصمة كالح التي بقيت على ولائها للملك الآشوري شلمنصر الثالث .⁽³⁾

و يمكن أن نفسر قيام ابن الملك الآشوري شلمنصر بالثورة ضد أبيه بكثرة الصراعات داخل البيت المالكة الآشوري لأن الملك أصبح شيخا هرما فأعطى حكام المقاطعات امتيازات و صلاحيات كبيرة مما جعل الشعب الآشوري يتمرد بزعامة ابنه.

⁽¹⁾ أنطوان مورركات . تر : توفيق سليمان=المرجع السابق ص. 291.

⁽²⁾ ديلاپورت،تر: محرم كمال: بلاد ما بين النهرين ،المرجع السابق،ص58

⁽³⁾ (G) Roux: la mésopotamie . op cit .p.p 342-343.



الصورة رقم 18: توضح حاكم مقاطعة بابل مردوخ زاكير شوم يصافح الملك الأشوري
شلمنصر الثالث (858-824 ق.م وهذه النقوش موجودة في مدينة كالح .

ومن الطبيعي أن تستغل الأقاليم التابعة للسلطة الآشورية فرصة اضطراب الأحوال داخل آشور و حدوث ثورة داخلية ، وتعلن استقلالها كالمناطق الشمالية الشرقية ، ولك بابل.

5- مجهودات شمشي – أدد الخامس الذي حكم فيما بين 823-811 ق.م ، فبعد القضاء على ثورة أخيه قام بإرسال حملات إلى المنطقة الجبلية في الشمال و الشمال في منطقة نايري ، هذا فضلا عن حملة ضد ملك بابل الذي تحالف مع الملك عيلام ، و زعماء القبائل الكلدية و الآرامية في الجنوب ضد آشور، وقد نجحت الحملة الآشورية في القضاء على الحلفاء بين عامي 814 و 811 ق.م.⁽¹⁾

وبالتالي يتبين لنا أن أهم ما ميز النشاط الآشوري اتجاه بلاد بابل في العهد الإمبراطوري الأول هو جعل ملوك بابل يدفعون الجزية عنوة للملوك الآشوريين وقد تسبب هذا في تكرار تمرد وعصيان ملوك بابل على السلطة الآشورية .

⁽¹⁾ .(P).Garelle:op cit , pp,94 -95.

2- بابل في العهد الإمبراطوري الثاني :

تعاقب على العرش الآشوري بعد شمشي ادد الخامس ملوك ضعفاء و كان آخرهم آشور نيراري الخامس 745-754 ق.م، ولم يكونوا أكفاء لمواجهة التحديات التي مارستها بابل في الجنوب و الحلف السوري في الغرب فضلا عن التمزق الإداري داخل الدولة الآشورية.⁽¹⁾

وهذا ما أدى إلى انكماش سلطة الدولة الآشورية وضعف نفوذها وعمت آشور ضائقة اقتصادية حادة بسبب قطع الطرق التجارية المؤدية إلى سوريا و آسيا الصغرى وبلاد بابل، وهذه المرحلة هي الفاصلة بين مرحلتي قوة في العهد الإمبراطوري.

و قد تمثلت هذه الكبوة في اضطراب وتدهور عم بلاد آشور، نتجت عنه ثورة أهلية عارمة تزعمتها مدينة نمرود، وقضت على الملك وأسرتة و نصبت بدلا منه الملك تجلات بلاسر الثالث الذي حكم فيما بين 727-744 ق.م، وقد قام بالقضاء على الفوضى و الاضطراب السياسي و الاقتصادي الذي ساد آشور في أعقاب الثورة الداخلية، كما قام باسترجاع جميع الأقاليم التي كانت تحت سيطرة الإمبراطورية الآشورية سابقا بل أضاف إليها فوسع حدود الإمبراطورية إلى حدود مصر، و يتفق المؤرخون بأن الفضل يرجع في هذه التوسعات الجديدة إلى الإصلاحات الواسعة التي قام بها الملك في الجيش، ونظام إدارة البلاد.⁽²⁾

و لهذه الأسباب جعل حكم الملك تجلات بلاسر الثالث بداية دور جديد من العصر الآشوري الحديث، ألا و هو العصر الإمبراطوري الثاني .

و لقد تضافرت جهود ستة ملوك آشوريين من أجل إتمام المهمة في بابل و القضاء نهائيا على استقلالها و دمجها في آشور و من ثم توحيد العراق القديم وهم:

1- مجهودات الملك تجلات بلاسر الثالث: حيث قام بإعادة تنظيم بلاد بابل و إخضاعها من جديد، وبدأت حملاته العسكرية منذ السنوات الأولى من حكمه على بلاد بابل ، و ذلك لضرب

(1) عبد العزيز صالح :المرجع السابق، صص 514-515 .

(2) (G) Roux : lamésopotamie .op – cit .p p .351-352.

الآراميين المتواجدين هناك ، فهيمن على بابل، ووضع عليها حاكما مواليا لآشور .

أما مملكة أوراتو فقد إختارت تجلات بلاسر ارض المعركة على تراب شمال سوريا التي كان فيها أهم حلفاء ملك اوراتو ساردور الثاني ، و قد استطاع الملك الآشوري الانتصار على ملك اوراتو و حلفاءه عام 743 ق.م، ثم انتقل بعد ذلك وحاصر عاصمة الاورانيين توشبا حيث حقق فيها تجلات بلاسر الانتصار عام 739 ق.م.⁽¹⁾

وفي هذا السياق لابد أن نذكر بأن تجلات بلاسر الثالث قد قام في أواخر حكمه بحملة ضد بابل، وذلك بعد أن ثارت على السلطة الآشورية بزعامة احد شيوخ الآراميين المسمى اوكن - زير مؤسس سلالة بابل العاشرة 732-730 ق.م، وقد قضى الملك الآشوري على هذه الثورة.⁽²⁾

و يمكن أن نفسر قيام احد الشيوخ الآراميين بالتمرد على السلطة الآشورية، بحدوث تنافس على العرش البابلي مما أدى إلى مقتل الحاكم الموالي للآشوريين ، أو قد يعود إلى استغلال البابليين اشتغال الملك الآشوري في إخضاع دول أخرى أي في جهات مختلفة.

و ما يشد انتباه الباحث هو أن تجلات بلاسر الثالث بعد قضائه على سلالة بابل العاشر، فإنه قام بإلغاء العرش البابلي أو دمج مع العرش الآشوري، و أعلن نفسه ملكا على بابل تحت اسم بول، و بين حملته الأولى و الثانية على بابل كان قد استطاع فرض سيطرته على الشرق الأدنى القديم.⁽³⁾

و بهذا يتضح لنا بان الملك تجلات بلاسر الثالث هو أول ملك آشوري يقوم بإلغاء العرش البابلي، و دمج نهائيا بالعرش الآشوري .

كان لابد للصرح الذي شيده تجلات بلاسر الثالث أن يبرهن على صموده أمام الهزات بعد وفاة مؤسسه على صعيد السياسة الداخلية الآشورية، و سياسة الشرق الأدنى عامة .

⁽¹⁾ أنطوان مورتيكات ، تر : توفيق سليمان : المرجع السابق ص ص، -298-299.

⁽²⁾ Kirk (G) : Tiglath pileser to sargon (744-705 BC), CAH , op cit ,p , 82.

⁽³⁾ Lod (A) : Les prophètes d'israël et les débuts du judaïsme, l'évolution l'humanité, Paris : édition albin michel ,1969 ,p ,32.

2- مجهودات الملك شلمنصر الخامس: 722-726 ق.م، وقد خلف والده تجلات بلاسر الثالث مباشرة كملك آشور و بابل، و يبدوا أن نهاية شلمنصر الخامس كانت من داخل آشور ، و ذلك عندما كاد ينهي حصاره على السامرة ، وحدثت اضطرابات داخل بلاد آشور.⁽¹⁾

و من الطبيعي أن تستغل المقاطعات التابعة لآشور فرصة اضطراب الأحوال داخل آشور و تعلن انفصالها على السلطة الآشورية .

3- مجهودات الملك سرجون الثاني 705-721 ق.م : هناك غموض تاريخي بين العلماء الأثريين حول اعتقادهم بأن هذا الملك لم يأت من سلالة ملكية و إنما جاء من العامة .

و يرى “انطوان مورتكات” أن سرجون الثاني هو أحد قادة الجيش للملك شلمنصر الخامس ، و قد سجل لنفسه احتلال السامرة ومن ثم تهجيرها و القضاء على آخر معقل إسرائيلي.⁽²⁾

في حين يرى البروفسور الألماني،ايكاردت انكر“أن سرجون الثاني هو ابن الملك تجلات بلاسر الثالث،فقد عثر على كتابة آشورية تحمل اسم الملك و نسبه و ألقابه،إذ جاء في هذه الكتابة بأنه ابن الملك تجلات بلاسر الثالث،وبهذا يكون سرجون الثاني أخوا للملك شلمنصر الخامس.⁽³⁾

وقد واصل سرجون الثاني جهوده في استرجاع الأقاليم التابعة للسلطة الآشورية فكانت حملاته منذ السنوات الأولى من حكمه ضد بابل وذلك في عام 720 ق.م، بعد أن شجع العيلاميون على ثورة مردوخ بالادان زعيم القبيلة البابلية بيت ياكين ن حيث قام هذا الزعيم بالاستيلاء على حكم بابل.⁽⁴⁾

و بهذا يتبين لنا احد الأسباب التي أدت إلى العصيان المتتالي لبابل على السلطة الآشورية، هو المؤثرات الخارجية من قبل دول كدولة عيلام .

⁽¹⁾ (M) Vieyra : les assyriens , op-cit,p.36

⁽²⁾ أنطوان مورتكات ، تر : توفيق سليمان : المرجع السابق ص 302

⁽³⁾ محمود الأمين : تعليقات تاريخية على حملة سرجون الثامنة ،مجلة سومر،المرجع السابق،ص 217.

⁽⁴⁾ (f) Joannes: dictionnaire de la civilisation mésopotamienne, op-cit ,p757.

و قد جرى الإصطدام الآشوري و البابلي و العيلامي في معركة الدير، لكن نتائجها لم تتضح و ادعى الطرفين الانتصار حيث أن المرجع أن الملك سرجون الثاني اضطر للانسحاب لمعالجة الثورات التي اندلعت ضد آشور في الغرب .⁽¹⁾

و في هذا السياق لابد أن نذكر بأن سرجون الثاني في عام 718 ق. م ، قام بحملة عسكرية في الشمال ضد الملك “شنوكتو” في طوروس بعد رفضه دفع الجزية ، و أما في عام 717 ق. م ، فقد قام بالاستيلاء على كركميش (طرابلس حاليا) كما أرسل هذا الملك في السنوات الخمس التالية جيوشا إلى آسيا الصغرى . وقضى على استقلال كليشيا ، قوئي ، و موشكي ، و أما في عام 714 ق. م ، فان سرجون الثاني قام بحملة ضد أوراتو ، والتي كان ملكها “روسا” و قد جرت معارك دموية بين الطرفين ، و حقق الملك الآشوري الانتصار.⁽²⁾

4- مجهودات الملك سنحريب: 704-681 ق. م ، حيث واصل هذه المجهودات للحفاظ على الإمبراطورية الآشورية، وقد قام هذا الملك أيضا بشن حملة على بابل و ذلك عام 703 ق. م ، حيث ظهر التأثير القديم المردوخ بالادان الذي ثار في عهد أبيه ، واستطاع سنحريب القضاء على جموعه، إلا أن هذا التأثير استطاع الإفلات من الأسر، ثم ظهر بعد ثلاث سنوات لكنه اخفق في مسعاه ، وفي عام 696 ق. م ، قام سنحريب بغزو المدن العيلامية في سواحل الخليج وظهر الأجزاء الجنوبية من أنصار التأثير .

و نتيجة لعدم رضوخ بابل للسلطة الآشورية ، فقد قام سنحريب عام 689 قبل الميلاد، بتدمير بابل و تحطيم حصونها و أسوارها، و سلط ماء الفرات على نقاضها ، وعين ابنه اسرحدون واليا عليها بالنيابة عنه.⁽³⁾

⁽¹⁾ (f) Joannes : dictionnaire de la civilisation mésopotamienne, op-cit ,p757.

⁽²⁾ طه باقر :مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،المرجع السابق ،ص515.

⁽³⁾(K) Grayzon: Assyria sennacherib and Esarhaddon (704-669B.C), CAH , op, cit,pp106-109.

5- مجهودات الملك اسر حدون 669-680 ق.م، وقد كانت السياسة التي اتبعها اسرحدون في معالجة المشكلة البابلية تختلف اختلافا كبيرا عن سياسة والده سنحريب ، فقد اتبع اسرحدون سياسة اللين و الترحيب مع بابل ،حيث قام بإعادة تجديد أبنيتها و معابدها ،وقد عثر على نقش يعود إلى العام الأول من حكم اسرحدون ، جاء فيه ما يلي “....اسرحدون الملك العظيم ، الملك القوي، ملك الكون حافظ بابل ...” و قد كان سبب اعتماده هذه السياسة هو اعتقاده بان ما حصل لوالده إذ اغتاله احد أبنائه كان سبب غضب آلهة بلاد بابل لانتهاك حرمتها.

كما يمكن أن نفسر إتباع اسر حدون لسياسة اللين مع بابل، وذلك ليتفرغ لتحقيق حلمه الكبير بغزو مصر، وقد يعود لكونه ابنا لامرأة بابلية و زوجا لأخرى بابلية.

ولا ريب في أن هذه السياسة قد لقيت قبولا حسنا لدى البابليين، حتى غدت بابل نفسها قاعدة عسكرية للقوات الآشورية في مواجهة الأخطار المتوقعة من الشرق.⁽¹⁾

6- مجهودات الملك آشور بانينال 627-668 ق. م :بعد ستة عشر عاما من الوفاق بين الملك و أخيه حاكم مقاطعة بابل ، تغيرت الأمور ونشبت حرب أهلية بينهما عام 652 ق.م استمرت لمدة أربعة سنوات و انتهت بهزيمة بابل وسيطرة آشور بانينال عليها ، ثم قام الملك الآشوري عام 647 ق.م بحملة ضد عيلام ، انتهت بتدمير عاصمتهم سوسه و انتصار الملك الآشوري.⁽²⁾

و مما سبق عرضه يمكننا القول بان المهام الملقة على عاتق ملوك الإمبراطورية الآشورية، والمتمثلة في الاستيلاء على كل من بابل، اوراتو، الشعوب الشمالية والشمالية الشرقية ، قد تميزت بتكرار تلك الشعوب التمرد و العصيان على السلطة الآشورية بتحريض من قوى خارجية إذ كانت دول أخرى ترغب في الاستيلاء عليها .

⁽¹⁾ (K) Grayzon Ibid,pp,133-134.

⁽²⁾ (M)Vieyra : les assyriens, op-cit, pp,38-39.

المبحث الثاني :الاستيلاء على سوريا :

لقد كان من الضروري على الملوك الآشوريين العمل على الحصول على موارد اقتصادية جديدة تغذي الدولة الآشورية في عصرها الإمبراطوري ، وذلك بتنشيط التجارة و الحفاظ على سلامة الطرق التجارية المؤدية إلى سوريا ، ولهذه الأسباب كان على الإمبراطورية الآشورية أن تتوسع على حساب سوريا ،و لقد تضافرت جهود الأباطرة الآشوريين على تحقيق هذا الهدف لكن جبهات مختلفة كانت أولها غرب سوريا

- الاستيلاء على إمارات غرب سوريا

1- مجهودات الملك أدد نيراري الثاني الذي حكم فيما بين 911 - 891 ق. م،حيث قام بالاستيلاء على الإمارات الآرامية الصغيرة في الغرب و كان أولها بيت بخياني و عاصمتها جوزانا (تل حلف اليوم) ، وكان يحكمها ابو سلمو بن بخياني اذ دخلها وحصل على جزية قيمة من ملكها ، ثم تابع إلى سيكاني التي تلقى منها عددا كبيرا من العربات و الأحصنة و الذهب.

و في السنة نفسها دخل ادد نيراري الثاني مدينة دور – كتليمو ،ومن ثم تابع إلى مدينة لاقى و تلقى الجزية منها، ثم تابع السير إلى سيوقي فاخذ الجزية من حاكم بيت خالوني ثم تابع إلى خندانوا (الجابرية اليوم) و قد حمل الهدايا والجزية التي حصل عليها إلى مدينة أشور، و يبدو أن أدد نيراري كان قد واصل حملاته عند جبال كيشاري و حران .⁽¹⁾

وفي هذا السياق لابد أن نذكر ان انتصارات ادد نيراري الثاني قد وصلت حد ابعد من الحدود التي سيطر عليها، إذ سارع ملوك من مناطق عدة إلى تقديم الجزية و الهدايا اعترافا بالولاء و الطاعة له ،و هذا ما حصل لإمارة بيت عديني الآرامية التي كان مركزها تل برسيب (التل الأحمر الحالي جنوب طرابلس)،و قد كانت هذه الإمارة أقوى ولاية أمورية في الشمال لأنها كانت تشكل مركزا إستراتيجيا على الطريق العام من حران إلى سوريا ، و قد أرسلت هذه الإمارة الهدايا للملك

⁽¹⁾(D) David Luckenbill;ARAB,op- cit,pp,115-116

الآشوري رغم انه لم يصل بحملاته إليها.⁽¹⁾

ويمكن أن نفسر هذا العمل بمدى فعالية مبدأ الحرب النفسية و الدعاية اللتين طبقهما الملوك الآشوريون،و ذلك من خلال نشر الرعب و التنكيل بالأعداء و حكام المقاطعات وأيضاً إظهار القوة العسكرية التدميرية للجيش الآشوري ،كما وضحت في الفصل الثالث .

و من كل هذا يتبين لنا أن ادد نيراري قام بإجراءات حازمة ضد معارضيهِ، إلا أن هذه الإجراءات لم تكن على ما يبدو سوى حملات تأديبية لمنع تكرار الاضطرابات ضده، و الحصول على موارد مهمة لصالح دولته.

2- مجهودات الملك توكلتي نينورتا الثاني الذي حكم فيما بين 884-890 ق.م ، لقد واصل هذا الملك مجهودات سلفه ،فقام بأعمال جبارة كان يهدف من ورائها إلى الاستيلاء على الإمارات الآرامية الصغيرة بهدف حماية العلاقات التجارية للإمبراطورية الآشورية مع سوريا .

و في السياق ذاته قام توكلتي نينورتا الثاني عام 885 قبل الميلاد، بعبور جبال كيشاري، ودخل الإمارة الآرامية بيت زماني، و كان حاكمها يدعى أمي- ألابا و قد قدم الولاء و الطاعة للملك الآشوري .

و تابع الملك حملاته و تلقى الهدايا من حاكم حماه حراَن، كما وافاه أمير سرقو إلى مدينة سورو عاصمة بيت خالوني ثم إلى دور كتليمو،وهكذا استمرت حملات الملك الآشوري على الجبهة الغربية، وأكد سيطرته على نصيبين و خوزيرينا الواقعة على نهر البليخ .⁽²⁾

ومن أجل زيادة المساعي التوسعية للإمبراطورية الآشورية ولاسيما باتجاه الغرب ووضع حدا لمضايقات الآراميين و إنهاء سيادتهم على سوريا، فقد استمر خليفته المدعو آشور ناصر بال الثاني في تحقيق هذه المساعي .

(1) دانييه جمال الدين يعقوب: المرجع السابق ،ص ص 60-61 .

(2) p.Garelli : leproche- Oruent asiatique. Les empires mésopotamians Israël,op- cit,pp,79-80.

3- مجهودات الملك آشور ناصر بال الثاني 883-859 ق.م: لقد تتابعت حملاته على الإمارات الآرامية و كان أولها بيت بيخياني عام 875 قبل الميلاد ، و عاصمتها جوزانا (تل حلف اليوم) ، حيث استطاع الملك الانتصار و أخذ الجزية من حاكمها.

و قد وردت هذه الحملة في حوليات آشور ناصر بال الثاني كما يلي: "... في اليوم الثامن من شهر أيار، انطلقت من مدينة كالح عبر نهر الفرات ، عبرت باتجاه مدينة كركميش في بلاد حاتي ، أخذت طريقي إلى بيت بخاني ،أخذت الجزية من سكانها من عربات حربية ، و خيول و فضة و ذهب و قصدير و أواني نحاسية ،أخذت فرسانا و جنود المشاة من بيت بخياني..." (1).

و ما يلاحظ على هذا النص أن الباعث الرئيسي لتوسعات الملك الآشوري ناصر بال الثاني نحو غرب سوريا كان اقتصاديا و عسكريا.

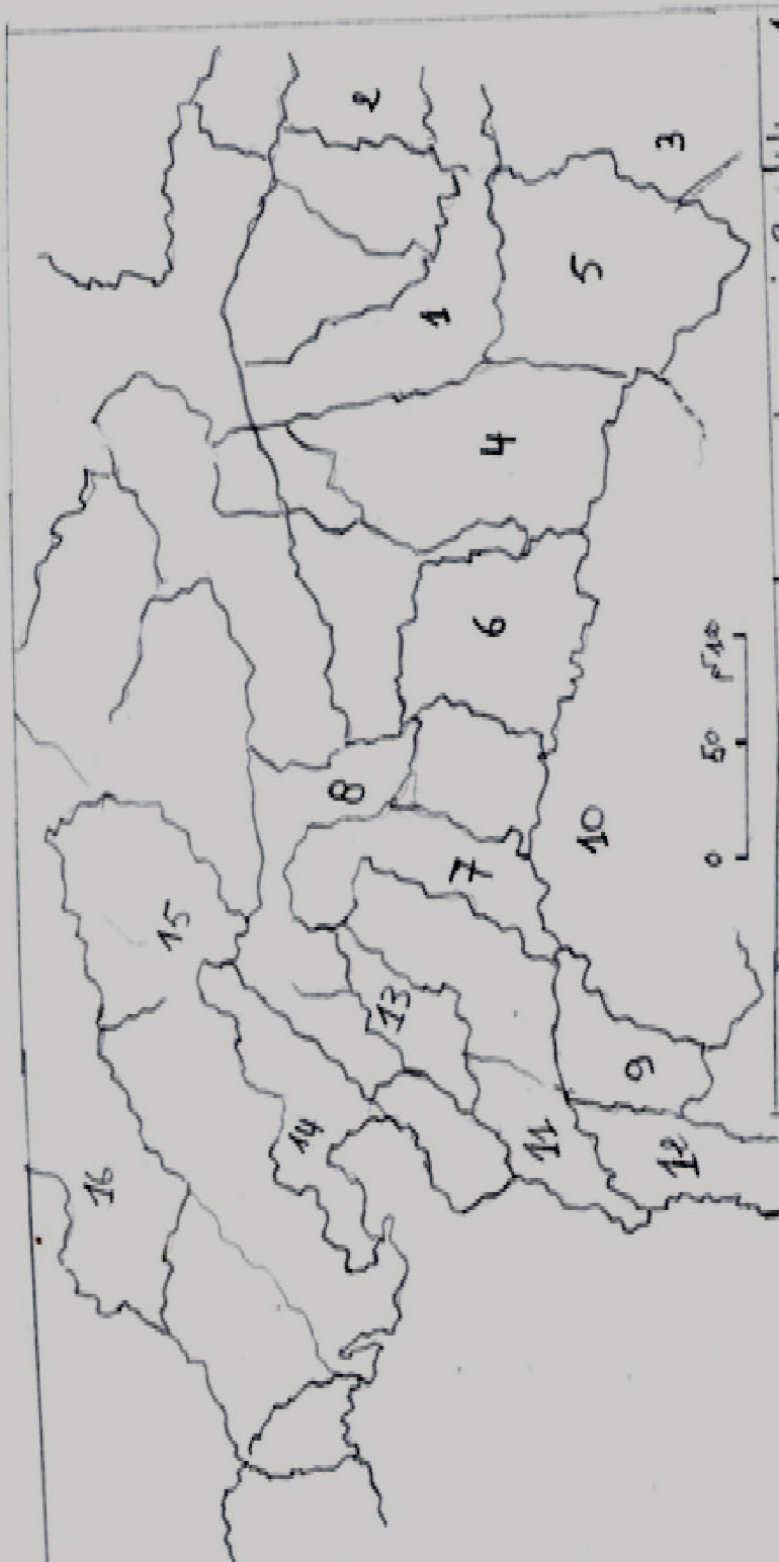
وفي السياق ذاته نذكر بان آشور ناصر بال الثاني تابع حملاته العسكرية نحو إمارة أرامية مهمة و هي بيت عديني ،و ذلك تحقيقا لمشروعه الهادف إلى إخضاع تلك القوى، وكان ذلك في عام 883 ق.م.

وقد وثقت حملة الملك آشور ناصر بال الثاني في حوليات كما يلي "...عبرت نهر الفرات سرت إلى بلاد بيت عديني نحو مدينة كابرابي المحصنة، 520 من الجنود و السكان ... اعتمدوا على عددهم الكبير، لم يقبلوا قدومي بأمر الإله الآشوري، سيدي العظيم.. أنا هاجمت المدينة أدوات الحصار، أنا دمرت، قتلت الكثير من سكانها.. أنا حرقت بالنار ،أنا أقمت سلطة آشور سيدي في بيت عديني .." (2)

ويتبين لنا من خلال هذا النص أن آشور ناصر بال الثاني عامل بيت عديني بمنتهى القسوة ، حيث طبق عليها سياسة الفتك و التنكيل بالأعداء،ولاسيما في أهم مدنها مدينة كيراني .

(1)(D) David Luckenbill:op- cit,pp,163-164.

(2)(D) David Luckenbill: Ibid , ancient record of assyria and babilonia ,p,164.



1 جازان، 2 تبوك، 3 ربيعة (مكة)، 4 حجاز، 5 لاقية،
6 تل، 7 برصيب، 8 كركمشتي، 9 خناريك، 10 خوزيزيرينا،
11 خوزيزيرينا، 12 سمير، 13 شمال، 14 كوك، 15 مرقص، 16 طوبال.

خريطة رقم 3: توضح بعض مدن غرب سوريا التي استولى عليها المبراطورية الآشورية

وقد تابع آشور ناصر بال الثاني في السنوات اللاحقة نحو الشمال الغربي، وكانت أهم هذه الحملات نحو العمق، ثم جبال لبنان بمحاذاة ساحل المتوسط، واستطاع إخضاع كل شمال سورية إلى السلطة الآشورية.⁽¹⁾

وبالتالي يتضح أن حرب آشور ناصر بال الثاني ضد الآراميين قد شغلت حيزاً مهماً في نشاطات هذا الملك السياسية والعسكرية، فهو لم يكن يهدف إلى وضع نهاية للمضايقات الآرامية، وإنما لإنهاء سيادتها على سوريا، ووضع كل الطرق المؤدية إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط تحت سيطرة الإمبراطورية الآشورية.

2- الاستيلاء على شمال سوريا :

واصل الملوك الآشوريون المجهودات التوسعية وحاولوا الحفاظ على ما حققه أسلافهم من إنتصارات في غرب سوريا، بل أضافوا لها مناطق أخرى في شمال سوريا، وقد تضافرت جهود سبعة ملوك آشوريين على الاستيلاء على شمال سوريا و بالتالي السيطرة عليها كلياً، وهي بوابتهم على البحر الأبيض المتوسط.

1- مجهودات شلمنصر الثالث :و قد تركزت جهوده في حملته العسكرية عام 857 ق.م، على إحدى مدن بيت عديني تل برسيب،و قد هرب حاكمها عندما سمع بقدوم الجيش الآشوري إلى ضفة الفرات باحثاً عن ملجأ،وبالتالي سقطت تل برسيب بيد الآشوريين،وحول بيت عديني إلى ولاية آشورية تابعة لمقاطعته في حرانوغير اسم تل برسيب إلى "كار شلمنصر".⁽²⁾

ويمكن أن نفسر هذا العصيان المتتالي لإمارة بيت عديني على السلطة الآشورية بعدم تقبل هذه الإمارة والخضوع إلى السلطة الآشورية،و أيضاً خوفاً على مصالحها الاقتصادية في المنطقة،وقد يعود إلى تأثيرات و تحريض خارجي.

⁽¹⁾ (D)David Luckenbill,: op-cit ,p,164.

⁽²⁾ (G) Roux :op-cit , p,340.

وفي السياق ذاته لابد أن نذكر بأن شلمنصر في عام 853 ق. م، عبر وادي البليخ، وفرض الجزية على مجموعة من الممالك التي قامت في شمال سورية مثل : ميليد ، جورجوم ، وقوئي ، ثم تابع إلى خلمان ، وهي مدينة حلب اليوم .⁽¹⁾

وقد تابع شلمنصر الثالث في نفس العام 852 ق. م، اتجاهه نحو دمشق التي تحالفت مع الآراميين والبدو والعبرانيين وحماة، وقد ظم هذا الحلف اثني عشر ملكا من الملوك السوريين ، ترأسهم حاكم مملكة حماة "ارخوليني" كما شارك في هذا الحلف المدن الفينيقية وقد تجمع هذا الحلف في قرقر على نهر العاصي ، إذ جرت معركة قرقر الشهيرة وقد استطاع الملك الآشوري الانتصار .⁽²⁾

والجدير بالذكر أن الانتصارات التي وثقها شلمنصر الثالث ودونت على شكل نصوص على المسلة السوداء التي اكتشفها هينري لابارد في نمرود تظهر أن هذه المعركة أي معركة قرقر الشهيرة لم تنته بانتصار شلمنصر الثالث لأنه لم يتابع تقدمه في بلاد سوريا ، ولم يوجه حملات باتجاه سوريا مدة من الزمن .⁽³⁾

ويمكن تفسير عدم تتابع حملات شلمنصر الثالث على الجهات الغربية بإنشغاله في الجهة الجنوبية في بابل ، حيث وجه حملته نحو بابل وذلك في عام 851 ق. م،- كما ذكرنا سابقا -

وقد تابع شلمنصر الثالث حملاته العسكرية باتجاه سوريا ، في عام 848 ق. م، لما قام ضده تمرد من الحكام المحليين في سوريا بتحريض من سبا لومي حاكم أونقي، ولذلك اتجه الملك الآشوري إلى نهر العاصي وفرض الجزية على سبا لومي ، وفي العام نفسه وجه شلمنصر الثالث حملة نحو ملك حماة وملك دمشق و حلفائهما إثني عشر ملكا ، وقد حقق شلمنصر الثالث في هذه المرة الانتصار .⁽⁴⁾

⁽¹⁾ (G) Roux :op-cit ,p,341.

⁽²⁾(M) Vieyra : les assyriens , op-cit,p ,36.

⁽³⁾ دانيه جمال الدين يعقوب : المرجع السابق ،ص70 .

⁽⁴⁾ أنطوان مورتكات ،تر: توفيق سليمان:المرجع السابق ،ص 290.

ونظرا لحدوث اضطرابات داخلية في أواخر عهد شلمنصر الثالث، حيث تمرد عليه ابنه و كان من الطبيعي أن تستغل المقاطعات الغربية للدولة الآشورية إنشغالها بالقضاء على الثورة الداخلية في آشور، فسارعت إلى التوقف عن دفع الجزية .

2- مجهودات الملك ادد نيراري الثالث: 810- 783 ق . م، أولى إهتماما كبيرا لعودة الإمبراطورية الآشورية إلى المنطقة الغربية، و إسترجاع سيطرة الإمبراطورية الآشورية على محاور الطرق المهمة المؤدية إلى العمق السوري .

وكان لابد لأدد نيراري الثالث تحقيق هدفه المتمثل في إخضاع المناطق الشمالية في بلاد سوريا أولا ،فقد ورد في حولياته ذكر حملات نحو أرفاد ،ومع انه لم يدخلها مباشرة ،لكن من المؤكد أنه دخل خزاز (أعزاز اليوم) ،وذلك عي عام 806 ق.م .⁽¹⁾

وبالتالي يمكن القول أن هجوم ادد نيراري الثالث على خزاز كان له اثر كبير في قطع الاتصال بين ملك دمشق والإمارات السورية .

ويبدو أن العلاقات بين حماة و الإمبراطورية الآشورية كانت واضحة فقد أكد نقش على مسلة عثر عليها عند نهر العاصي ،وهي محفوظة في متحف انطاكية ،و أن ادد نيراري الثالث قد قام مع قائده ..شمشي أيلو- برسم الحدود بين عتر - سمكي بن ادريمو ملك ارفاد ،وزكور ملك حماة وقد ورد ذلك كما يلي >>...ادد نيراري ملك اشور ...قام مع قائده شمشي أيلو بتحديد حدود بين زكور صاحب حماة ،وعتر سمكي بن ادريمو صاحب أرفاد << .⁽²⁾

ويتبن لنا من خلال هذا النص مدى التدخل الآشوري في المنطقة الشمالية من بلاد سوريا، و أيضا مدى النفوذ التي وصلته الإمبراطورية الآشورية في عهد أدد نيراري الثالث .

و نظرا لتولي العرش الآشوري بعد أدد نيراري الثالث ملوك ضعفاء فان ذلك كان له أثره في فقدان السيطرة الآشورية على الكثير من مقاطعاتها الغربية .

⁽¹⁾(D) David Luckenbill;op- cit,p,260,pp,262-263.

⁽²⁾ دانييه جمال الدين يعقوب: المرجع السابق، ص،76

3- مجهودات الملك تجلات بلاسر الثالث 727-744 ق.م : لقد أدرك هذا الملك بأنه إذا أرادت آشور أن تعود إلى ما كانت عليه من قوة، ونفوذ فلا بد من إعادة تنظيم نفسها من الداخل أولاً، ثم استرجاع أقاليم الإمبراطورية الآشورية، وقد استطاع تجلات بلاسر إعادة تنظيم الإمبراطورية من الناحية الإدارية العسكرية، وبدأ معه العصر الإمبراطوري الثاني.⁽¹⁾

و كان انشغال تجلات بلاسر الثالث في منطقة طور عابدين، وإخضاع إقليم نائيري واللولوبا وهي مدينة تقع جنوبي بحيرة وان، وجعلها مقاطعة آشورية، مما جعل المدن الشمالية في سوريا تشترك في التحالف ضد الملك الآشوري عام 743 ق.م، واستطاع الملك الآشوري الانتصار.

وقد وردت أخبار هذه الحملة في حوليات تجلات بلاسر الثالث كما يلي >>... في العام الثالث لحكمي قام سار دورى الثاني الأوراتي بالاتفاق مع متع – ايل من بيت اجوشي، سولومال الميليدي، وتارخوليني الجورجومي، وكوشتا شيلي الكوموخي، اعتمدوا على قواهم مجتمعة بقوة عظيمة - آشور سيدي ، أنا اشتبكت معهم وسحقتهم... << (2).

وما يلاحظ على هذا النص أن الطرف الرئيسي في هذا التحالف كانت أرفاد، كما يظهر أن هذا التحالف الذي قامت به دول شمال سوريا كان نتيجة مؤثرات خارجية من قبل دول ترغب هي الأخرى في الاستيلاء عليها ألا وهي أوراتو .

وفي السياق ذاته من النتائج المهمة لحملة تجلات بلاسر الثالث عام 743 ق.م ، الهزيمة القاسية للأوراتيين وحلفائه من المدن الشمالية في سوريا ، ولما كان متع ايل ملك أرفاد الطرف الرئيسي في الحلف، هذا ما أدى بتجلات بلاسر الثالث مهاجمتها عام 742 ق ،م، وقد حاصرها لمدة عامين ، ثم استولى عليها وحولها مقاطعة آشورية .

(1) جان كلود مارغرون ، تر: سالم العيسى: السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين سوريا الشمالية، ط2، دمشق : منشورات دار علاء الدين 2006، صص، 81-82.

(2) (P).Garelli:op- cit, pp,110-111.

ونتيجة لسقوط أرفاد فإن ذلك كان له أصداء في كل أنحاء بلاد سوريا ، فقد سارع أعضاء التحالف السابق (أي حملة تجلات بلاسر الثالث عام 743 ق. م) إلى تقديم الولاء و دفع الجزية للملك تجلات بلاسر الثالث.⁽¹⁾

وهنا يظهر لنا مدى تأثير وفعالية مبدأ الحرب النفسية والدعاية اللذين طبقهما الملوك الآشوريين وذلك من خلال نشر الرعب و الخوف ، والتنكيل والفتك بحكام المقاطعات ومدنهم.

كما قام تجلات بلاسر الثالث في عام 737 ق. م بأخذ الجزية من ملك دمشق رصين ، كما فرض الجزية على ملكة الغرب زبيبة ، كما قام أيضا هذا الملك الآشوري بفرض الجزية على ملكة عربية أخرى اسمها سمسي ، وذلك في العام التاسع من حكمه ، واستولى على مدينة من مدنها ، وقد تمثلت الجزية في الجمال و النوق.

ونظرا لبقاء دمشق التي كانت تشكل خطرا على الإمبراطورية الآشورية، فإن تجلات بلاسر الثالث قام بشن حملات ضدها فيما بين 733-732 ق.م، وقد فتح الملك الآشوري دمشق وأزال الدولة الآرامية فيها من الوجود عام 732 ق. م.⁽²⁾

ومن كل هذا يتضح لنا أن عهد تجلات بلاسر الثالث كان فاتحة عصر جديد في حياة آشور ، و عاد لها نفوذها على مناطق كثيرة من الشرق الأدنى القديم، وكان أول ملك آشوري يقضي على الدولة الآرامية في دمشق ، و بسقوطها استطاع الآشوريون أن يضموا سوريا بكاملها .

4- مجهودات الملك سرجون الثاني 721-705 ق. م، حكم بعد أخيه شلمنصر الخامس ، و يعتبر سرجون الثاني مؤسس سلالة حاكمة من الملوك من أبنائه وأحفاده ، أما حملاته في الغرب ، فقد إقتصرت على حملة واحدة عام 720 ق. م ، حيث استطاع أن يسحق حلفاء عسكريا بزعامة ملك حماة المسمى ايلو بنيدي الذي كان قد قتل حاكم حماة المنصب من قبل الآشوريين، وقد ضم هذا التحالف أرفاد و سيميرا و السامرة و غيرها.

(1). (P).Garelli: op-cit, p, 111

(2) عبد الحكيم الذنون :تاريخ الشام القديم، ط1، دمشق:دار الشام القديمة للطباعة و النشر، 1999، ص ص، 196-197.

و قد إستطاع سرجون الثاني القضاء على التحالف عند نهر العاصي في مدينة قرقر ، فقد أحرق المدينة ، و أسر الكثير من الناس ، و أسر حاكم حماة و سلخ جلده في آشور.⁽¹⁾

والجدير بالذكر أنه في عام 710 ق.م ، أصبح سرجون الثاني سيد الموقف بعد انتصاراته في جميع الميادين و خضعت له كل سوريا .

5- مجهودات الملك سنحريب 681-704 ق.م ، والده سرجون الثاني ، حيث وصلت الإمبراطورية الآشورية في عهده أوج عظمتها ، و ذروة مجدها، فقد كانت لدى سنحريب خبرة في الحكم و السيادة الخارجية ، إذ أوكلت إليه مهمة حكم بابل في حياة والده.

و أما حملات سنحريب باتجاه سوريا ، فقد إقتصرت على حملة عسكرية عام 701 ق.م ، و قد إستطاع سنحريب الانتصار.⁽²⁾

ونظرا لحدوث اضطرابات في آشور في نهاية حكم سنحريب ، الذي إغتاله أحد أبنائه ، فإنه من الطبيعي أن تستغل الفرصة بعض المقاطعات كسوريا التابعة للإمبراطورية الآشورية ، و تعلن التمرد والعصيان.

6- مجهودات أسر حدون 669-680 ق.م ، قام بإرسال حملته الأولى إلى دمشق ، حيث واجه فيها مغتصبا للعرش في دمشق ، وكان قد انقلب على ابن حزائيل الموالي للآشوريين ، و قد استطاع اسرحدون الانتصار وأعادته إلى العرش.⁽³⁾

7- مجهودات آشور بانيبال 627-668 ق.م ، أنه و لأول مرة حافظت بلاد سوريا على تبعيتها للإمبراطورية الآشورية ، و قد اتخذ آشور بانيبال مدينة دمشق مركزا لتأديب المتمردين الأعراب

⁽¹⁾ (G) Conteneu : les civilisation anciennes du proche – orient,op-cit,pp,117-118

⁽²⁾ عبد العزيز صالح :المرجع السابق ،ص ص،118-119،ص526.

⁽³⁾ دانييه جمال الدين يعقوب:المرجع السابق،ص 94

واخذ غنائم ضخمة ، وهذا ما يدل على أن دمشق لم تقم بالعصيان ، كما هو دليل على قوة و عظمة الملك اشور بانيبال بحيث لم تتجرأ على العصيان.

و يجدر بنا ذكر أن آشور بانيبال قام بحملة عسكرية على القبيلة العربية المسماة بني قidar ، و رئيسها أبي عاطلي ، و ذلك عقب نهاية حربه في بابل عام 648 ق.م ، وكان سبب هذه الحملة مساعدة حاكم مقاطعة بابل على التمرد من قبل أخيه وقد كان النصر حليف الملك الآشوري.⁽¹⁾

و مما سبق ذكره يمكننا القول بأن حملات ملوك الإمبراطورية الآشورية على سوريا قد تميزت بوجود مقاومة كبيرة من الآراميين ، تجلت في التصدي العسكري لهم ، وذلك عن طريق عقد الأحلاف العسكرية للدفاع عن أرضهم من الآشوريين ، إلا أن الملوك الآشوريين استطاعوا الاستيلاء عليها.

⁽¹⁾(K) Grayson :Assyria ;(668-635 B.C) the reign of ashur banibal ,CAH ,pp,153-154.

المبحث الثالث : الاستيلاء على الساحل الفينيقي

1- الاعتراف بسلطة آشور في العهد الإمبراطوري الأول

لقد كان من مقتضيات التطور الآشوري في عهد الدولة في عصرها الإمبراطوري ،التطور من الناحية الاقتصادية ومن أجل ذلك عمل الملوك الآشوريون على تأمين طرق المواصلات المؤدية إلى الساحل الفينيقي ، وذلك بالتحكم في طرق القوافل التجارية ،ولهذا كان على الملوك الآشوريين التوسع على حساب مدن الساحل الفينيقي.

والحقيقة أنه لم يحدث أن استطاع أي ملك آشوري أن يسيطر على الطرق المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط بعد حكم الملك الآشوري تجلات بلاسر الأول الذي حكم فيما بين 1115-1077 ق. م إلى غاية وصول الملك أشورناصر الثاني الذي حكم فيما بين 883-859 ق.م، إذ يذكر في حولياته أنه وصل إلى جبال لبنان وأخذ الجزية من مدنها ومدن الساحل الفينيقي.

و لقد تضافرت جهود خمسة ملوك آشوريين لعبوا دورا كبيرا في استرجاع سلطة آشور على الساحل الفينيقي وهم :

1- جهود الملك آشور ناصر بال الثاني وقد قام بحملة عسكرية عام 876 ق. م، حيث اخضع المدن الفينيقية و المتمثلة في صور وصيدا و جبيل و غيرها، و بمناسبة هذا الانتصار أقام لوحة تذكارية عند نهر الكلب شمالي بيروت.

و وردت هذه الحملة في حوليات آشور ناصر بال كما يلي"....وصلت إلى جبال لبنان في البحر العظيم من أرض أمورو ،غسلت أسلحتي،وقدمت قرابين للآلهة و تلقيت الجزية من ملوك الساحل وشعوبه،وشعوب صور وصيدا و جبيل ، ومن مدن لانوا ،مايزو، اموروا ارواد أخذت جزية من فضة وذهب وألبسة صوفية وكتانية ،قردة كبيرة و صغيرة ،وخشب وعاجا وأحصنة البحر،بعد أن قدموا الطاعة لي تابعت نحو جبال الامانوس...،وقدمت القرابين،وأقمت نصبا تذكارية لبطولاتي." (1)

(1)(D) David luckenbill ; ARAB , op-cit,pp,188-189.

2- مجهودات الملك شلمنصر الثالث الذي حكم فيما بين 858-824 ق. م: فقد فاق والده آشور ناصر بال الثاني في السيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط وزاد عليها بتوجيه حملات عسكرية ضد مملكة إسرائيل و أخذ الجزية منها .⁽¹⁾

وفي هذا السياق لابد أن نذكر أن شلمنصر الثالث، قام بحملات عسكرية عام 845 قبل الميلاد ضد فينيقيا، حيث استطاع إرغام المدن الفينيقية و خاصة صور وصيدا على دفع الجزية، و كذلك " جيحو بن عمري" ملك إسرائيل .

و قد وردت هذه الحملة في حوليات الملك كما يلي: " ..وزحفت نحو حوران ،و تابعت المسير وتلقيت الجزية من سكان صيدا وصور و جبيل ،كذلك إلى بعلي راسي من جيحو بن عمري ،فضة وذهبا،وطاسات ،ومزهرية ذات قعر مدبب،وأقداح ذهبية وقصدير ...الخ." .⁽²⁾

ونتبين من النص أن الباعث الرئيسي لتوسعات شلمنصر الثالث نحو الساحل الفينيقي كان اقتصاديا أيضا،فهو يسجل الغنائم بشكل فضة وذهب وأقداح ذهبية،وطاسات و قصدير الخ.

ويذكر جورج روبأن هذا النص دون على المسلة السوداء المحفوظة في المتحف البريطاني، و هذه المسلة تعود إلى الملك شلمنصر الثالث ، و نقشت بكتابة مطولة على خلاصة حملات هذا الملك منذ اعتلائه العرش إلى عام حكمه الواحد والثلاثين،وقد ظهر في إحدى المنحوتات لهذه المسلة ملك إسرائيل جيحو و هو ساجد أمام صورة الملك العظيم شلمنصر الثالث .⁽³⁾

وقد يعود ظهور ملك إسرائيل وهو ساجد أمام الملك شلمنصر الثالث في إحدى نقوشه إلى رغبة الملوك الآشوريين في إظهار عظمة القوة العسكرية لديهم،ونشر الخوف و الرعب في نفوس حكام المقاطعات التابعة لهم، وهو ما يعرف بمبدأ الحرب النفسية والدعاية.

⁽¹⁾ عبد العزيز صالح: المرجع السابق ،ص510،ص513 .

⁽²⁾ (D) David luckenbill ;op-cit,p,243.

⁽³⁾ (G) Roux ;op-cit,pp,241-242.

و نظرا لحدوث ثورة داخلية في آشور في نهاية حكم شلمنصر الثالث، حيث ثار عليه احد أبنائه، وأدى إلى حدوث اضطرابات داخلية، واستغلال الكثير من الأقاليم كمدن الساحل الفينيقي الفرصة عن توقفت دفع الجزية و أعلنت تمردھا .

3- جهود الملك أدد نيراري الثالث الذي حكم فيما بين 810-783 ق.م، حيث أرسل حملات عسكرية نحو الجنوب الغربي و ذلك عام 804 ق. م ، و قد وصل في هذه الحملات إلى ساحل البحر المتوسط ، وأخذ الجزية من بعض مدنها الساحلية مثل:صيدا وصور بيت عمري و غيرها.

وقد وردت هذه الحملة في حوليات ادد نيراري الثالث كما يلي>>...انطلاقا من نهر الفرات، أخضعت بلاد خاتي، واموروا وصور وصيدا ن وبيت عمري (إسرائيل) ، وأدوم ، و بلستو تابع حتى البحر العظيم، بحر مغيب الشمس...<<.(1)

وما يلاحظ على هذا النص أن حملة الملك الآشوري ادد نيراري الثالث العسكرية كانت واسعة و شاملة لمناطق على الساحل الفينيقي.

و من هنا يتبين لنا أن ادد نيراري الثالث قد حقق أهدافه بتأمين طرق المواصلات المؤدية إلى الساحل الفينيقي ، و ذلك بالتحكم في طرق القوافل التجارية ، و بالتالي يستطيع الاستفادة من المكاسب المادية في مواجهة الأخطار الأخرى التي تواجه الإمبراطورية الآشورية.

وقد خلف ادد نيراري الثالث ملوك ضعفاء ما شجع على ازدياد التمردات على الإمبراطورية الآشورية، وتوقف المقاطعات التابعة لها عن دفع الجزية. وهذا لغاية وصول تجلات بلاسر الثالث.

4- مجهودات الملك القوي تجلات بلاسر الثالث :الذي حكم فيما بين 744- 727 ق.م، لقد إستمرت الإضطرابات الداخلية الى غاية اعتلائه العرش ، و قد احدث نقلة مميزة للإمبراطورية الآشورية بعد أن ورثها وهي في أسوأ حالاتها ،لذلك كانت مدة حكمه عبارة عن بداية مرحلة ثانية في تاريخ للإمبراطورية الآشورية ألا وهو العصر الإمبراطوري الثاني.(2)

(1) محمد بيومي مهران:تاريخ العراق القديم ،المرجع السابق،ص 379.

(2) عبد العزيز صالح:المرجع السابق،ص ص 514-515

قام تجلات بلاسر الثالث بإرسال حملة عسكرية عام 734 ق. م، لإخضاع عدة مدن و فرض الجزية على حكامها، ومنهم هانو حاكم غزة ، ومناحيم حاكم السامرة، ثم اتجه إلى الساحل الفينيقي، وضم بعض المدن الفينيقية الواقعة بين أرواد و صور، ذلك في عام 733 ق. م.

والملاحظ أن دمشق بقيت تشكل خطرا على الإمبراطورية الآشورية حيث قام ملكها رصين بدعم قفح ملك السامرة ضد أحاز ملك يهودا، حيث استنجد هذا الأخير أي أحاز بالملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث ، وذلك بعد أن كون قفح ملك السامرة و رصين ملك دمشق حلفا انضمت إليه المدن الفينيقية ، و الدول شمال غرب العرب، فضلا عن أدوم ن ومن ثم فقد هوجمت أورشليم بقوات دمشق والسامرة ، وذلك بغية طرد أحاز وإزاحته عن عرشه.

و هذا ما أدى بأحاز ملك يهودا في الإسراع بإرسال رسالة إلى الملك تجلات بلاسر الثالث يطلب منه العون ، وقد أخذ الملك أحاز الذهب والفضة الموجودين في هيكل الرب، وفي خزائن بيت الملك ، و أرسلهما إلى ملك آشور كهدية .

و يبدو أن التدخل السريع لملك تجلات بلاسر الثالث قد أنقذ ملك يهودا من موقفه الصعب قبل أن تسقط أورشليم في أيدي المهاجرين من الإسرائيليين و الآراميين.⁽¹⁾

و يمكن أن نفسر قيام الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث بدعم أحاز ملك يهودا، ضد أعدائه إلى رغبة الملك الآشوري في إخضاع سوريا و الساحل الفينيقي إخضاعا كليا للإمبراطورية الآشورية ،بدليل قيامه حملة على دمشق عام 732 ق. م حيث سقطت نهائيا بأيدي الآشوريين "كما ذكر سابقا".

والظاهر أن الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث استطاع الاستيلاء على المناطق الشمالية من مملكة السامرة ، كما تآمر لأحداث فتنة تطيح بملك إسرائيل قفح حليف دمشق.⁽²⁾

⁽¹⁾ (K) Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705) BC , CAH op-cit ,pp,77-78.

⁽²⁾ (W) Budge:a guide to the babylonia and Assyrian antiqites, op-cit,p,7

و يؤكد سفر الملوك الثاني أن الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث كان ينتظر الفرصة للتحرك ضد ملك دمشق و ملك السامرة قفح وشن هجوم ضدهم : " في أيام قفح ملك إسرائيل جاء ، تجلات- بلاسر الثالث ملك آشور ، و اخذ ايل و بيت معكة و متوح و قادش و حاصور ، و حلب و الجليل ، و نفتلي من ارض مصر⁽¹⁾ .

كما قام تجلات بلاسر الثالث بتعيين هوشع ملكا على إسرائيل و ذلك فيما بين 732-724 ق.م، بدلا من قفح الملك السابق ، ومنه دفعه الجزية للملك الآشوري .

و بهذه الإجراءات ضمن تجلات بلاسر الثالث ولاء ملك إسرائيل هو شع للإمبراطورية الآشورية، و خضوعه التام للملك الآشوري .

5- مجهودات الملك شلمنصر الخامس 726-722 ق.م، حيث واصل هذه المجهودات للحفاظ على ما حققه والده من انتصارات في الساحل الفينيقي ، إلا انه واجه مصاعب جديدة في الساحل الفينيقي ، ففي عام 726 ق.م رفض هو شع ملك إسرائيل و ملك صور دفع الجزية لآشور ، و هذا ما أدى شلمنصر الخامس بشن هجوم عليهما ، و استولى على صور و أجبر هو شع ملك إسرائيل على دفع الجزية ، لكنه بعد مدة توقف عن دفع الجزية فسارع الملك الآشوري إلى محاصرة السامرة مدة ثلاثة أعوام.⁽²⁾

و يمكن أن نفسر هذا العصيان المتتالي لدول الساحل الفينيقي برفضها سيطرة السلطة الآشورية ، و قد يعود أيضا إلى تحريض من قبل دول ترغب في الاستيلاء عليها ، أو المحافظة على مصالحها الاقتصادية بالمنطقة .

(1) التوراة: سفر الملوك الثاني، الإصحاح 15، الآية 29، الإسكندرية: كنيسة الأنبا تيكلا هيمنوت ، د.ب.

(2) (G) Roux ; op-cit, pp, 356-357.

2- الاستيلاء على الساحل الفينيقي في العهد الإمبراطوري الثاني :

1- مجهودات الملك سرجون الثاني الذي حكم فيما بين 721-705 ق.م : الظاهر أن خبر سقوط السامرة في أيدي القوات الآشورية كان عقب تولي الملك الآشوري سرجون الثاني العرش و ذلك في عام 721 ق.م، وقد حكم بعد وفاة شلمنصر الخامس ، وهكذا سقطت دولة إسرائيل و انتهت من الوجود كدولة.

و قد وردت هذه الحملة في حوليات سرجون الثاني كما يلي: "... حاربت أهالي السامرة الذين اتفقوا و تأمروا مع ملك معاد لي على أن لا يقدموا الإتاوة لآشور ، خضت المعركة مستعينا بقوة الآلهة العظيمة أربابي ، لقد عدت 280 نسمة أخذتهم مع عرباتهم و أسكنت فيها ناسا من البلدان التي فتحتها و اعتبرتهم كآشوريين...."⁽¹⁾

و ما يلاحظ على هذا النص أن مدينة السامرة قد تحولت الى مقاطعة تابعة للسلطة الآشورية ، كما يظهر أن الملك سرجون الثاني قد طبق سياسة التهجير ، حيث نقل سكان السامرة إلى أقاليم بعيدة عن موطنهم .

والجدير بالذكر أن سرجون الثاني اتجه بعد سقوط السامرة إلى فينيقيا، وقد استطاع الملك الآشوري أن يفرض سلطته على جزء كبير من فينيقيا، و يبدو انه اجتازها إلى جزيرة قبرص ، إذ أخضعها واتبعها إلى ولاياته على ساحل بلاد سوريا ، والمرجح أن أمراء قبرص السبعة دفعوا الجزية لسرجون الثاني ، ولعل ما يؤيد ذلك هو المسلة العائدة لهذا الملك التي وجدت في قبرص.⁽²⁾

و نتيجة لخسارة صور لقبرص ، و التي كانت مصلحتها اكبر في المحافظة على قبرص ، ذلك أن سلامتها و أمنها يقضيان بأن تبقى قوة بحرية تجارية ، وخسارة قبرص كانت تعني ضربة قوية لهذه القوة التجارية .

(1) دانييه جمال الدين يعقوب : المرجع السابق، ص 84

(2) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المرجع السابق ، ص 515

كما تلقى الملك سرجون الثاني الجزية عام 720 ق. م ،في حكمه من ملكة بلاد العرب سُمسي ومن بن عمرا ملك سبأ،و كانت عبارة عن خيول و جمال و ذهب.⁽¹⁾

2- مجهودات الملك سنحريب الذي حكم فيما بين 704-681 ق.م : واصل المجهودات لتثبيت السيادة الآشورية على الساحل الفينيقي، فقد قام في عام 701 ق.م، بتوجيه حملة أخضع فيها صيدا و عسقلان بالقوة،وأخضع دول أخرى بما في ذلك أرفاد و جبيل و أشدود ،عامون ،ومؤاب و أدوم و في السياق ذاته أرسل سنحريب حملة عسكرية عام 701 ق.م، إلى الساحل الفينيقي و ذلك بعد تمرد مدينتي عسقلان و عقرون ولاسيما أن حزقياً ملك يهودا كان قد تدخل في شؤون عقرون إذ اسر حاكمها الموالي للسلطة الآشورية.⁽²⁾

ويبدو أن سنحريب كان قد أرسل إنذارا إلى حزقيال حاكم يهودا قبل ذلك ،وقد ورد في سفر الملوك الثاني ما يلي: " فقال لهم ريشاقى قولوا لحزقيا ،هكذا يقول الملك الكبير ،ملك آشور على من اتكلت هذا الاتكال ؟أتظن أن الكلام الفارغ يكسبك حيلة و قدرة على الحرب :فعلى من اتكلت حتى تمردت علي؟أعلى مصر ،هذه القصة المرضوضة التي تنفذ في كف من يعكز عليها و تثقبها؟ هكذا هو فرعون ملك مصر لجميع الذين يتكلمون عليه"⁽³⁾ .و قد يقصد فرعون مصر شبكا الحبشي الذي حكم مصر فيما بين 721-706 ق.م.

و من هنا يتبين لنا بأن هذا العصيان الذي قام به حاكم يهودا كان نتيجة مؤثرات خارجية من قبل مصر ،و التي قامت بتحريض حاكم يهودا على التمرد على السلطة الآشورية.

و بعد إخضاع سنحريب لمدينتي عسقلان و عقرون ،ووضع حكام جدد موالين للسلطة الآشورية، فإن ضيق الخناق على مملكة يهودا ،وحاصر عاصمتها أورشليم ،وترك على حصارها

(1) احمد أمين سليم:دراسات في تاريخ العراق القديم، المرجع السابق ص 264

(2)(K) Grayson : Assyria:sennacherib and esarhaddon (704-669) B.C ,CAH,op-cit ,pp,109-110

(3) التوراة: سفر الملوك الثاني ،الإصحاح 18، الآية (19-20-21)،الإسكندرية :كنيسة الأنبا- تيكلا هيمانوت ،دبت.

كبير قادة الجيش ،الا أن نتيجة الحصار لم تكن مؤكدة.⁽¹⁾

ورغم أن حوليات سنحريب تؤكد انتصاره على يهودا،الا أن النص التوراتي يناقض ذلك وليؤكد أن الجيش الآشوري انسحب بسبب وباء ألم به ،ففي سفر الملوك يرد في النص ما يأتي: و لذلك هكذا قال الرب عن ملك آشور:لن يدخل هذه المدينة، ولن يرميها بسهم،ولن يتقدم نحوها بترس ولن ينصب عليها برجاً،لكن في الطريق التي جاء منها يعود،إلى هذه المدينة لن يدخل.⁽²⁾

وعلى التناقض الواضح بين النصين ،فان اللقى الأثرية قد رجحت المعلومات الواردة في حوليات الملك سنحريب ،إذ أن التنقيبات في تل شفلة و لخيش تكشف عن حملة منظمة من حيث الحصار ثم السلب ،ويمكن رؤية خراب يهودا في كل التل تقريبا.⁽³⁾

و المؤكد أن سنحريب فرض الجزية على يهودا ،فبعد سقوط العديد من القبائل و مدن يهودا وبنيامين،لم يبق أمام حزقيا سوى الخضوع ،ودفع جزية كبيرة تمثلت في 300 وزنة من الفضة ، فقد دفع جميع الفضة و الذهب التي كانت موجودة في خزائن الرب،و في خزائن الملك ،وذلك مقابل الحصول على السلام.⁽⁴⁾

و نتيجة لحدوث اضطرابات في نهاية عهد سنحريب حيث اغتاله احد أبنائه ،فان ذلك أدى إلى استغلال بعض المقاطعات التابعة للسلطة الآشورية كمدن الساحل الفينيقي و استغلال الفرصة و التوقف عن دفع الجزية و إعلان التمرد.

3- جهود الملك أسر حدون الذي حكم فيما بين 669-680 ق.م،حيث قام بإرسال حملة عسكرية عام 677 ق.م،إلى صيدا والتي كانت المصدر الأول للثروات في فينيقيا و قد حقق أسر حدون الانتصار على حاكمها "عبدي ملكوتي " Abdimilkutti .

⁽¹⁾ (J) Flavus : les juifs, histoires ancienne des juifs la guerre des juifs contre les romains, anographie, livre10, para 1, Paris: édition lidis, 1982.

⁽²⁾ التوراة :سفر الملوك الثاني ،الإصحاح 19، الآية (33-34)، الإسكندرية :كنيسة الأنبا- تيكل هيمانوت ،د.ت.

⁽³⁾ دانييه جمال الدين يعقوب :المرجع السابق،ص 92.

⁽⁴⁾ (J) Flavus :op-cit,para1.

و قد وردت هذه الحملة في حوليات اسرحدرون كما يلي "....عبد ملكوت الذي لم ترهبه جلالتي ، ولم يكثرث بكلامي،شق البحر و حرر نفسه من عبوديتي ،صيدا مدينته دمرتها و حطمت أسوارها ، و رميتها في البحر ،و التقطت عبد ملكوت كسمكة رميته في البحر ،و ألقيت القبض عليه و قطعت رأسه و أخذت زوجته و أبنائه وبناته و حاشيته ،وأخذت ممتلكات قصره من أحجار كريمة و ملابس صوفية ملونة وعاج و أخشاب وكنوز متنوعة و مجوهرات"(1)

و ما يلاحظ على هذا النص أن اسرحدون عامل مدينة صيدا بكل قسوة ،حيث دمرها و حطم أسوارها ،كما قام بقطع رأس حاكمها ،ذلك أن الجيش الآشوري عرف بالشراسة و التنكيل بحكام المقاطعات ،ومن الواضح أن هدف الملك الآشوري من حملته على صيدا كان اقتصاديا فهو يسجل الغنائم بشكل أحجار كريمة و عاج و أخشاب الخ.

ونتيجة لتطبيق اسرحدون لمبدأ الحرب النفسية و الدعاية في مدن الساحل الفينيقي،فقد قدم كل من الملك اليهودي "منسى" و ملك أشدود أخي ملكي" و ملك غزة و ملك عمون و كذلك ملك قبرص الجزية للملك الآشوري.(2)

4- مجهودات الملك آشور بانيبال الذي حكم فيما بين 668-627 ق.م،لقد أدى انشغال جيشه في حملته على مصر عام 669 قبل الميلاد، الى تمرد بعض الولايات التابعة للسلطة الآشورية كمدن الساحل الفينيقي بإعلان التمرد و العصيان مثل ملك صور.

و هذا ما أدى بأشور بانيبال إلى محاصرة مدينة صور إلى أن استسلم ملكها بعل في ظروف قاسية ،إذ سلم بناته وبنات أخيه إلى الملك الآشوري كزوجات ،كما سلم كذلك ولده ،واستولى على أسطولها.

(1) (K) Grayson : Assyria:sennacherib and esarhaddon(704-669)B.C ,CAH,op-cit,pp,125-126.

(2) (K) Grayson :op-cit,p,126.

و قد وردت هذه الحملة في حوليات آشور بانيبال كما يلي "...و في حملتي الثالثة اندفعت إلى بعالي الذي لم يصغي لكلمات شفتي، فحاصرته في البر و البحر ... وجعلت حياته مزرية فسارع لإرسال ابنه ياخي ملكي ومعه بنات بعلو و أبنائه لخدمتي، فأشفقت عليهم و أعدتهم..."⁽¹⁾

و يتبين لنا من خلال النص تطبيق ملك آشور بانيبال لأحد أساليب التكتيك العسكري أي حصار المدن، و التي كانت في غاية التنظيم و التخصص، وما ينجم عنها من أوبئة ومجاعات و حياة قاسية، و هو ما يؤدي في النهاية إلى الاستسلام كما حصل مع مدينة صور.

و مما سبق عرضه يمكننا القول بأن الحملات العسكرية للملوك الآشوريين على الساحل الفينيقي، قد تميزت بتكرار تلك الدول العصيان على السلطة الآشورية، إلا أن هذه الأخيرة تمكنت من الاستيلاء على هذه الدول، و بالتالي الاستفادة من مواردها الاقتصادية.

(1) دانييه جمال الدين يعقوب: المرجع السابق، ص ص 97-98 .

المبحث الرابع: بداية نهاية الإمبراطورية الآشورية

1- الاصطدام الآشوري المصري:

لقد أثرت الحملات العسكرية التي قام بها الملوك الآشوريون و التي امتدت حتى الساحل الفينيقي ،على المصالح السياسية و الاقتصادية المصرية في المنطقة،لذلك كانت مصر كثيرا ما تحرض الدويلات السورية على التمرد على السلطة الآشورية،و هذا ما جعل العلاقات تتوتر بين مصر وأشور ، وقيام الملوك الآشوريين بشن حملات عليها.

و هناك مثال على تحريض مصر للدويلات السورية أنه منذ اعتلاء الملك الآشوري شلمنصر الخامس الحكم فيما بين 726-722 ق.م، واجه مصاعب في الساحل الفينيقي ،وذلك لأن الحملات العسكرية التي قام بها والده تجلات بلاسر الثالث ،والتي امتدت حتى جنوبي غزة ،قد أدت إلى التأثير في المصالح التجارية المصرية في المنطقة من جراء عرقلة الآشوريين لعملية تصدير الخشب من لبنان إلى مصر،وقد اعتبرت ومصر ذلك تهديدا لأمنها الاقتصادي .

و من أجل ذلك شجع المصريون التمردات ضد الملك الآشوري ،ففي عام 726 ق، م.رفض هوشع ملك بيت عمري و ملك صور دفع الجزية لآشور بتحريض من مصر ،فهاجمها شلمنصر الخامس و استولى على صور وأجبر هوشع على دفع الجزية.⁽¹⁾

و قد وردت تفاصيل هذه الحملة في التوراة كما يلي:"و صعد عليه شلمناسر ملك آشور ، فصار له هوشع عبدا و دفع له جزية ،و وجد ملك آشور في هوشع خيانة ، لأنه أرسل رسلا الى سوا ملك مصر ،و لم يؤد الجزية إلى ملك آشور حسب كل سنة ، فقبض عليه ملك آشور وأوثقه في السجن، وصعد ملك آشور على كل الأرض ،و صعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنين " .⁽²⁾

⁽¹⁾(P).Garelli : le proche- Orent asiatique. Les empires mésopotamians Israël ,op-cit, p,116

⁽²⁾ التوراة :سفر الملوك الثاني ،الإصحاح 17، الآية (3-4-5)، الإسكندرية :كنيسة الأنبا- تيكلا هيمنوت ،دبت.

والمعروف تاريخيا أنه لا يوجد في المصادر المصرية فرعوناً في هذه الفترة يحمل إسم "سوا"
، وربما كان المقصود في نص التوراة، الفرعون أوسركون الرابع الذي حكم فيما بين 730-715
ق.م، من الأسرة الثانية والعشرين.⁽¹⁾

و أما في عهد الملك سرجون الثاني الذي حكم فيما بين 721-705 ق.م، فإن بعض الأقاليم
الآشورية البعيدة كمدن الساحل الفينيقي قد استغلت فرصة اعتلاءه العرش، و أعلنت التمرد
بتحريض من مصر ،فبادر سرجون الثاني إلى إرسال جيش عام 720 قبل الميلاد للقضاء على
الحلف العسكري.

و يبين النص الآتي الأطراف المتحالفة ضد آشور ،كما وثق في حوليات سرجون الثاني...في
السنة الثانية من عهدي جمع أيلو بئيدي حاكم حماة في أرض أمور تحالفا في مدينة قرقر يضم
مصر ختاريكا و أرفاد و سيميرا و دمشق و السامرة ثاروا ضدي و قد هزمتهم".⁽²⁾

و في السياق ذاته نجد أن مصر كانت المحرض للثورات في الساحل الفينيقي و هذا يظهر من
خلال الثورة التي قام بها حاكم غزة ،فلاحقه الجيش الآشوري حتى وقع أسيرا بعد حرق مدينته
،وقد لقيت رفح المصير الذي لقيته غزة مما جعل حاكمها يهرب،و يبدوا أن سرجون الثاني قد قام
بتهجير أعداد كبيرة من سكانها و نقلهم إلى أماكن مختلفة تابعة للإمبراطورية الآشورية. و قد
وردت هذه الحملة في حوليات سرجون الثاني كما يلي : "...فتحت السامرة و كل بيت عمري،سلبت
أشدود و سوهي،و هزمت مصر ..."⁽³⁾

أ- **الحملة الأولى على مصر:** بعدما قام سنحريب الذي حكم فيما بين 704-681 ق.م بحملة
على الساحل الفينيقي عام 701 ق.م بدأ بوضع الخطط العسكرية لغزو مصر .⁽⁴⁾

⁽¹⁾ محمد بيومي مهران:تاريخ العراق القديم، المرجع السابق، ص 391.

⁽²⁾(G) Roux : La Mésopotamie,op-cit,pp, 358-359.

⁽³⁾ (G) Roux :Ibid ,pp,359-360.

⁽⁴⁾ عبد العزيز صالح:المرجع السابق، ص 525.

و قد شرع سنحريب بالزحف في الطريق البري من فلسطين حتى بلغ موضع العريش أو رفح على بعد نحو 30 كلم ميلا شرقي القناة الآن ،ولكن هذه الحملة لم تحرز النجاح بسبب العواصف و الزوابع الترابية التي حالت دون مواصلتها السير إلى داخل الأراضي المصرية.⁽¹⁾

أما التوراة فترجع سبب إخفاق الحملة إلى التدخل الإلهي ،حيث أن ملاك الرب خرج ليلا،و ضرب مائة و خمسة و ثمانين ألفا من الجيش الآشوري و قد ورد ذلك كما يلي : " وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش آشور مائة و خمسة و ثمانين ألفا ،و لما بكرواصباحا اذا هم جميعا جثا ميتة، فانصرف سنحريب ملك آشور وذهب راجعا و أقام في نينوى".⁽²⁾

أما المؤرخ الإغريقي هيرودوت فيرجع سبب إخفاق الحملة إلى أن أعداد كبيرة من الفران قد أكلت الجنود و الجعاب و حمائل الذروع الموجودة لدى الجيش الآشوري في قوله : " و بينما كان سيتوس يستعد لمواجهة العدو هبت في الليل،ألاف مؤلفة من جرذان الحقل فعصفت بالآشوريين ، فأتت على أقواسهم و أوتارها،و الجلد الذي يحمي مقابض دروعهم ،و لما كان النهار ،و لم يجد الآشوريون معدات يقاتلون بها ،هجروا مواقعهم،و رجعوا متكبين أفدح الخسائر".⁽³⁾

كما نلاحظ في هذا الاقتباس أن هيرودوت اخطأ في ذكر اسم الفرعون في ملاقاته سنحريب و كان الفرعون طهراقا الكوشي حاكما على مصر في هذا التاريخ .

و يبدو أن مصر قد استمرت في عهد خليفة سنحريب المدعو أسرحدون الذي حكم فيما بين 669-680 ق.م ، بتحريض دويلات الساحل الفينيقي على التمرد على السلطة الآشورية ،و ذلك لاستعادة نفوذها الاقتصادي و السياسي في المنطقة ،بعد أن أضعفه التوسع الآشوري الدائم ولا سيما في عهد سرجون الثاني،إلا أن الملك اسرحدون استطاع القضاء على جميع هذه الثورات.⁽⁴⁾

(1) عبد العزيز صالح :المرجع السابق ،ص 526

(2) التوراة :سفر الملوك الثاني ،الإصحاح 19، الآية (35-36)، الإسكندرية :كنيسة الأنبا- تيكلا هيمنوت ،د.ت.

(3) Hérodote : Histoires, livres 2 para 141, établis et traduit par. PH Legrand, Paris : société d'édition les billes lettres, 1982.

(4)(M) Vieyra : Les Assyriens, op-cit,pp,37-38.

ب- الحملة الثانية على مصر:

لقد تضافرت جهود ملكين آشوريين من اجل إتمام المهمة في مصر و القضاء نهائيا على إستقلالها و دمجها للسلطة الآشورية

1- مجهوات الملك اسرحدون حكما بين 669-680 ق.م، و قد حقق ما عجز عنه والده و هو غزو مصر ،وكانت مصر آنذاك تمر بفترة من فترات الشيخوخة السياسية والحربية ،وكانت تسيطر عليها أسرة جمعت دماؤها بين الدم المصري و الدم النوبي،وولي عرشها الفرعون طهرافا. (1)

و قد مهد اسرحدون لغزو مصر بضمان ولاء القبائل العربية في بوادي سوريا،و ذلك لسلامة مرور جيوشه الضخمة إلى سوريا و منها إلى مصر ،وقد أمدته القبائل العربية بآلاف الجمال لنقل المؤن و المياه،و كانوا أدلاءه في السير ،و قد عقد اسرحدون العهود مع بعض أمراء بادية سوريا و مشايخها مثل دومة الجندل (أدمو في المصادر الآشورية).

ومن الأمور الجديرة بالذكر أن اسرحدون أثناء حملته على مصر ذكر في حولياته أنه لاقى الأهوال في صحراء سيناء المخيفة من أفاع ذوات رأسين،و حيوانات غريبة خضراء تفتك بضربات أجنحتها، (2) و قد تكون الحيوانات الخضراء التي ذكرها اسرحدون هي الجراد.

كما أشار المؤرخ الإغريقي هيرودت إلى تلك الأفاعي بقوله: "وهناك في ضواحي طيبة بعض الأفاعي التي يقدها المصريون ،و تتسم بصغر حجمها و بقرنين بارزين في رأسها،وقد جرى أن المصريون يدفنون هذه الحيات عند موتها". (3)

ويواصل هيرودت قائلا: "كنت قد زرت ذات مرة بقعة معينة في بلاد العرب، و تقع مقابل مدينة بوتو مباشرة،لاستسقاء أمر الأفاعي الطائرة (الجراد)،فرأيت عند وصولي مقابر من بقايا

(1) (M) Vieyra :op-cit,p,

(2) طه باقر :مقدمة في تتاريخ الحضارات القديمة،ص 522.

(3)Hérodote : Histoires, livres2 para74, établis et traduit par. PH Legrand, Paris : société d'édition les billes lettres, 1982.

تلك الأفاعي ما يستحيل تعداداه.... وتذهب رواية الرواة إلى أن هذه الأفاعي تهاجر طائرة من بلاد العرب إلى مصر".⁽¹⁾

لقد سار اسرحدون بجيوشه عام 671 ق.م، واستولى على المدينة التي ورد ذكرها باسم أرزابي في وادي العريش، وبلغ رفح عبر صحراء سيناء، وبعد مرور خمسة عشرة يوما تقدم نحو منف و حاصرها، وسقطت بعد زمن قليل ، وهرب الفرعون طهرقا نحو الجنوب، و لكن أسرته أسرت من قبل الملك الآشوري اسرحدون، وخربت منف، وقد أدى هذا النصر إلى استسلام الوجه القبلي ، و بعد ذلك تدفقت ثورات وادي النيل كغنائم على عاصمة اسرحدون نينوى.⁽²⁾

و الجدير بالذكر أن أسرحدون بعد إستيلائه على منف لجأ إلى تنظيم البلاد من الناحية الإدارية، فقد قسمها إلى إثنين و عشرين مقاطعة ، تدار من قبل إثنين و عشرين واليا، ووضع إلى جانب كل منهم حاكما آشوريا، ثم عاد بعد ذلك الملك أسرحدون إلى عاصمته نينوى .

وقد وردت تفاصيل حملة اسرحدون على مصر في حولياته كما يلي: "...من مدينة التحفري إلى العاصمة المنفس ،وهي مسافة خمسة عشر يوما،قاتلت قتالا متواصلا جيش طرقوا ملك مصر و الحبشة الملعون من جميع الآلهة،لقد أصبته خمس مرات بسهام محدثا به جراحا لم يشف منها ،ثم حاصرت ممفى ،عاصمته وفتحتها في نصف يوم ، وغنمت الملكة وحرمت قصره ، وولي عهده و أولاده الآخرين ، و جميع أمواله و خيوله و ماشيته ،و أخذت غنائم كثيرة إلى بلاد آشور ، و أجليت جميع عن ارض مصر ،و عينت ملوكا على أقاليم مصر،و حاكما و موظفين ، وفرضت الجزية السنوية تدفع إلي بصفتي سيدهم..⁽³⁾

و ما يلاحظ على هذا النص إظهار الملك الآشوري اسرحدون قدراته العسكرية الفعالة في القتال، ومدى عظمة القوة العسكرية التدميرية في حصار المدن و فتحها، و من الواضح أن الهدف

⁽¹⁾Hérodote : Histoires, livres2 para75, établis et traduit par. PH Legrand, Paris : société d'édition les billes lettres, 1982.

⁽²⁾ أنطوان مورتكات،تر: توفيق سليمان :المرجع السابق ،ص 311

⁽³⁾ سليم حسن :تاريخ مصر و السودان من أول عهد بعنخي حتى نهاية الاسرة الخامسة و العشرين و لمحة في تاريخ آشور، موسوعة مصر القديمة،الجزء 11،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1994،صص،529-530،صص،534-535.

الرئيسي لتوسعات أسرحدون، نحو مصر كان أيضا إقتصاديا ،فهو يسجل الغنائم بشكل أموال و خيول و ماشية...الخ.

وقد وجدت في النقوش الجبلية عند مصب نهر الكلب بالقرب من بيروت نقشين احدهما مصري للفرعون رمسيس الثاني ،والآخر آشوري الملك اسرحدون،وقد مثل الملك الآشوري في هذا النقش واقفا بفخار ،قرب كتابة أثرية تروي خبر الاستيلاء على منف و عسقلان و صور.⁽¹⁾

كما وجد نصب آخر في زنجرلي (سماال القديمة)عند عنتاب في شمال سوريا ،حيث يقف الملك الآشوري اسرحون ممسكا بحبل ربط به بعْلُ ملك صور و طهرقاُ فرعون مصر من الأنف،و المؤكد تاريخيا أن الفرعون المصر طهرقا لم يقع أسيرا لدى الملك الآشوري .⁽²⁾

و من هنا تبين لنا بان هدف اسر اسرحدون من إظهار الفرعون طهرقا مربوطا من أنفه هو إظهار مبدأ الدعاية لعظمة القوة العسكرية التدميرية للجيش الآشوري.

و من الواضح أن فتح اسرحدون لمصر لم يكن فتحا كاملا، فقد عاد الفرعون المصري للظهور باستعادة العاصمة المصرية منف ،و كان ذلك بعد عامين من اختبائه ،و شن الحرب على الحاميات الآشورية في الدلتا ،عندئذ أسرع أسرحدون يعد العدة للقضاء عليه و سار بنفسه على رأس الجيش عبر سوريا،و لكن عاجلته المنية و هو في حران في عام 669 ق. م ،فترك أمر مصر إلى خليفته.

2- مجهودات الملك آشور بانيبال الذي حكم فيها 668-627 ق.م، واصل نشاطه لغزو مصر،و أمر قائد جيشه أن يتابع السير،و أن يجمع كل القوى في الدويلات التابعة له التي يمر بها في طريقه،و كان ذلك عام 666 ق. م ،و كانوا كما ذكر الملك الآشوري في حولياته اثنين وعشرين ملكا وقد استعان بخبراتهم الملاحية وهاجم مصر من البر والبحر وسرعان ما التقى آشور بانيبال مع جنود الفرعون طهرقا في معركة مكشوفة ،حيث تحقق النصر للجيش الآشوري.⁽³⁾

⁽¹⁾ فرج البصمجي أقوى من الشرق الأدنى القديم ،مجلة سومر ، المرجع السابق،ص 150

⁽²⁾ محمد بيومي مهران تاريخ السودان القديم ، ط. 1 ، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ،1994ص ص 416.

⁽³⁾ (P).Garelli: op- cit,p ,121.



الصورة رقم 19:توضح الملك الأشوري أسرحدون واقفا ويمسك بحبل ربط به عبيد ملكوتي ملك صور و طهراقا فرعون مصر من الأنف و قد عثر على هذه النقوش في زنجرلي بشمال سوريا.

وتابع الجيش الآشوري الفرعون المصري جنوباً إلى طيبة ، وذلك بعد انسحابه مع قلة من قواته إلى الجنوب ، واستولوا على طيبة ، وفر بعدها الفرعون المصري إلى نباتا (كوش) ، ولم يبق الآشوريين في الصعيد ، وفضلوا العودة الى الدلتا .⁽¹⁾

وبالتالي يمكن القول بان الجيش الآشوري قد حقق عملاً فريداً من نوعه في عهد الملك آشور بانيبال ، و أنهم فتحوا بلداً بعيداً جداً عن موطنهم ، يختلف عنهم في عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم.

وفي هذا السياق لابد أن نذكر بان آشور بانيبال بعد انتصاره قام بإعادة الأمراء المصريين إلى حكمهم اللامركزي وإماراتهم الإقليمية ، وقام بإرسال زعماء الثورة الى نينوى حيث هلكوا جميعاً ، ولم يستثنى الملك الآشوري سوى أمير سايس "نيخاو" . فأبقى عليه وقربه إليه ن وعين ولده بيسماتيك الأول أميراً على مدينة اثريب .

ويمكن أن نفسر سبب قيام الملك الآشوري بانيبال بإبقاء أمير سايس نيخاو ، باعتباره وريث الأسرة الرابع والعشرين المصرية وسليل أكبر منافس لبيت الفرعون طهرقا الكوشي.

أما في مصر فقد خلف الفرعون طهرقا بعد وفاته ابن أخيه تانوت آمون حيث قام هذا الأمير بمحاولة لإعادة سلطان بلاد النوبة على مصرو زحف بجيشه واستولى على طيبة، ثم زحف إلى دلتا ، وحاصر الآشوريين في منف، ظننا منه انه لن يصل إلى الآشوريين مدد ، ولكن جيش آشور بانيبال كان قد زحف إلى مصر في أوائل 663 ق. م.⁽²⁾

وحاصر الجيش الآشوري الفرعون المصري في منف إلا أنه فر إلى طيبة ، حيث تبعه الجيش الآشوري ، ولم يرغب الفرعون المصري تانوت آمون في المقاومة في طيبة وهرب إلى نباتا، وسقطت مدينة طيبة في أيدي الآشوريين بعد مقاومة طفيفة من أهلها ، حيث قام الجيش الآشوري بنهبها وسلبها.⁽³⁾

(1) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 273

(2) سليم حسن: المرجع السابق، ص ص 547-548.

(3) (G) Rachet: dictionnaire de la civilisation égyptienne. op .cit.p 43.



الصورة رقم 20 : توضح حصار مدينة طيبة من طرف الجيش الأشوري

وهذا في عهد الملك الأشوري آشور بانيبال (668-627) ق.م.

إن إحدى النتائج المباشرة لهذه الحملة تهدئة الأوضاع في سوريا ، حيث لم يجرأ أي ملك على معاودة التآمر و التمرد ، و ذاعت شهرة الملك الآشوري آشور بانيبال.

أما في مصر فقد انتهى الاحتلال الآشوري ر بظهور الفرعون الجديد المسمى " بسماتيك الأول" ، حيث أعلن الاستقلال وطرد الحاميات الآشورية من الدلتا ، بمساعدة جند من مرتزقة الإغريق الايونيين ، أما آشور بانيبال فانه لم يفعل شيئاً لأنه كان مشغولاً بحربه ضد عيلام .⁽¹⁾

ومن الأمور التي تجدر الإشارة إليها وقد شددت انتباهي ، أن آشور بانيبال إلى جانب كونه محارباً قوياً ، فانه اهتم كذلك بالعلوم والآداب والفنون ، والقراءة والكتابة ، وانشأ المكتبة الشهيرة في نينوى وأمر بترجمة الألواح الطينية التي اشتملت أكثر علوم وآداب الأقدميين وأساطيرهم ، وكل ما يتعلق بحياتهم ، و بقيت هذه النصوص مخبأة حتى اكتشفها علماء الآثار البريطانيون في نينوى .⁽²⁾

⁽¹⁾ (G) Rachet: dictionnaire de la civilisation égyptienne. Op-cit.p,44.

⁽²⁾ (L) kasson ;libraries in the ancient word ,london ;yale university press,2001,p,9

قائمة الملوك الآشوريين ابتداءً من العصر الآشوري الامبراطوري :

طه باقر :المرجع السابق ،ص 627.

تسلسل	اسم الملك	تاريخ الحكم
99	ادد- نيراري الثاني	911 - 891 ق.م
100	توكليتي- نينورتا الثاني	890 - 884 ق.م
101	أشور -ناصر- بال الثاني	883 - 859 ق.م
102	شلمنصر الثالث	858 - 824 ق.م
103	شمسي- ادد الخامس	823 - 811 ق.م
104	ادد- نيراري الثالث	810 - 783 ق.م
105	شلمنصر الرابع	782 - 773 ق.م
106	أشور- دان الثالث	772 - 755 ق.م
107	أشور- نيراري الخامس	754 - 745 ق.م
108	تجلات بلاصر الثالث	744 - 727 ق.م
109	شلمنصر الخامس	726 - 722 ق.م
110	سرجون الثاني	721 - 705 ق.م
111	سنحريب	704 - 681 ق.م
112	<u>اسرحدون</u>	680 - 669 ق.م

113	<u>أشور -بانيبال</u>	668- 927 ق.م
114	اشور- أطل- ايلاني	624 - 626 ق.م
115	سين- شومو- ليشر	عدة شهور
116	سين- شار- أشكن	؟ - 612 ق.م
117	أشور- أوبليط الثاني	609- 611 ق.م

2- سقوط الإمبراطورية الآشورية:

لم يكد يمضي زمن طويل على تدمير بلاد عيلام من قبل آشور بانيبال عام 639 ق. م، حتى ظهرت الأحوال تشير إلى أن الملك الآشوري نجح في توطيد أركان الإمبراطورية الواسعة من جبال طوروس وجنوبي الأناضول وأرمينيا وبحر قزوين إلى جبال زاغروس إلى الخليج العربي ولكن سرعان ما أنهار ذلك البناء الشامخ ، وكان لسقوط الإمبراطورية أسباب خفية وأخرى ظاهرة :

أ- الأسباب الداخلية:

- من الأسباب الغير مباشرة في سقوط الإمبراطورية هو سياسة الانقلابات العسكرية والاعتقالات داخل الأسرة المالكة ، والتي ميزت خاصة العصر الأخير من تاريخ الدولة الآشورية ، حيث أن بعض الملوك اغتصبوا العرش ولم يكونوا من العائلة الملكية ، كالمملك الآشوري تجلات يلاسر الثالث الذي أتى إلى العرش عن طريق القوة ولم يكن له حق شرعي في الملك ، ولم يكن يعزى إلى عائلة مالكة.⁽¹⁾

و من الطبيعي أن تكون نتيجة اغتصاب الملك تجلات يلاسر الثالث للعرش خسائر مادية وضحايا بشرية من الذين عارضوا خطوته وأرادوا إيقافه .
هذا إلى جانب مقتل أحد الملوك الآشوريين وهو الملك سنحريب على يد أولاده بمساعدة بعض ضباط الجيش الذين أعلنوا العصيان على خليفة والدهم وأخيهم الصغير الملك الآشوري أسرحدون.⁽²⁾

- ونجد سبباً آخر لتدهور قوة آشور وضعفها وهو اتساع إمبراطوريتها الكبير وبعد الكثير من حدودها عن المدن التي اتخذت عواصم رسمية للإمبراطورية (آشور ، كالك ، دورشاروكين ونيوى) ، ففي الوقت الذي كانت فيه بلاد آشور نفسها تقع في الزاوية الشمالية الشرقية بالنسبة

(1) سامي سعيد الأحمد : لماذا سقطت الدولة الآشورية ؟ مجلة سومر ، المرجع السابق ، ص 122.

(2) (F). Jeannes: dictionnaire de la civilisation mésopotamienne, Op.cit ; p82.

لأكثر ممتلكاتها ، وعلى بعد قليل جداً من القبائل الجبلية التي أذاقتها شتى أنواع العذاب ، فقد امتدت ممتلكاتها إلى داخل آسيا الصغرى وشملت سورية وفلسطين وجزءاً من آسيا الصغرى غرباً وشمالاً، وحتى مصر في زمن الملك أسرحدون وأشور بانيبال⁽¹⁾.

- قامت الإمبراطورية الآشورية على قوة الجيش ، و قسوة أساليبه، وكانت الإمبراطورية منذ قيامها تنطوي على سبب الانهيار وهو العنف المبالغ فيه ، وتطرف الملوك الآشوريين في سياسة الغزو والنواحي العسكرية والروح الحربية ،والى جانب ذلك فان سياسة القسوة والتدمير والقتل الجماعي والتنكيل بالأسرى التي سار عليها الملوك الآشوريون قد أدت إلى نقمة الشعوب وسخطها عليهم والسعي إلى التحرر.⁽²⁾

- وبالتالي يظهر بأن أعوام حكم الملوك الآشوريين تكاد تكون حروباً متواصلة ، بحيث أنهم حملوا مواردهم فوق طاقتها، ومدّوا فتوحاتهم إلى جهات نائية يتعذر الاحتفاظ بها ولعل أوضح مثال على ذلك فتح مصر . ومن المشاكل التي واجهها الملوك الآشوريين في العصر الإمبراطوري هي مشكلة إرسال الجيوش إلى الأصقاع البعيدة عن المركز من الإمبراطورية ، ولو كانت العاصمة في مركز متوسط بالنسبة لإمبراطوريتهم المترامية الأطراف لهانت مشكلة النقل والتعبئة والتموين كثيراً، ولأصبح الملوك على قدر أكبر في قمع الثورات بالإضافة إلى وعورة طرق المواصلات⁽³⁾.

وقد ابتدع ملوك الدولة الآشورية وسائل جهنمية لإبقاء الشعوب على ولائها للسلطة الآشورية ، ومنها سياسة التهجير ، فقد أظهرت حويلات الملوك الآشوريين والمنحوتات الآشورية المتنوعة سياسة قاسية جداً ، وهي نقل سكان منطقة بكاملها إلى مكان بعيد عن موطنهم الأصلي ويختلفون في الغالب عن سكانه في اللغة والعادات والتقاليد وما إلى ذلك.⁽⁴⁾

(1) سامي سعيد الأحمد : ، المرجع السابق ، ص 115 .

(2)(D) David lukenbill ARAB, op-cit, PP.146-147.

(3) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ، ص 115 .

(4) (k)Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II 744-705 B .C, CAH,op-cit, P83.

وهناك أمثلة على نقل سكان مناطق برمتها من مدن سورية إلى شمال العراق وأقوام عبرية من فلسطين إلى العراق وما إلى ذلك ، فهذه السياسة بالطبع والتي أجبرت الشعوب التي قاستها على تطبيقها أدت إلى كراهية هذه الأمم الآشوريين، فعملت على التخلص من سيطرتهم بأي صورة .

- وإذا ألقينا نظرة على العصر الأخير من تاريخ الدولة الآشورية ، فإن أهم ما ميزه هو مشكلة ولاية العهد ، وهي من المشاكل التي جرت على الدولة ويلات كثيرة ، ففي الوقت الذي كان الملك الآشوري سنحريب قد عين ابنه أسرحدون -الذي لم يكن هو الابن الأكبر- ولياً للعهد ، وهذا ما أدى إلى إثارة ضغينة أبناءه الآخرين الذين أعلنوا العصيان في وجه الملك الجديد وهو أسرحدون وذلك بعد مقتلهم لأبيهم سنحريب .

كما أن الملك أسرحدون لم يتجنب الخطأ الذي وقع فيه والده بل على العكس أظهر حبه وعطفه على ابنه الأصغر آشور بانيبال طيلة أيام حياته وعينه ولياً للعهد ، وطلب من ابنه الأكبر "شمس-شوم أوكن" أن يطيع كلمة أخيه ويخلص له.⁽¹⁾

وكانت نتيجة تقرب أسرحدون لابنه الأصغر آشور بانيبال عكس ما كان يتوقع فقد بدأت الخصومة بينه وبين أخيه بعد مدة من وفاة والدهما عام 669 ق. م ، والتي وصلت إلى أوجها بالثورة التي أعلنها الأخ الأكبر شمس-شوم أوكن حاكم مقاطعة بابل متحدياً أخيه آشور بانيبال ، وهذه الثورة التي دامت أربع سنوات قد أضعفت آشور وأنهكت قواها .⁽²⁾

- وعند مقارنة المدة التي قضتها الجيوش الآشورية في إخماد ثورة بابل والتي دامت أربع سنوات مع المدد التي كانت تقضيها على حروبها الأخرى ، نستنتج بأنها أخذت مدة طويلة للغاية ، مما يدل على حدتها وشدتها ، فلقد تفرغت الجيوش الآشورية لها ، ووجهت كل قواها لحرب بابل طيلة سنوات عصيانها الأربع.

- إن كثرة الحملات العسكرية وتتابعها لإخماد الثورات المتعددة وأحياناً المتعاقبة في البلد الواحد على طول حدود الإمبراطورية الواسعة وتخصيص جيش دائم للحفاظ على ممتلكات الإمبراطورية،

⁽¹⁾ (G)eorges Rouse : La mésopotamie , opcit , P 369 , PP 372-373 .

⁽²⁾ (M) vieyra : Les assyriens , op-cit, P38 .

كانت تستلزم أموالاً طائلة ، مما شكل عبئاً ثقيلاً على الخزينة الآشورية⁽¹⁾.

ب - الأسباب الخارجية:

لقد رأينا في الفصلين السابقين كيف أن الظروف الجيوسياسية للمنطقة في القرن العاشر قبل الميلاد ، قد ساعدت آشور في الظهور كإمبراطورية ، كما أن الظروف الجيوسياسية للمنطقة في القرن السادس كانت هي أيضا السبب في سقوطها.

ومهما كانت حقيقة الأسباب الداخلية في سقوط الإمبراطورية الآشورية فيجدر بنا ذكر الأسباب الخارجية ، حيث ظهرت في القرن السابع قبل الميلاد وقبل سقوط آشور ، قوى دولية هامة في أرمينيا و آسيا الصغرى كالكيريين والسكثيين، حيث تحركت هذه الشعوب في عالم الشرق الأدنى القديم ، وتعرضت آشور نفسها لنتائج تحركاتهم ، ووصلت طلائعهم إلى إفسوس من بحر ايجيه.⁽²⁾

- ظهور قوة الميديين :

تتابعت الأحداث فيما حول بلاد النهرين ، ففي شرقها ظهر الماديون (وهم من سماهم الإغريق باسم الميديين) ، وهم من الفروع الإيرانية ذات الأصل الآري ، وقد نجح الماديون في تحقيق كياناتهم المستقل في عام 708 ق . م بزعامه "دايوكو" ، واتخذ "إكباتانا" وهي همدان الحالية عاصمة له .

ومن الطبيعي أن لا ترضى آشور عن انفصال مادي (عيلام سابقا) عنها ، في عهد الأسرة السرجونية القوية فتكرر الصدام بينهما ، ولكن قضاء الآشوريين على مملكة عيلام في عهد الملك آشور بانيبال عام 639 ق. م ، أراح الماديين من منافسيهم الخطرين في جنوب إيران الذين قاوموا رغبتهم في الاتساع ناحية الجنوب ، وبالتالي فقد اشغل الماديون الجبال الجنوبية الغنية بمعادنها وأحجارها الكريمة ، كما استغلوا مزارع السفوح والوديان في بناء اقتصادهم ، ولكنهم ظلوا أقل من الآشوريين.⁽³⁾

(1) برهان الدين دلو : تاريخ مصر والعراق ، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي الثقافي والسياسي ، المرجع السابق ، ص 244.

(2) فرج بصمحي : أقوام الشرق الأدنى القديم ، مجلة سومر ، ص 99

(3) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ص ، 546-547.

وما يشد إنتباه الباحث هو أنه بعد أن اهتزت أركان الإمبراطورية الآشورية بطرد حاميتهم من مصر ، وانفصال أغلب ولايات سوريا عليهم و حدوث الانقسامات الداخلية ، عقب وفاة الملك القوي آشور بانيبال عام 627 ق.م، فقد إنفسح المجال أمام الماديين ، حيث أستطاع "كي إخسار" توحيد كل الشعوب الإيرانية القديمة تحت زعامته.

ونتيجة لتوحيد الملك كي إخسار لجميع الشعوب الإيرانية القديمة فقد استطاع تكوين جيش قوي ضخم ، ووسع حدود مملكته من بحيرة أورمية إلى منطقة طهران وبلاد فارس ⁽¹⁾.

كما زحفت الجيوش المادية في نهاية عام 615 قبل الميلاد على منطقة كركوك ثم مدينة آشور التي سقطت عام 614 ق.م. ⁽²⁾

وصادف في حدود ذلك الزمن أن البابليين استأنفوا محاولتهم الاستقلال و التخلص من التبعية الآشورية ، وتزعم الحكم البابلي الجديد كلداني يدعى "نابوبولاصر " 626-604 ق.م ، يحتمل أن يكون ولدا لأمير يدعى كاندالونو عينه آشور بانيبال على بابل بعد مقتل أخيه ، وعمل قائداً في الجيش الآشوري وحاكما على الأقاليم الجنوبية ، و أما بنوبولاصر فقد زحف على بابل وتولى عرشها ، وذلك بعد تفكك أواصر البيت الآشوري الحاكم عقب وفاة الملك آشور بانيبال ⁽³⁾

وبالتالي يتضح لنا بأن ازدياد حقد البابليين الكلدانيين بعد الانتقامات العنيفة التي ألحقها الآشوريون بهم ، قد أدى بهم إلى استغلال الظروف الداخلية والخارجية المحيطة بأشور ، وتأسيس أسرة كلدانية قوية .

وتجدر الإشارة في نفس المقام إلى أن الجيوش الملك البابلي نبوبولاصر قد اشتبكت مع الآشوريين في قابلينوا و مادانو وعلى نهر الزاب وحول العاصمة آشور نفسها ، وفي تكريت ، ولكن دون نتائج حاسمة لأحد الطرفين. ⁽⁴⁾

⁽¹⁾ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، المرجع السابق ، ص ص، 529-528 .

⁽²⁾ (C-j).Gadd : the fall of nineveh, the newly discovered babylonian chronicle n° 2 1901, in the british museum , syria : 1924 , p 258, [http : //www.persee.fr.20/10/2014/14 :00](http://www.persee.fr/20/10/2014/14:00).

⁽³⁾ (f) Joannes : dictionnaire de la civilisation méopotamienne, op-cit ; p.760.

⁽⁴⁾ عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص 547.

الحلف الميدي البابلي :

في ظل الظروف الجيوسياسية الجديدة التي أحاطت بآشور ، اتجه كل من الطرفين القريبين منها والطامعين فيها ، أي (الكلدانيين والميديين) ، بعد أن أيقنا أنه لا قبل لأحدهما منفرداً أن يهدم لآشور ، فإنه عقدت مابين الملكيين "كي إخسار " و "نابوبولاصر" معاهدة تحالف وصداقة ، كان من نتائجها زواج ولي العهد البابلي " نبوخذ نصر" الشهير مع ابنة الملك الميدي "كي إخسار"⁽¹⁾.

ونتيجة لتحالف الملكين الكلداني والميدي فإن ذلك أدى إلى تكوين جيش ضخم زحف على العاصمة نينوى وكان الهجوم الأخير عام 612 قبل الميلاد، فقد قرر مصير الدولة الآشورية حيث سقطت العاصمة العظيمة نينوى.⁽²⁾

و رغم ما أبداه المدافعون الآشوريون من بسالة واستماتة في حصار دام طوال ثلاثة أشهر ، حيث قتل خلالها الملك الآشوري "سين شار -إشكن " الذي أحترق في قصره ، إلا أن الآشوريين لم يستسلموا وتحصنوا في حران بقيادة آشور أو باليط الثاني أحد قادة الملك الآشوري سين شكار أشكن ، وكانت حران عصبا رئيسياً لأحد الطرق التجارية الكبيرة في بلاد النهرين ، ولكن مالبث الآشوريون حتى أخلوها تحت ضغط البابليين والميديين وتركوا حامية بها وذلك حوالي عام 610 ق.م ، ثم حاول آشور أو باليط الثاني أن يجرب حظّه للمرة الأخيرة فاستعان بجيش مصري لمساعدة الآشوريين ، فأسرعت الجيوش البابلية والميدية إلى حران ، وبعد حرب قصيرة استولت عليها ، وهكذا سقطت الإمبراطورية الآشورية.⁽³⁾

(1) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص 548.

(2)(C-j).Gadd : the fall of nineveh, the newly discovered babylonian chronicle op-cit ;p258.

(3) (f) Joannes: dictionnaire de la civilisation méopotamienne ,op-cit ; pp.760-761.

ومما سبق عرضه يمكننا القول بأنه انتهى دور الآشوريين في حكم العراق القديم بعد أن أثبتوا أنهم كانوا أعنف قوة عسكرية منظمة شهدتها الشرق الأدنى القديم حتى عصرهم ، وبعد أن ضربوا المثل في شؤون القتال وأساليب العنف لجيرانهم العيلاميين ولأسيما الميديين ، وبعد أن شتتوا جهودهم بتوسيع أملاكهم إلى آفاق بعيدة يصعب الاحتفاظ بها، و ما نتج عن ذلك من إنهاك للمؤسسة العسكرية الآشورية، ولعل أوضح مثال احتلال مصر، كما أنهم أثاروا حقد شعوب بقية بلاد النهرين عليهم ، وإصرارهم على إذلال بابل والسيطرة عليها ، وهذا كله كان سبباً في سقوطها.

خاتمة

خاتمة

بعد دراستي لموضوع آشور في ظل التغيرات الجيو سياسية للمنطقة فيما بين القرنين 12- 07 ق.م يمكنني تسجيل بعض النتائج :

1- لم تكن بيئة آشور عبارة عن وحدة جغرافية متكاملة ، فقد كانت هناك فروق بارزة ذات علاقة بالأرض و التضاريس موجودة بين كل جزء من أجزاء هذا الأقليم ، أما من ناحية السكان فهناك اختلاف حول أصل الآشوريين والأجماع هو أنهم من شعبة سامية هاجرت من شبه الجزيرة العربية الموطن الأصلي للساميين و استقروا بشمال العراق منذ بداية الألف الثالثة قبل الميلاد وبالتالي فالآشوريون ليسوا بالأقوام الأجنبية عن معظم سكان العراق القديم كما يعتقد بعض الباحثين .

و قد كانت البدايات الأولى للآشوريين مضطربة جدا نظرا لكثرة حروبهم مع جيرانهم جنوبا، فقد خضعوا للسيطرة المهيمنة لكل من السومريين و الأكاديين، ثم خضعوا لملوك أسرة أور الثالثة وأسرّة بابل الأولى وأصبح أمراءهم تابعين لهذه القوى ، وبغض النظر عن الجانب السياسي فان التاريخ يخلد نشاطهم التجاري خلال المرحلة الأولى من العصر الآشوري وقد تمثل في حركة واسعة من الصلات التجارية بين بلاد آشور و بلاد الأناضول ، إذ عثر المنقبون على العديد من النصوص في أطلال المستوطنات التجارية الآشورية بكبادوكيا.

2 - تغيرت الأوضاع الدولية في النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد ، فبعد ان كانت القوى الدولية الأساسية المسيطرة على العالم القديم هي دولة ميتاني ، بابل الكاشية ،الإمبراطورية الحيثية و الإمبراطورية المصرية ،بدأت تظهر السمات المميزة للدولة الآشورية منذ عهد الملك الآشوري "آشور أوباليط الأول" الذي حكم في الفترة ما بين 1330-1365 ق .م ،و تصفه الحوليات بالحنكة والخبرة السياسية والإدارية ، صفات إيجابية مكنت هذا الملك من إقامة علاقات دبلوماسية مع الإمبراطورية المصرية ومع بابل في العهد الكاشي ، لكن الأهم من كل ذلك هو إنشاء جيش نظامي قوي كان أساس الدولة الفتية .

و قد ساعد الدولة الناشئة " آشور " الظروف الدولية ، إذ تسببت تحركات شعوب البحر ابتداء من القرن الثاني عشر قبل الميلاد في انتشار الفوضى في رقعة واسعة من العالم امتدت من بلاد اليونان غربا حتى بلاد النهرين شرقا ومن شمالي الأناضول حتى سواحل مصر جنوبا ، فانهارت قوة الإمبراطوريات و الممالك المعادية لآشور ومنها المملكة الكاشية في بابل ، فقد سادها الاستقرار نسبيا في بدايتها و مع مرور الزمن تولى العرش ملوك ضعفاء كانوا السبب في ظهور الخلافات داخل الأسرة الحاكمة، مما سهل مهمة الدولة الآشورية الناشئة في القضاء عليها. و قد كان من نتائج وقف النزاع بين المصريين والحيثيين عودة الهدوء والسلام في الشرق الأدنى القديم لفترة قصيرة ذلك ، وقد أضعفت وفاة الملك "حاتوسلي الثالث " الإمبراطورية الحيثية وجعلتها عرضة للضغوطات الآشورية وخاصة في عهد الملك "توكلتي نينورتا الأول". وإذ كان الموقع الاستراتيجي لفلسطين قد جعلها تتميز بالغنى الحضاري وحوّ لها مهدا للحركات الاستيطانية و مركزا لاستقرار الجماعات المهاجرة من كافة أنحاء الشرق القديم، فقد جعلها في الوقت نفسه مسرحا للصراعات الكبرى ومنها تعرضها لهجمات ملوك الدولة الآشورية أمام تراجع القوة المصرية وتقلص نفوذها في بلاد سوريا، إذ أدى ضعف من تولى عرش الفراعنة من الرعامسة بعد رمسيس الثالث إلى سوء إدارة البلاد، وتدهور الحالة الاقتصادية، فكثر الاعتداءات على حرمة المقابر الملكية، وزاد في نفس الوقت نفوذ كهنة الإله أمون رع وطغيانهم.

و بالتالي فإن الظروف الجيو سياسية للمنطقة قد تغيرت تماما ابتداء من القرن العاشر قبل الميلاد لصالح آشور فأضحت أقوى دولة في الشرق الأدنى القديم .

3 - عرفت حياة الآشوريين السياسية الكثير من الصعوبات بسبب كثرة حروبهم مع جيرانهم الكاشيين والحيثيين و كان لهذا الصراع فوائد ، فقد تبلور لديهم مخطط سياسي وحربي واضح و طوروا الفن العسكري إلى أرقى ما كان معروفا في ذلك الوقت من حيث التدريب والتسليح وتنوع فنون القتال .

و تميز الملوك الآشوريين بإدارة حكيمة ، إذ تدرجت المناصب فيها ووزعت المهام بشكل دقيق بما يتناسب مع احتياجات الدولة، وقد عين الحكام والمساعدون على كل مقاطعة تابعة للسيادة الآشورية ، وضم الجيش صفوفًا مقاتلة وأخرى مساعدة إضافة إلى التابعين ممن كانت لهم مهام إدارية بحتة ، أما الأصناف المقاتلة فضمنت القطاعات التي كانت تشارك فعلا في القتال ، وكانت تتألف من المشاة والمركبات والخيالة وآلات الحصار الضخمة .

و انطلاقًا من هذه المؤسسة المتينة الأركان خاضت الجيوش الآشورية معارك في ظروف مناخية وبيئات طبيعية متباينة ، فقد حاربوا في مناطق سهلية و جبلية وأيضًا في مناطق مليئة بالاهوار والمستنقعات ، وكان ذلك مع أقوام مختلفين عرقيا وحضاريا وهذا ما كان له أثره في زيادة خبرة قادة وضباط الجيش واكتسابهم مع جنودهم قدرات قتالية عالية وتدريبًا عمليًا جيدًا. وإلى جانب التفوق المادي ، طبق الملوك الآشوريون أداة سياسية فعالة ألا وهي مبدأ الحرب النفسية التي قصد بها تخفيف الحاجة إلى العمل العسكري الفعلي، وذلك من خلال الدعاية وإظهار القوة العسكرية التدميرية الشاملة لأشور من تنكيل بالسكان، وإعدامهم جماعيا وتدمير مدنهم وسلب حكاهم وغير ذلك من الفظائع.

وكانت سياية التهجير واسعة في الإمبراطورية الآشورية في عهدها الحديث وكان الهدف الأساسي من هذه العملية هو الاستفادة من الموارد البشرية كاليد العاملة لبناء - الدولة لأخذة في الاتساع فضلا عن محاولة الآشوريين على إلغاء الشعور القومي لدى الشعوب الخاضعة لهم والتي حاولت كثيرا التمرد على السيادة الآشورية ، فكانت سياسة التهجير بذلك شكلا من أشكال العقوبة ضد المجتمعات التي حاولت التكتل ضدها.

4 - شهدت بداية الألف الأول قبل الميلاد انتقال النزاع بين الآشوريين والآراميين إلى بلاد سوريا و هذا في الفترة الممتدة ما بين 911-612 ق . م وذلك بحملات عسكرية متتابعة للملوك الآشوريين وكان الهدف الأساسي منها كسر الطوق الآرامي والرغبة في الاستفادة من موارد بلاد سورية الغنية والسيطرة على الطرق التجارية والوصول إلى ساحل البحر المتوسط .

وعلى الرغم من التفوق العسكري الأشوري ، فقد اكتفوا في البداية بمجموعة من الحملات الهادفة للحصول على الموارد المادية للمنطقة فقط ، ثم بدؤوا يخضعون مناطق بأكملها لسيطرتهم وذلك بتحويلها إلى مقاطعات آشورية وتعيين حكام محليين تابعين لهم.

سيطر الآشوريون على مساحات واسعة ومناطق مختلفة ، فاضعوا عناصر بشرية غير متجانسة حاولوا مزجها و عومل الكثير منهم معاملة قاسية، وهذا ما سبب للكثير منهم استياء إتجاه الدولة الآشورية ،فرغم العظمة التي وصل إليها الآشوريون إلا أن الشعوب التي كانت تنن تحت النير الأشوري أخذت تتحالف مع الميديين والكلدانين لإضعاف الإمبراطورية الآشورية والانفصال عنها.

وما يمكن أن نختم به هو أن أهم أسباب انهيار هذه الإمبراطورية هو اعتماد الآشوريين على سياسة القمع العسكري و إجبار الشعوب المغلوبة على الإلتحاق بالجيش الأشوري مما أدى إلى تقسخ وحدة الشعور القومي للآشوريين . فضلا عن الصراعات التي حدثت بين الأسرة الحاكمة الآشورية وما جره على السلطة من اضطراب وضعف بالإضافة إلى أسباب أخرى جعلت الشعوب المغلوبة على أمرها تعتبر أن الجيش الكلداني الذي أخذ يضم المناطق الآشورية هو جيش الخلاص والتحرر من التسلط الأشوري. وهكذا أخفقت سياسة القمع التي انقلبت على الإمبراطورية وأدت إلى سقوطها.

البيلىو غرافية

ببليوغرافية البحث

1- المصادر الدينية

العهد القديم: الاسكندارية : كنيسة الأنبا-تكلا هيمانوت، د.ت.

2- قائمة المصادر الأثرية

- David Daniel Luckenbill; ancient record of assyria and babilonia. VI, Chicago, the university press, 1926.
- Wallis Budge: a guide to the Babylonia and Assyrian antiqites, scond edition, London: printed by ordre of the teustees, 1908.

3- قائمة المصادر الكلاسيكية

- Herodote: Histoire, livre 1, établi et traduit par PH. Legrand, Paris: société d'édition les belles lettres, 1946.
- Hérodote : Histoires, livre 2, établis et traduit par. PH Legrand, Paris : société d'édition les billes lettres, 1982.
- Herodote: Histoire, livre III, établi et traduit par PH. Legrand, Paris: société d'édition les belles lettres, 1939.
- Josephe Flavus : les juifs, histoires ancienne des juifs, la guerre des juifs contre les romains, anhographie, livre I, Paris: édition lidis, 1982.
- Strabon : Géographie de Strabon, livre 16, traduit par Amédée Tardieu, Paris : librairie de hachette, 1867.

4- قائمة المراجع بالعربية :

- أحمد علي عبد اللطيف: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، القاهرة: مكتبة الإسكندرية، 1977.
- أحمد علي عبد اللطيف: محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت: مكتب كريدي أخوات، د.ت.
- أديب سمير: تاريخ وحضارة مصر القديمة، د.ك. مكتبة الإسكندرية، 1997 .
- اسماعيل حلمي محروس : الشرق العربي القديم و حضارته بلاد ما بين النهرين و الشام و الجزيرة العربية القديمة ،الأسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، 1997 .
- إيمار أندريه ،جانين أوبوايه، تر: فريد داغر، فؤاد أبو ريحان: تاريخ الحضارات العام (الشرق و اليونان القديمة)، ط.2، مجلد 1، بيروت: منشورات دار عويدات، 1986 .
- الدبس يوسف ، تر: مارون رعد: تاريخ سورية الدنيوي و الديني (تاريخ شعوب سورية القدماء)، ج.1، د.ك، دار نظير عبود، 1994 .
- الذنون العبد الحكيم: تاريخ الشام القديم، ط.1، دمشق: دار الشام القديمة للطباعة والنشر، 1999
- الذانون عبد الحكيم : الذاكرة الأولى ، ط. 2 ، دمشق : دار المعرفة ، 1993 .
- القواسمي ابراهيم عبد الرزاق : دراسات في تاريخ المشرق العربي القديم منذ أقدم العصور حتى 539 ق م ، ط . 1 ، ليبيا : منشورات جامعة المسيرة الكبرى ، د . ت .
- القيم علي: إمبراطورية إبلا، ط1، دمشق: مؤسسة الشبيبة للإعلام والنشر، 1989.
- الماجدي خزعل: إنجيل بابل، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994.
- الهاشمي تغريد جعفر ،حسن الحسين عكلا :الانسان تجليات الأزمنة ،تاريخ و حضارة بلاد الرافدين ،الجزيرة السورية ، ط.1 ، دمشق : دار الطليعة الجديدة ، 2001.
- باقر طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة 1986 .

- بريستد جيمس هنري ، تر : أحمد فخري : انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم ، القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية ، 1963 .
- بريستد جيمس هنري ، تر: داود قربان: العصور القديمة، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1983 .
- بريتشارد جيمس ، تر: عبد الحميد زايد: نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم، ج.1، القاهرة: مطبعة هيئة الآثار المصرية، د.ت.
- توينبي أرلوند ، تر: نقولا زيادة: تاريخ البشرية، ج.1، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1981.
- جاب الله على جاب الله: أم الحضارات ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999.
- جعفر الهاشمي تغريد ، حسن حسين عكلا: الإنسان تجليات الأزمنة، تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، الجزيرة السورية، ط1، دمشق: دار الطليعة الجديدة، 2001 .
- خان ظفر الإسلام: تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط.1، بيروت: دار النفائس، 1978.
- دلو برهان الدين: تاريخ مصر و العراق .التاريخ الاقتصادي الاجتماعي الثقافي و السياسي، ط.1، بيروت : دار الفارابي للنشر، 1989 .
- ديلابورت، تر: محرم كمال: بلاد ما بين النهرين، الحضارة البابلية والأشورية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997 ..
- ديورانت ول ، تر: محمد بدران: قصة الحضارة، ج.2 ،المجلد1، القاهرة: مطابع الدجوى، 1971 .
- رزقانة إبراهيم أحد،شكري محمد أنور و آخرون:حضارة مصر و الشرق القديم دار مصر:دار مصير للطباعة،د.ت.
- زايد عبد الحميد:الشرق الخالد مقدمة في تاريخ و حضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 قبل الميلاد،القاهرة:دار النهضة العربية،1966.

- ساغر هاري ، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور، ط.1، دمشق: دار علاء الدين للطباعة و النشر، 2003 .
- سليم أحمد أمين: تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، 2000 .
- سليم أحمد أمين: دراسات في تاريخ العراق القديم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، دبت .
- سليمان توفيق : دراسات في حضارات غرب آسية القديمة من أقدم العصور الى عام 1190 ق. م ، ط.1 ، دمشق : دار دمشق ، 1885 .
- سليمان عامر: العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري)، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1993.
- سعيد حبيب: أديان العالم، القاهرة: دار التأليف و النشر للكنيسة – الأسقفية، دبت .
- سمكوغ برزج : الشركس في فجر التاريخ ، ط . 1 ، دمشق : مطبعة طربين ، 1995 .
- صالح عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم، ج.1، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1973 .
- ظاظا حسن: ساميون و لغاتهم تعريف بالقرابات اللغوية و الحضارية عند العرب ، ط.2، دمشق: دار القلم، 1990.
- عبد علي رمضان: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، ج.2، ط.1، القاهرة: دار نهضة الشرق للطباعة، 2002
- علي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط.2، ج.1، بغداد: مكتبة نبيراس الصفل التاريخية، 1993.
- فرح نعيم: موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. دمشق: دار الفكر للنشر،

- فيفر فرانسيس ، تر: فاطمة بهلول: الفرعون الأخير رمسيس الثالث أو زوال حضارة عريقة دمشق: دار الحصاد، دبت.
- قرزات محمد حرب ، عيد مرعي: دول وحضارات المشرق القديم، (سومر وأكاد، بابل، وأشور، أمورو و آرام) ، ط.2، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994.
- كلينكل هورست ، تر : محمد وحيد خياطة: حمورابي البابلي وعصره، ط.1، دمشق، دار المنارة للدراسات والترجمة، 1990.
- كوفاليف دياكوف ،تر: نسيم واكيم البازجي: الحضارات القديمة، ط.1، ج.1، دمشق: منشورات دار علاء الدين، 2000 .
- كونتينو جورج ، تر: محمد عبد الهادي شعيرة: الحضارة الفينيقية، القاهرة: مركز كتب الشرق الأوسط ، 2001 .
- لويد سيتيون ،تر : محمد طلب : آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ط.1، دمشق : دار دمشق، دبت .
- مارغرون جان كلود ،تر: سالم العيسى: السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين سورية الشمالية، ط.2، دمشق: منشورات دار علاء الدين، 2006 .
- محمد علي عبد اللطيف : سجلات ماري و ما تلقيه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري من حوالي 1850 -1760 ق م ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2000 .
- محمد نبيلة : معالم العصر التاريخي في العراق القديم ، الاسكندرية : دار المعارف ، 1983 .
- ملومات أبراهام ، حليم تدمور،تر: رشاد الشامي: العبرانيون و بنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية و الاكتشافات الأثرية ، ط .1، القاهرة :المكتب المصري لتوزيع. المطبوعات، 2001.
- مهران محمد بيومي: تاريخ السودان القديم، ط.1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1994.
- مهران محمد بيومي: تاريخ العراق القديم، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990.

- مورتكات أنطوان ، تر: توفيق سليمان: تاريخ الشرق الأدنى القديم، دمشق: مطبعة الإنشاد، 1967 .
- موسكاتي سبتيانو ، تر: يعقوب بكر: الحضارات السامية القديمة، بيروت دار الرقي، 1986.
- ولسون جون ،تر:احمد فخري:الحضارة المصرية، القاهرة: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ت.

5 - قائمة المراجع باللغة أجنبية :

- Bottero (J) : l'popeé de gilgamés le grand homme qui ne voulait pas mourir, France : édition Gallimard, 1992.
- Cheng (J), Marian (F) : Ancient near estern art in context, Boston : brill leiden, 2007.
- Contenau (G) : Les civilisations anciennes du Proche-Orient, Paris : press universitaires de France, 1945.
- Garelli (P) : le proche - Orient asiatique. Les empires mésopotamians Isrél ,1 er édition, press universitaire de France , paris : 1974 .
- Grimal (N) : histoire de l'Egypte ancienne, France imprimé, 1988
- Hallo (W), William kilty Simpson : the ancient near East history, second édition, New York : Harcourt brace collège Publisher, 1998.
- Healy (M) : the ancient assyrians, 1 er édition, Oxford : osprey publishing elms, 1991.
- kasson (L) : libraries in the ancient word, London : yale university press, 2001.
- Leick (G) : In the ancient near east,London : routledge,2002.

- Lod (A) : Les prophètes d'israël et les débuts du judaïsme, l'évolution l'humanité, Paris : édition albin michel ,1969 .
- Macqueen (J- G) :les hittites aux origines de la turque ,pour l'éditio française ,armand colin éditeur ,1985 .
- Mcintosh (J): Ancient mésopotamia New persectives, oxford : santa barbara, denver colorado, 2005.
- Mierop (M- V) : Cuneiform texts and the writing of history, London : Routledge, 1999.
- Montet (P) : L'Egypte au temps des Ramsès, Paris: département hachette référence, 1991.
- Morgueron(J-C) : la Mésopotamie le temps et l'espace, T1, Paris ; armand colin éditeur, 1991.
- Roux (G) : La Mésopotamie, Paris: seuil, 1995.
- Roux (G) : ancient iraq, third edition, London : reprinted in penguin books ,1992 .
- Russell(J.M) : sennacheribs place without rival at nineveh,Chicago : the university of Chicago, 1991.
- Vieyra (M) : Les Assyriens, France : édition de Seuil, 1952.
- Westbrook (R) : a history of ancien near estern law, VI, Beston : brill leiden, 2003.

6 - قائمة الدوريات باللغة الأجنبية :

- Brinkman J.A. : Babylonia in the shadow of assyria (747-626) , the combridge ancient history, VIII, part2, New York : combridge university press,2008
- Faulkner. R: Egypt from the inception of the ninetteeth dynasty to the death of ramesses III, the combridge ancient history VII, part2, combridge university press, 2008.
- Grayson Kirk: Assyrian civilisation, the Cambridge ancient history, V.III, part 2, New York ; combridge university press, 2008.
- Grayson Kirk : Assyria:sennacherib and esarhaddon(704-669)B.C ,the combridge ancient history,VIII ,part.2, combridge university press,2008.
- Grayson Kirk : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705) BC , the combridge ancient history, VIII, part2, new York : university press,2008.
- lewy Hildegard : Anatolia in the old assyrian pèriod, the combridge, ancien history, v1, part2, new york :combridge university press,2008.
- Munn -Rankin: Assyrian Military power 1300-1200 B.C, the combridge ancient history, VII .Part 2, United kingdon : Combridge university press ,2008.

7 - قائمة الدوريات باللغة العربية:

- الأحمدي سامي سعيد: لماذا سقطت الدولة الآشورية ؟ مجلة سومر، ج (1 و 2)، المجلد 27، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1971م
- الامين محمود: تعليقات تاريخية على حملة سرجون الثامنة، مجلة سومر، ج. 2، المجلد 5، بغداد: مديرية الآثار القديمة العامة . 1949.
- باقر طه: ديانة البابليين والآشوريين، مجلة سومر، ج. 2، المجلد 2، بغداد: مديرية الآثار العامة القديمة . 1946.
- باقر طه: علاقات العراق القديم، مجلة سومر، ج. 1، المجلد 4، بغداد: مديرية الآثار القديمة العامة، 1948.
- بصمجي فرج: أقوام الشرق الأدنى القديم، مجلة سومر، ج. 1، المجلد 3، بغداد: مديرية الآثار القديمة العامة، 1947.

8 - قائمة الموسوعات :

- الدباغ تقي وآخرون: الثورة الزراعية والقرى الأولى، موسوعة حضارة العراق، ج. 1، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1985.
- حسن سليم: نهاية عصر الرعامسة و قيام دولة الكهنة بطيبة في عهد الأسرة الواحدة و العشرين، موسوعة مصر القديمة ،شركة نهضة مصر للطباعة و النشر. 2001 .
- حسن سليم : تاريخ مصر و السودان من أول عهد بيبنخي حتى نهاية الأسرة الخامسة و العشرين و لمحة في تاريخ آشور، موسوعة مصر القديمة ، ج 11، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.
- رشيد فوزي وآخرون: الجيش والسلاح، موسوعة حضارة العراق، ج. 2، بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1985.
- سرحان سمير، صليحة أحمد و آخرون: الموسوعة الأثرية العالمية ، ط 2، د. ك: مطابع الهيئة المصرية للكتاب . 1997 .

- شاكِر محمود: موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة، ج.1، ط.1، الأردن: دار أسامة للنشر و التوزيع، 2008.
- عامر سليمان وآخرون: التراث اللغوي، موسوعة حضارة العراق، ج.1، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1985.
- هلال هيثم: موسوعة الحروب، ط2، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، 2008.

9 - القواميس و الأطالس باللغة الفرنسية :

- Joannes(f) : dictionnaire de la civilisation méopotamienne. Paris: ed : Robert laffont .S.A .2001.
- Rachet (G): dictionnaire de la civilisation égyptienne, Paris: éditions françaises, 1992,
- Road (M) : Atlas de la Mésopotamie et du Proche-Orient ancien, Brépols : édition français, 1991.

10- قائمة المذكرات الجامعية :

- الحمداني ياسر هاشم حسين علي: وسائط النقل في العراق القديم، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الموصل، 2002 .
- العقون أم الخير : الليبيون و تأسيسهم الدولة في مصر الفرعونية، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2003-2004 م.
- بقة بالخير: أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر وبابل 3200-539 ق.م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، 2008-2009.
- جمال الدين يعقوب دانييه: سياسة الدولة الأشورية الحديثة في بلاد الشام ما بين (911-610 ق.م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الشرق القديم، جامعة دمشق، 2008-2009.

11 – الوييوغرافيا :

- Gadd . C. j: the fall of nineveh, the newly discovered babylonian chronicle n° 2 1901, in the british museum, syria:1924, [http :
www.persee.fr](http://www.persee.fr). 20/10/2014 - 14:00.

- Malbran florence: L'armée et l'organisation militaire de l'assyrie sous les sargonides , daprès les lettres trouvées à ninive: www.persee.fr.
06/01/2015 - 09 :30

الفهارس

فهرس الوسائل التوضيحية :

الخريطة 01: تضاريس بلاد آشور ومواقعها الأثرية الهامة.	الصفحة 33 من المذكرة	أحمد علي عبد اللطيف: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، القاهرة: مكتبة الإسكندرية، 1977.
الخريطة 02: توسع الدولة الآشورية على حساب بابل الكاشية وميثاني وحيثا حوالي القرن العاشر قبل الميلاد.	الصفحة 79 من المذكرة	قرزات محمد حرب ، عيد مرعي: دول وحضارات المشرق القديم، (سومر وأكاد، بابل، وأشور، أمورو و آرام) ، ط.2، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994، ص، 158.
الخريطة 03: توضح بعض مدن غرب سوريا التي استولى عليها ملوك الامبراطورية الآشورية	الصفحة 169 من المذكرة	جمال الدين يعقوب دانييه: سياسة الدولة الآشورية الحديثة في بلاد الشام ما بين 911-610 ق.م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الشرق القديم ، جامعة دمشق، 2008-2009.
الخريطة 04: مناطق توسع الامبراطورية في القرن السابع قبل الميلاد .	الصفحة 199 من المذكرة	قرزات محمد حرب ، عيد مرعي: دول وحضارات المشرق القديم، (سومر وأكاد، بابل، وأشور، أمورو و آرام) ، ط.2، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994، ص، 198.
الشكل 01: مخطط لمدينة آشور المبنية على مرتفع عند نقطة التقاء فرعي نهر دجلة.	الصفحة 16 من المذكرة	لويد ستيون ، ت. محمد طلب : آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي ، ط.1 ، دمشق : دار دمشق ، دبت ص، 247.
الشكل 02: نماذج من فخار تل حسونة تبين مراحل تطوره.	الصفحة 29 من المذكرة	أحمد علي عبد اللطيف: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، القاهرة: مكتبة الإسكندرية، 1977، ص، 54.

الشكل 03: نماذج من انتاج حضارة جرمو وتتضمن الأواني الفخارية .	الصفحة 30 من المذكرة	سليم أحمد أمين :تاريخ العراق – ايران – آسيا الصغرى، الاسكندرية :دار المعرفة الجامعية ، 2000 ص ص،85-86.
الشكل 04: نماذج من انتاج حضارة حلف .	الصفحة 32 من المذكرة	أحمد علي عبد اللطيف: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، القاهرة: مكتبة الإسكندرية، 1977، ص،65.
الصورة 01: تمثال للملك الأكادي نارام- سين.	الصفحة 37 من المذكرة	Cheng (J), Marian (F) : Ancien near eastern art in context, boston : brill leiden, 2007, p, 293.
الصورة 02: توضح ملك إسرائيل جيحوا ساجد أمام الملك الأشوري شلمنصر الثالث (858- 824 ق.م.	الصفحة 88 من المذكرة	Mcintosh (J): Ancient mésopotamia New persectives, oxford : santa barbara, denver colorado, 2005, p ,99.
الصورة 03:تمثل أحد أصناف المشاة المسلحين بالأسلحة الخفيفة.	الصفحة 105 من المذكرة	Healy (M) : the ancient assyrians, 1 er édition, Oxford : osprey publishing elms, 1991, p, 26.
الصورة 04:تنظيم صفوف المشاة أثناء الحروب.	الصفحة 106 من المذكرة	Healy (M) : the ancient assyrians, 1 er édition, Oxford : osprey publishing elms, 1991, p, 26.
الصورة 05: تنظيم صنف الخيالة و العربات.	الصفحة 108 من المذكرة	Healy (M) : the ancient assyrians, 1 er édition, Oxford : osprey publishing elms, 1991, p, 60.

Wallis Budge: a guide to the Babylonia and Assyrian antiqites, scont edition, London: printed by ordre of the teustees, 1908, p, 36.	الصفحة 109 من المذكرة	الصورة 06: عبارة مسيرة الجيش الأشوري يظهر صنف الخيالة و العربات أما في الجزء العلوي هي عملية تسجيل الغنائم وهذه النقوش تعود للملك شلمنصر الثالث 858 – 824 ق. م.
Wallis Budge: a guide to the Babylonia and Assyrian antiqites, scont edition, London: printed by ordre of the teustees, 1908, p, 08.	الصفحة 111 من المذكرة	الصورة 07: حصار المدن واستعمال آلات الحصار الضخمة، كما تظهر فيها عملية تسجيل الغنائم و هي تعود للملك الأشوري شلمنصر الثالث (858 – 824) ق. م.
Wallis Budge: a guide to the Babylonia and Assyrian antiqites, scont edition, London: printed by ordre of the teustees, 1908, p, 28.	الصفحة 117 من المذكرة	الصورة 08: توضح تمثال للملك الأشوري آشور ناصر بال الثاني (883 - 859) ق. م.
Healy (M) : the ancient assyrians, 1 er èdition, Oxford : osprey publishing elms, 1991, p, 51.	الصفحة 118 من المذكرة	الصورة 09: توضح تمثال نصفي للملك الأشوري آشور بانيبال (668 - 627) ق. م.
Roux (G) : ancient iraq, thirt edition, London : reprinted in penguin books, 1992, p, 266.	الصفحة 124 من المذكرة	الصورة 10: توضح إحدى معارك الجيش الأشوري في الجبال.

Healy (M) : the ancient assyrians, 1 ^{er} édition, Oxford : osprey publishing elms, 1991, p, 09.	الصفحة 126 من المذكرة	الصورة 11: توضح عملية حصار المدن واستعمال السلاالم و حفر الخنادق تحت المدن المحاصرة.
Healy (M) : the ancient assyrians, 1 ^{er} édition, Oxford : osprey publishing elms, 1991, p, 21.	الصفحة 136 من المذكرة	الصورة 12: توضح تطبيق الملك الأشوري تجلات بلاصر الثالث (744 - 727) ق.م لسياسة تهجير الشعوب من الأقاليم البعيدة لأشور.
Russell(J.M) : sennacheribs place without rival at nineveh,Chicago : the university of Chicago, 1991,pp,130-131.	الصفحة 138 من المذكرة	الصورة 13: توضح مسيرة الجيش الأشوري وقيامهم بعملية تهجير الشعوب المغلوبة
Mcintosh (J): Ancient mésopotamia New persectives, oxford : santa barbara, denver colorado, 2005, p ,140.	الصفحة 144 من المذكرة	الصورة 14: توضح استخدام الجيش الأشوري للقوارب الجلدية أي ما يعرف بالكيليك keleks وهذه النقوش الأشورية موجودة بمدينة كالكخ .

Healy (M) : the ancient assyrians, 1 ^{er} édition, Oxford : osprey publishing elms, 1991, p, 48.	الصفحة 144 من المذكرة	الصورة 15: توضح حملة عسكرية باستعمال القوارب الخشبية ضد المتمردين الكلدانيين الفارين إلى المدن العيلامية وذلك في عهد الملك الأشوري سنحريب (704 - 681 ق.م .
Mcintosh (J): Ancient mésopotamia New perspectives, oxford : santa barbara, denver colorado, 2005, p ,141.	الصفحة 146 من المذكرة	الصورة 16: توضح ثلاث سفن للجيش الأشوري تقوم بنقل الخشب من الساحل الفينيقي.
Mcintosh (J): Ancient mésopotamia New perspectives, oxford : santa barbara, denver colorado, 2005, p ,31.	الصفحة 146 من المذكرة	الصورة 17 : تمثل سفن حربية على صفائح بوابة برونزية للملك الأشوري شلمنصر الثالث (858- 824) ق .م أثناء حملته على صور كما تظهر عملية نقل الهدايا إلى السفن الآشورية .

Mcintosh (J): Ancient mésopotamia New perspectives, oxford : santa barbara, denver colorado, 2005, p ,98.	الصفحة 159 من المذكرة	الصورة 18: توضح حاكم مقاطعة بابل مردوخ زاكير شوم يصافح الملك الأشوري شلمنصر الثالث (858 - 824) ق.م وهذه النقوش موجودة في مدينة كالح .
Roux (G) : ancient iraq, thirt edition, London : reprinted in penguin books, 1992, p, 265.	الصفحة 193 من المذكرة	الصورة 19: توضح الملك الأشوري أسرحدون واقفا ويمسك بحبل ربط به عبدي ملكوتي ملك صور و طهراقا فرعون مصر من الأنف و قد عثر على هذه النقوش في زنجرلي بشمال سوريا.
Healy (M) : the ancient assyrians, 1 er édition, Oxford : osprey publishing elms, 1991, p, 53.	الصفحة 195 من المذكرة	الصورة 20: توضح حصار مدينة طيبة من طرف الجيش الأشوري وهذا في عهد الملك الأشوري آشور بانيبال (627-668) ق.م.

فهرس الأعلام والمعبودات والأماكن

1- فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
سميراميس	19
مانشتوسو	69
نارام- سين	69 ، 38 ، 36
زريقيم	38
حمورابي	128 ، 65 ، 63 ، 44
سوستارا	54 ، 52
توشراتا	55 ، 54
أرتاتاما	54
سوبيلوليوما	76 ، 74 ، 54
شاكواز	55
سمسو- ديتانا	63
أخناتون	74 ، 56 ، 48
أكوم الثاني	65
بورنابورياس الثاني	67 ، 66
كره أنداش	67

67	كوريجالزو الثاني
69	شوما -أو صر
69	تشرک- نخنتة
72	لابارنا
73	تيلينو
74 ، 75 ، 76 ، 93	رمسيس الثاني
76 ، 78	حاتوسيلي الثالث
78	تواداليا الرابع
80 ، 84 ، 93	مرنبتاح
85 ، 86	شاؤول
86 ، 87	داوود
3 ، 90 ، 91 ، 92 ، 93 ، 209	رمسيس الثالث
86 ، 87	سليمان
94 ، 96	حريحور
96	شاشنق
95 ، 96	سمندس
121 ، 147 ، 163	مردوخ بالادان الثاني

122	دوسا
202 ، 129	شمش - شوم أوكن
178 ، 87	جبحو
180	أحاز
181 ، 180	قفح
187 ، 181	هوشع
183	بن عمرا
184 ، 183	حزقيا
184	عبد ملكوت
188	أوسركون الرابع
190	أدمو (أدموتو)
194 ، 193 ، 192 ، 191 ، 190 ، 189	طهراقا
164	نيخاو
194	بيسماتيك الأول
164	تانوت آمون
205 ، 204	كي إخسار
205 ، 204	نابوبولاصر
205	نابوخذ نصر

2 - الألهة

الألهة	الصفحة
مردوخ	70 ، 66
أشور	133 ، 122 ، 103 ، 21
إنليل	68 ، 64
شمش	70 ، 68
أنو	95 ، 70
أداد	95
أمون	96 ، 94 ، 91

3- الأماكن

الأماكن	الصفحة
أرابخا	158 ، 15
لجش	34
واشوكاني	59 ، 58 ، 54
دور - كوريجالزو	156 ، 64
خانة القديمة	65

172	خزاز
147 ، 70	أوبس
33	موزاسير
135	لولومي
75	تونيب
137 ، 86	جت
165 ، 140	سوسه
168 ، 166 ، 141	جوزانا
170 ، 166 ، 147	تل برسيب
162 ، 150	توشبا
154	أرفانا
156 ، 70	سييار
156	نصيبين
157	كوتموخ
171 ، 164	قوئي
167	سورو
167	خوزيرينا
171	خلمان

184	تل شفلة
193 ، 192	زنجري
157	شنخان
171	ميليد
173	اللولوبا
184	لخيش
191	أرزابي
194 ، 192 ، 191 ، 101 ، 92	منف
191	التحفري
171	جورجوم
204	قابليانو
203	إكباتانا
204	مادانو
167 ، 166	دور - كتليمو
157	زامو

فهرس خطة البحث

الصفحة	
10 -1	مقدمة
	الفصل الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد آشور
13	I- الإطار الجغرافي لبلاد آشور
13	1- تضاريس آشور
17	2- الظروف الطبيعية
19	II- التركيبة البشرية للأشوريين
19	1- آشور ومدلولها عبر التاريخ
22	2- أصل الأشوريين
25	3- البدايات الأولى للأشوريين
27	III- الأدوار التاريخية لبلاد آشور
27	1- عصور ما قبل التاريخ
34	2- العصور التاريخية
34	أ- بلاد آشور في عهد فجر السلالات
35	ب- بلاد آشور في العهد الأكادي وعهد سلالة أور الثالثة
39	ج- العصر الآشوري القديم (المرحلة الأولى- الثانية- الثالثة)
45	د- العصر الآشوري الوسيط
	الفصل الثاني : أزمت الشرق الأدنى القديم و انعكاسها على آشور فيما بين القرنين 12 - 9 ق.م
52	المبحث الأول: ظروف العراق الداخلية
52	I- حكم الميثانيين لآشور

52	1- الاحتلال الميثاني
54	2- التحرر من السيطرة الميثانية
56	3- إنشاء الدولة الآشورية
56	أ- مجهودات آشور أوباليط الأول
58	ب- مجهودات خلفاء آشور أوباليط الأول
63	II - سيطرة آشور على بابل الكاشية
63	1- سلالة بابل الثالثة (الكاشيون)
64	أ- سياسة الكاشين الداخلية
66	ب - سياسة الكاشين الخارجية
68	2- انهزام الكاشيين أمام الآشوريين
72	المبحث الثاني: ظروف العراق الخارجية
72	I - حيثا
72	1- نشأة وتطور الدولة الحيثية
73	2- الصراع الحيثي المصري من أجل السيطرة على سوريا
77	3- حيثا وأشور
80	4- حيثا وشعوب البحر
82	II - فلسطين
82	1- موقع فلسطين وأهميتها الجغرافية
84	2- القوى الطامعة فيها
86	3- الاصطدام اليهودي - الفلسطيني وانعكاسه على آشور
89	III- مصر

90	1- الأحوال الداخلية لمصر في عهد الأسرة العشرين
92	2- الأحوال الخارجية لمصر في عهد الأسرة العشرين
92	أ - مصر والليبيين
92	ب - مصر وشعوب البحر
94	ج - تراجع النفوذ المصري على الساحل الفينيقي
	الفصل الثالث : المنظومة العسكرية و دورها في الريادة الأشورية
100	المبحث الأول: مكونات الجيش
100	1- لتجنيد في صفوف الجيش
103	2- أصناف الجيش الأشوري
103	أ - الموظفون الدينيون
104	ب- صنف المشاة
107	ج- صنف الخيالة
110	د- صنف المهاجمين بآلات الحصار
112	هـ - الأصناف العسكرية الأخرى
114	3- القواعد العسكرية الدائمة(الجيش المربط)
116	4-الرتب العسكرية الأشورية
120	المبحث الثاني: التكتيك العسكري
120	1- المعارك النظامية المفتوحة
122	2- الحروب في الجبال
125	3- حصار المدن
130	المبحث الثالث: أساليب الإعلام لدى الجيش الأشوري
130	1- مبدأ الحرب النفسية

132	2- سياسة الدعاية
134	3- سياسة التهجير إلى الأقاليم البعيدة
139	المبحث الرابع: نظام المواصلات و الاتصالات العسكرية
139	1 – العربات
141	2 - القوارب
145	3 - السفن الحربية
148	4 - النظام البريدي
150	5 - نظام المخابرات العسكرية
	الفصل الرابع : آشور تتزعم دول الشرق الأدنى القديم فيما بين القرنين 9 – 7 قبل الميلاد
153	المبحث الأول: الاستيلاء على بابل
153	1- بابل في العهد الإمبراطوري الأول
161	2- بابل في العهد الإمبراطوري الثاني
166	المبحث الثاني: الاستيلاء على سوريا
166	1- الاستيلاء على إمارات غرب سوريا
170	2- الاستيلاء على شمال سوريا
177	المبحث الثالث : الاستيلاء على الساحل الفينيقي
177	1- الاعتراف بسلطة آشور في العهد الإمبراطوري الأول
182	2- الاستيلاء على الساحل الفينيقي في العهد الإمبراطوري الثاني
187	المبحث الرابع: بداية نهاية الإمبراطورية الآشورية

187	1- الاصطدام الآشوري المصري
188	أ - الحملة الأولى على مصر
190	ب - الحملة الثانية على مصر
200	2- سقوط الإمبراطورية الآشورية
200	أ - الأسباب الداخلية
203	ب - الأسباب الخارجية
207	خاتمة
212	البيبلوغرافية
224	الفهارس
225	فهرس الوسائل التوضيحية
231	فهرس الأعلام و المعبودات و الأماكن
238	فهرس خطة البحث

الملخص

إن الظروف الجيوسياسية للمنطقة قد تغيرت تماماً فيما بين القرنين (12 – 10) ق.م لصالح آشور، فأصبحت أقوى دولة في الشرق الأدنى القديم، غير أن هذا لم يحدث إلا بعد أن مر الآشوريين بمراحل مضطربة جداً، وذلك لكثرة حروبهم مع جيرانهم الميثانيين و الحيثيين و الكاشيين و غيرهم. و إن كان لهذه الصراعات فوائد ، فقد تبلور لدى الآشوريين مخطط سياسي و حربي واضح، و هذا بوصول الفن العسكري إلى أرقى ما كان معروفاً في ذلك الوقت من حيث التدريب و التسليح و تنوع فنون القتال، إلا أنه كان أهم أسباب سقوط الإمبراطورية الآشورية هو اعتمادها على سياسة القمع العسكري .

الكلمات المفتاحية

بلاد آشور؛ الشرق الأدنى القديم؛ العراق القديم؛ الدولة الآشورية؛ المنظومة العسكرية؛ مكونات الجيش؛ العهد الإمبراطوري؛ الساحل الفينيقي؛ مصر؛ الجيوسياسية.

نوقشت يوم 07 جوان 2015